جامعة بيرزيت
BIRZEIT UNIVERSITY
كلية الآداب – دراسات عليا
برنامج علم الاجتماع

السجن «الإسرائيلي» كمفهوم زماني ومكاني
دراسة في المفهوم والأثر

مقدمة من:
فراس جابر

إشراف:
أ. أيلين كتاب

«قُدِمَت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في برنامج علم الاجتماع من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت، فلسطين»

٢٠١٠

جـامـعـة بـيـرزيـت
كلية الآداب – دراسات عليا
برنـامج علم الاجتماع

السجن «الإسرائيلي» كمفهوم زماني ومكاني

دراسة في المفهوم والأثر

The «Israeli» prison as a Spatial- Temporal Formation

مقدمة من:
فراس صلاح الدين مثقال جابر

لجنة المناقشة:
أ. أيلين كتاب (مشرفاً)
د. سهى هندية
د. سمير عوض

تاريخ المناقشة:
٢٠١٠/١٢/٤

«قُدِمَت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في برنـامج علم الاجتماع من كلية الآداب في جامعة بيرزيت، فلسطين»

السجن «الإسرائيلي» كمفهوم زماني ومكاني دراسة في المفهوم والأثر

رسالة ماجستير مقدمة من:

فراس صلاح الدين مثقال جابر

تاريخ المناقشة: ٢٠١٠/١٢/٤

لجنة المناقشة:

المشرف: أ. أيلين كتاب

د. سهى هندية

د. سمير عوض

«قُدِمَت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في برنامج علم الاجتماع من كلية الآداب في جامعة بيرزيت، فلسطين»

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	V
الشكر والتقدير	VII
ملخص بالعربية	VIII
ملخص بالانجليزية	XI
المقدمة	XVII
الفصل الأول: السجن كمفهوم ومؤسسة	1
في مفهوم المكان	9
أيديولوجية المكان	11
في مفهوم الزمان	14
حول السجن «الإسرائيلي» ودوره	17
دور السجون كمؤسسات ضبط وعقاب للفلسطينيين	20
خلاصة	23
الفصل الثاني: السجن «الإسرائيلي» كزمان ومكان	25
تقديم	25
السجن «الإسرائيلي» حالة استعمارية	25
سمات السجن	28
أيديولوجيا الحركة الأسيرة مقابل «أيديولوجيا» السجن	30
الحركة الأسيرة بنية مضادة	35
السجن كزمان ومكان	38
الزمان داخل السجن	38
دقات ساعة من الزمان	44
المكان في السجن	45
في وصف السجن كمكان	46
ما يشبه المكان	48
الزمان والمكان (الزمكان) علاقة عضوية	49
الخلاصة	52
الفصل الثالث: منهجية الدراسة	53

أهداف الدراسة 53
مشكلة الدراسة 53
أسئلة الدراسة 54
منهج الدراسة 55
أداة الدراسة 56
مجتمع الدراسة 57
طريقة اختيار العينة 57
مفاهيم الدراسة 58
الفصل الرابع: أسرى الزمان والمكان 60
تقديم 60
القسم الأول: السجن وأبعاده 60
ما هو السجن؟ ما هو تعريفه؟ 62
أبعاد السجن 68
القسم الثاني: السجن كمكان وزمان 75
الجزء الأول: السجن كمكان أو السجن اللا مكان 75
السجن مكان أم أمكنة 81
التحقيق في الزنزانة 81
استدعاء الذاكرة/ مقاربة النسيان 85
مكان العزل 87
التقسيمات الهندسية داخل السجن 89
انفصال الطبيعي عن السجن 95
الجزء الثاني: زمان السجن؟ 98
زمن التحقيق 107
زمن العزل 113
فصول السجن 115
المرحلة التاريخية للحركة الوطنية/ التفاوت في الشعور الزمان داخل السجن 119
حركة الزمان داخل السجن 126
زمن الحرمان العلمي 128
زمن الانتظار 129
لحظة الحرية 131
القسم الثالث: الأسيرات والاعتقال 134

مكان الأسيرات 138
زمان الأسيرات 141
التمثيل الاعتقالي للأسيرات 142
تضامن الأسيرات 143
القسم الرابع: تأثيرات السجن 144
الوعي المسجون 145
تعويض الحرمان 154
التأثيرات الاجتماعية – التربوية 156
تضادية الحركة/ وحدة الهدف 159
التأثيرات المكانية 164
التأثيرات الزمانية 169
في رفض التماهي مع السجن 178
تأهيل الأسرى 180
خلاصة 181
الفصل الخامس: قضايا وعبر، واستنتاجات ختامية 184
التأثيرات المستقبلية على النضال 184
فهم الحركة الأسيرة للسجن كمكان وزمان 192
النضال الجديد بعد الخروج من الأسر 199
السجن ومهادنة الأسرى 202
توصيات ختامية من الأسرى 207
استنتاجات ختامية: 210
استخلاصات حول السجن 214
المراجع والمصادر 219

الإهداء

إلى القابعين وراء جدران السجن...

الساعين لحريتهم وشعبهم...

إلى رامية، بيسان وآدم

إلى أمي وأبي

الشكر

أتقدم بجزيل الشكر لمشرفتي د. أيلين كتاب على الجهد والوقت الذي بذلته من أجل إنجاح هذا العمل.

كما أتقدم بجزيل الشكر لأعضاء لجنة النقاش د. سهى هندية، ود. سمير عوض على ملاحظاتهما القيمة، والوقت الذي خصصوه لهذا العمل.

ولا يفوتني أن أشكر د. إسماعيل الناشف الذي ساهم في الخطوات الأولى للرسالة، مشرفاً وموجهاً.

وأشكر جميع الذين ساعدوني خلال المراحل المختلفة لإعداد الرسالة: اعتراف الريماوي، يوسف غنيم، إياد الرياحي، لينا ميعاري، أميرة سلمي، وجميع الأسرى المبحوثين.

الملخص:

تتعرض هذه الدراسة إلى السجن «الإسرائيلي» كمفهوم زماني ومكاني، من خلال التفاعل مع الأطر النظرية التي تناولت مفهوم السجن، ومفهومي الزمان والمكان، بعلاقتهما بمفهوم الأيديولوجيا. التركيز على هذه المفاهيم الأساسية في الرسالة يتم في السياق الاستعماري في فلسطين، بحيث يتم موضعة السجن في إطار استخدامه الاستعماري لتطويع الفرد والمجتمع الفلسطيني بصورته المقاومة للاحتلال. لذا تناقش الرسالة المفاهيم النظرية المختلفة، وتحاول الوصول إلى تحديد مفاهيمي لحالة السجن في الحالة الاستعمارية في فلسطين، وبشكل أدق لصياغة نظرية ومفاهيمية تعكس حالة السجن في الخصوصية الفلسطينية، انطلاقاً من محدودية الدراسات والنظريات التي تغطي هذا الموضوع في مضمونه النوعي.

موضوع البحث في الرسالة يتعلق أيضاً ببنية الحركة الأسيرة «البنية المضادة» في السجن، بغرض التعرف وتحليل دورها الأساسي في مقاومة تطويع الأسير/ الأسرى، وآليات المقاومة وتشكيل الأسير المستخدمة من قبلها، في مواجهة إجراءات وعقابات السجان المختلفة التي تهدف إلى «تطويع» وعي الأسير على المدى القصير والطويل.

كما تناقش الرسالة السجن «الإسرائيلي» كبنية من خلال تفكيك العناصر المكونة للسجن مثل العقابات، الزمان، المكان، والدور المحدد لكل عنصر في تأدية الدور النهائي للسجن، كما تتناول السجن كأيديولوجيا استعمارية تهدف لعقاب وضبط وتطويع الأسرى بشكل مستمر.

في معرض تناول العناصر المكونة للأسر، يتم تفكيك الزمان في الأسر إلى عناصر ومكونات ومحددات زمانية مختلفة مثل (زمن العزل، زمن الانتظار...الخ)، تؤدي إلى إعادة صياغة مفهوم الزمان ومكوناته في سياق السجن الاستعماري في فلسطين، كذلك يتم تفكيك وتحليل

مفهوم المكان في السجن الاستعماري من خلال النظر إلى الوحدات الجزئية المكونة للسجن كمكان، ووظيفة كل مكون، وتفاعل الأسرى/ الحركة الأسيرة مع هذه الوحدات، بما يؤدي إلى إعادة صياغة مفهوم المكان في السياق الاستعماري إلى سياق مقاومة.

تستند الرسالة منهجياً إلى تفكيك وتحليل المفاهيم المختلفة إلى وحدات نظرية وإجرائية أصغر، ومن ثم محاولة إعادة تركيبها لتعبر عن الخصوصية الاستعمارية في فلسطين.
تم الاعتماد على منهج البحث الكيفي، من خلال المقابلة المعمقة مع عدد من الأسرى المحررين، من ذوي التجربة والقدرة على التعبير عن التجربة، ومن مختلف التنظيمات، بالإضافة إلى تحليل مضمون جملة من الكتابات حول الحركة الأسيرة.

تضم الرسالة عدداً من الفصول، يتناول الفصل الاول النظريات والمفاهيم التي بحثت في السجن، الاستعمار، والأيديولوجيا الصهيونية، كما يتناول مفهومي المكان والزمان، والسجن في السياق «الإسرائيلي»، وتحليل لبنية الحركة الأسيرة كحركة مضادة للسجن، المعالجة تتم من زاوية نقدية بحيث يؤسس تفكيك وتحليل السجن كمفهوم زماني ومكاني إلى تحديد نظري ومفاهيمي بديل.
الفصل الثاني يتناول بتحليل مفصل السجن «الإسرائيلي» كمكان وزمان، من خلال تحليل ومراجعة كتابات متعددة حول هذين المفهومين، وتحديداً تمظراتهما المختلفة داخل السجن، بما يفيد إسناد الاشتباك بين التجربة الفلسطينية والأطر النظرية المستخدمة.
يتناول الفصل الثالث منهجية الدراسة، والمصطلحات النظرية والإجرائية للسجن والمكان والزمان، بهدف الإسناد النظري المعرفي لمقصد الباحث في الدراسة، والأدوات المستخدمة.
يتناول الفصل الرابع تحليل المقابلات المعمقة مع الأسرى المبحوثين. ويشتمل على تعريف

السجن وأبعاده، السجن كمكان وزمان، وتفكيك مكانية وزمانية السجن، الأسيرات والاعتقال، والتأثيرات المختلفة للسجن على الأسرى داخل السجن وخارجه، من ناحية المكان والزمان. الفصل الخامس يستشرف الحركة الأسيرة وفهمها لقضايا الزمان والمكان والنضال، مع محاولة الوصول إلى نقاشات نظرية أدق حول المفاهيم الرئيسة في الدراسة تعبر عن عمق التجربة الفلسطينية، ويوجه النقد بشكل أساسي إلى مقولات فوكو حول السجن في الفضاء الانضباطي، من خلال تغييب مقولاته لدور الفاعلين «البنية المضادة»، وغياب تحليل للأيديولوجيا الاستعمارية.

تؤكد النتائج على وجود تأثيرات كبيرة على الأسير/ الأسرى من خلال تجربة الأسر، وتحديداً على المستوى الفردي، وجملة التأثيرات الاجتماعية، ومن أهمها، خلق بنية اجتماعية جديدة تحمل قيماً محددة وتصورات لشكل الحياة الفردية/ الجماعي، أي الحركة الأسيرة. كذلك تؤكد الرسالة على وجود فضاء انضباطي مزدوج يمارس تحكماً بحياة الأسرى تحت سيطرتهم.

تستلخص الدراسة وجود أربع أبعاد للسجن الاستعماري، البعد الأول الحرمان من الحرية واستلابها في عقاب فوري على فعل الإسير المقاوم للاحتلال، البعد الثاني الزماني، وهو مركب من زمن العقوبة، ومن الزمن المتخيل من قبل الأسير، الثالث، هو بعد المكان كهندسة وفضاء عقابي يحاول ضبط الفرد/ الجماعة، من خلال بنية هندسية مكثفة تحمل عوامل الضبط والعقاب في آن واحد، وتتيح السيطرة على المعتقلين. البعد الرابع الإجراءات والممارسات العقابية داخل السجن بحق الأسرى الفردية منها والجماعية.

تحاول الرسالة تقديم/ إعادة تعريف المفاهيم المكونة للسجن، فتقدم تعريفاً للسجن والأيديولوجيا في الحالة الاستعمارية، وكذلك مفهومي الزمان والمكان في السياق الاستعماري.

Abstract

This study discusses the “Israeli” prison as a temporal and spatial concept which interacts with the theoretical frameworks that have dealt with the concept of prison and the concepts of time and place, and their relationship with the ideology. The study focuses on these basic concepts in the context of colonialism in Palestine. The prison is put in the framework of its colonial use in order to subject the Palestinian individual and society within the form of resisting occupation. Thus, the study discusses the different theories and attempts to define the prison in its colonial relationship in Palestine. More specifically, it provides theoretical and conceptual definition that reflects the case of prison in the Palestine, since there are limited studies that cover this topic qualitatively.

The study also discusses the structure of the prisoners movement “the contra-structure“ in prison. This is done in order to identify and analyze its basic role in resisting the discipline of prisoners, the reformulation of the prisoner and the mechanism of resistance that the movement uses in facing the different types of punishment used by prison guards, with the aim of “disciplining” the prisoners in the long and short run.

Additionally, the study discusses the “Israeli” prison as a structure by breaking it into its different elements, such as punishment, time, and place, and the specific role of each element in fulfilling the ultimate role of the prison. It also discusses the prison as a colonial ideology the aims to continuously punish, control, and discipline the prisoners.

In dealing with the temporal and spatial components of prison, time is analyzed into different components such as time of isolation and time of waiting which leads to redefining the concept of time and its elements within the colonial prison in Palestine. Time in the colonial prison is also analyzed by looking into the parts that form the prison as a place and the function of each part, as well the interaction of the prisoners with these parts. This will lead to redefining place in the colonial context to a resistance context.

The thesis is methodological based on analyzing the different concepts to smaller theoretical and procedural ones, and then restructured to express the colonial case in Palestine.

Qualitative methodology of research was used in the study. Detailed interviews were made by a number of liberated prisoners, ex-prisoners, from different factions who had different experiences in prison. The

content of several publications on the prisoners' movement was also analyzed.

The thesis includes several chapters. Chapter One discusses the theories and concepts that deal with prison, colonialism, and Zionist ideology. It also discusses the temporal and spatial concepts and prison in the "Israeli" context and analyzes the structure of the prisoners' movement as a contra-prison movement. The discussion is done from a critical point of view so that the analysis of the concept of prison is turned into an alternative theoretical and conceptual one.

Chapter Two thoroughly analyzes the temporal and spatial concepts of the "Israeli" prison through revising several publications on these two concepts, specifically their different manifestations in the prison, in order to show the connection between the Palestinian experience and theoretical frameworks used.

Chapter Three deals with the methodology of the study, the theoretical and procedural terminology of prison, place and time in order to be used as the theoretical and cognitive basis to what the researcher aims at in his study and to the tools used.

Chapter Four analyzes the detailed interviews made with the ex-prisoners. It includes definition of the prison and its dimensions, the prison as place and time, and breaking the time and place of the prison into parts, women prisoners and detention, and the different impacts of prison on the prisoners inside and outside the prison in relation to time and place.

Chapter Five looks into the future of the prisoners' movement and its understanding of the issues of time, place and struggle and attempts to reach a more accurate theoretical discussion on the main concepts of the study that express the depth of the Palestinian experience. It basically criticizes Foucault›s studies on prison in the disciplinary judiciary since they refrain from mentioning the role of the actors "the contra-structure" and they also lack the analysis of the colonial ideology.

The findings of the study emphasize the point that there are serious effects on the prisoners as a result of their prison experience, especially at the individual level, in addition to a number of social effects. The most important of these is creating a new social structure with specific values and conceptions of the form of the individual and group lives, such as the prisoners' movement. The study also emphasizes the existence of a dual disciplinary judiciary that controls the lives of the prisoners under their authority.

The study concludes that there are four dimensions for the colonial prison. The first one is freedom deprivation as an immediate punishment against the prisoner who resists the occupation. The second one is the temporal dimension which consists of the time of punishment and the time imagined by the prisoner. The third is the spatial dimension, the dimension of place as divided and organized and a spatial punishment that tries to discipline the individual or the group through a specific kind of structure that includes disciplinary and punishment at the same time and allows controlling the prisoners. The fourth dimension is the punishment procedures and practices used inside the prison against the prisoners individually or collectively.

The study attempts to introduce and/or redefine the concepts that formulate the prison. It introduces definitions of prison and ideology in the case of colonialism, as well as the temporal and spatial concepts in the context of colonialism.

المقدمة:

استمر الصراع الفلسطيني/ العربي – الصهيوني/ الإمبريالي لعقود طويلة بشكل دموي، وعقود قليلة من عملية «سلام» مفترضة، يفترض أنها تحمل بذور إنهاء/ حل الصراع ضمن قبول الفلسطينيين أو جزء منهم بالتنازل عن الحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني، ولا زال الصراع يأخذ أبعاداً كثيراً ومتعددة.

وإن كانت وتيرة الصراع تتراوح بين مد وجزر، إلا أن الاحتلال ما زال يتعامل مع الشعب العربي الفلسطيني كمادة للقمع والإحلال والنفي رغم توقيع إتفاقية أوسلو المعروفة، الأساس لهذا، بنية أيديولوجية متطرفة تنظر إلى وجود الشعب الفلسطيني كسكان غير أصليين يأتي وجودهم بدون بعد تاريخي -إن اعترفت أصلاً بوجود هذا الشعب-. ولا أدق من توصيف الصراع من تعبيرات فانون «سواء أقلنا تحريراً وطنياً، أم نهضة قومية، أم إنبعاثاً شعبياً... إنما هو إحلال «نوع» إنساني محل «نوع» إنساني آخر، إحلالاً كلياً، كاملاً، مطلقاً، بلا مراحل انتقال... لكني اخترت أن أتحدث عن هذا النوع من المحو الذي يحدد في البداية كل إزالة الاستعمار» (فانون، ١٩٨٥: ١٩).

الصهيونية تستخدم وسائل وأدوات كثيرة ومتعددة لنفي الشعب الفلسطيني، ومنها السجن «الإسرائيلي» الذي استخدم منذ بداية احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة عام ١٩٦٧ من أجل قمع الحركة الوطنية الفلسطينية ومناضليها عبر الزج بهم في «غياهب» السجون، هذه السجون كبرت وتطورت وتعلمت من تجارب الشعوب الاستعمارية الأخرى لتصل إلى مراحل «متطورة» في «قمع» الروح الثورية الفلسطينية، وفي مقابل هذا التطور هناك مقاومة، وحركة وحراك تجاه تصليب الحركة الوطنية الفلسطينية، والحركة الأسيرة كجزء طليعي منها لأدواتها وفهمها لدورها داخل سجون الاحتلال، وسبل مواجهة وسائله وأدواته

القمعية في السجون، فأُنتج ما أنتج عن الحركة الأسيرة، وسبل مقاومة الاعتقال والتحقيق، وأبتدع في هذا المجال طرائق مبتكرة للمواجهة (بوكاي، ٢٠٠٦).

الهوية الفلسطينية شهدت تحولات كبيرة، وتمظهرت بصورة وسائل نضال وتنظيم، ورغم حجم التضحيات الجسيمة المبذولة من قبل الجماهير الفلسطينية، إلا أن البحث الفكري الجاد، وتحديداً العلمي لم يجاري مستوى النضال، وما يهمني بالتحديد هنا دراسة السجن من جوانب سيوسولوجية مختلفة (من حيث البنية والأيديولوجيا) تتيح للمجتمع الفلسطيني إبراز تجربته النضالية بشتى الصور.

عدد الأسرى الفلسطيني يتراوح ما بين ٦٥٠-٧٠٠ ألف أسير فلسطيني منذ عام ١٩٦٧ (تختلف الأرقام باختلاف المراجع، أنظر موقع فلسطين وراء القضبان)، والحديث هنا عن كم كبير من البشر الذين عانوا قسوة السجن، لذا المسعى الثاني لهذه الدراسة تصوير وإبراز المعاناة الإنسانية المختفية وراء الشعارات الوطنية، وتوضيح تفاصيلها بما يمكن القارئ من معايشة الواقع الإنساني الصعب للأسير الفلسطيني.

يحدد فوكو السجن بأنه أداة من أدوات تكنولوجيا سياسية من أجل إخضاع الجسد، وتشكيله، وتتميز هندسته بأنها مغلقة ومصممة بحيث تضع الفرد دائماً تحت رقابتها، بحيث يعمل على ضبط الجسد وفق نمط يشتمل على إلزام لا ينقطع وهو يمارس وفقاً لتقنين (لإجراءات، قواعد) يحصر بدقة أكثر الزمان والمكان والحركات (فوكو، ١٩٩٠).

تهتم هذه الدراسة، بتحليل وتفكيك بنية وأيدولوجية السجن «الإسرائيلي كمكان وزمان، وتنستند إلى الإطار المعرفي والمفاهيمي لفوكو، مع محاولة إجراء نقاشات نظرية من خلال

النظريات والدراسات المختلفة الملائمة للحالة الفلسطينية، وبما أن تعريفات فوكو للسجن، والمكان والزمان لا تشتمل على كل عناصر التجربة الفلسطينية، التي تنقض أحياناً بعض مقولاته النظرية حول السجن، فسيتم في الاستخلاصات محاولة الوصول إلى مفاهيم تعكس التجربة الفلسطينية في السجن كمكان وزمان.

تستفيد الدراسة من الدراسات والنظريات التي بحثت في الاستعمار (فرو، ٢٠٠٧، فوكو، ١٩٩٠، فانون، ١٩٨٥)، كما تستفيد من الدراسات التي درست الأيديولوجية الصهيونية (الناشف، ٢٠٠٥، قسيس-نخلة، ٢٠٠٩)، وتستند إضافة إلى هذا الدراسات التي بحثت في المكان (بشير، ٢٠٠٤، باشلار، ١٩٨٤، فوكو، ١٩٩٠)، والزمان (باشلار ١٩٩٢، ولسون، ١٩٩٢، فوكو، ١٩٩٠)، والسجن (Nashif, ٢٠٠٨، فوكو، ١٩٩٠، قراقع، ٢٠٠١، الرياحي ٢٠٠٤، أبو عطوان، ٢٠٠٧) وعبر تحليل الدراسات الأجنبية، بالإضافة إلى الفلسطينية التي بحثت في السجن «الإسرائيلي».

إن المراجعة النظرية التي تمت في هذه الدراسة تشير بوضوح إلى النقص العلمي في مجال دراسة السجن في الحالة الاستعمارية من حيث هو بنية وأيدولوجية، وكيف يعمل هذا السجن في تطويع الفرد/ الجماعة، ودور البنية المضادة (الحركة الأسيرة) في هذا الصراع، كما أن الدراسات الفلسطينية التي بحثت في جوانب متعددة من السجن لم تستطع الإحاطة بالسجن كمؤسسة/ بنية وأيدولوجية، لذا تحاول هذه الدراسة معالجة السجن في سياق الاحتلال «الإسرائيلي» كمؤسسة/ بنية وأيديولوجية.

فأهمية هذه الدارسة تكمن في أنها تحاول تناول «خصوصية» سجن الاحتلال وعلاقته الجدلية مع البنية المضادة، كما تحاول تفكيك السجن إلى ما هو أكثر من زنزانة يقضي فيها «الفرد»

مدة معينة، وإخراج هذه الخصوصية من حيز المؤسسة إلى حيز الأيديولوجيا، والتي تعمل في السجن على الأسير وعلى المجتمع في الوقت ذاته.

وانطلاقاً من هذا الفهم فإن الدراسة ستطرح أسئلة عن السجن كمكان وزمان، سيصار إلى تحديد المفهومين مع تفرعاتهما على أساس وجود أيديولوجيتين متصارعتين داخل السجن، وذلك عبر استخدام أدوات بحثية ترتكز في أساسها على المقارنة والمجادلة النظرية مع الدراسات التي بحثت السجن، واستخدام أسلوب المقابلات المفتوحة وأسلوب الرواية الشفوية لدراسة الكيفية التي ينظر بها مجموعة من الأسرى الفلسطينيين لتجربة الاعتقال والسجن. هذا الأسلوب يساعد في تأسيس مفهوم فلسطيني للسجن يرتبط بسياقه الاستعماري، بدلاً من اعتماد مفاهيم أكثر ارتباطاً بسياقات وتجارب قد لا تكون قريبة أو مشابهة لتلك الموجودة في المجتمعات المستعمرَة كما في حالة فلسطين، حيث يرتبط واقع السجن الحديث ببنية احتلال استعماري يهدف إلى تقويض كافة مقومات المجتمع الذي يخضع لاستعماره، ويكون السجن من أهم أدواته ومؤسساته التي تعمل على تحقيق هذا الغرض؛ مما يجعل العوامل التي أدت إلى دخول السجن، وتجربة السجن وأثرها على السجين وحتى ما تعمل على تعزيزه أو قمعه كتجربة معاشة مختلفة عن تلك المتعلقة بالسجن في المجتمعات الغربية الحديثة.

الدراسة هذه تأتي كمحاولة في تناول دور السجن في السياق الاستعماري في فلسطين، والأيديولوجيا الكامنة في بناءه، وتحليل مفهومي الزمان والمكان كمكونين هامين للسجن، مع التعرض لبنية الحركة الأسيرة كحركة مضادة للاحتلال، وبالتالي فإن هذه الدراسة تأتي تحليل السجن كزمان ومكان في السياق الاستعماري في فلسطين، وموقع البنية المضادة ضمن المؤسسة/ البنية والأيديولوجية المكونة للسجن، كما ستحاول أن تبرز دور المرأة الأسيرة داخل هذه البنية من أجل عدم تغييب تجربتها ضمن عمومية بعض المفاهيم.

في سعي للوصول إلى مساعي الدراسة وتحليل وتفكيك السجن كبنية، اعتمدت على منهج البحث الكيفي، من خلال المقابلة المعمقة مع عدد من الأسرى المحررين، من ذوي التجربة والقدرة على التعبير عن التجربة المكثفة، بالإضافة إلى تحليل مضمون جملة من الكتابات حول الحركة الأسيرة، لذا تنقسم هذه الرسالة إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: يتناول النظريات والمفاهيم التي بحثت في السجن، الاستعمار، والأيديولوجيا الصهيونية، كما يتناول مفهومي المكان والزمان، والسجن في السياق «الإسرائيلي»، وتقديم لبنية الحركة الأسيرة كحركة مضادة للسجن. هذا الاستعراض النظري والمفاهيمي يؤسس في الفصول اللاحقة إلى إجراء نقاش وتحليل لأسئلة الدراسة الرئيسة حول السجن، المكان والزمان.

الفصل الثاني: يتناول هذا الفصل بصورة مفصلة السجن «الإسرائيلي» كمكان وزمان، من خلال تحليل لطيف واسع من مراجعة وكتابات متعددة وتحديداً الفلسطينية منها حول هذين المفهومين، وتحديداً تمظراتهما المختلفة داخل السجن، ويصف بالتفصيل دقائق الزمان والمكان، بما يفيد منهجية الدراسة لتحليل المضمون، وإسناد الاشتباك بين التجربة الفلسطينية والأطر النظرية المستخدمة.

الفصل الثالث: يقدم منهجية الدراسة من خلال استعراض أسئلة الدراسة، المنهج، العينة، والمصطلحات النظرية والإجرائية للسجن والمكان والزمان، بهدف الإسناد النظري المعرفي لمقصد الباحث في الدراسة، والأدوات المستخدمة.

الفصل الرابع: هذا الفصل الأطول في الرسالة، ويقسم إلى أربعة أقسام، يتناول كل قسم سؤال رئيسي للدراسة، ويعتمد هذا الفصل على تحليل المقابلات المعمقة مع الأسرى المبحوثين، ويتم استخدام طويل لبعض النصوص الحرفية في المقابلات، لما لتجربة المبحوثين من قدرة تعبير هائلة. القسم الأول يتناول تعريف السجن من وجهة نظر الأسرى، وكذلك الأبعاد المختلفة التي يتكون منها السجن. القسم الثاني يتناول السجن كمكان وزمان، الجزء الأول

يدرس السجن كمكان من خلال تفكيك مكانية السجن، والجزء الثاني يدرس زمانية السجن، وفق تقسيمات زمنية مختلفة. القسم الثالث يتناول الأسيرات والاعتقال لأهمية التركيز على خصوصية المعتقلات، وتجاربهن في السجن مكانياً وزمانياً. القسم الرابع يتناول التأثيرات المختلفة للسجن على الأسرى داخل السجن وخارجه، من ناحية المكان والزمان.

الفصل الخامس الأخير هو محاولة استشراف جمعية للحركة الأسيرة وفهمها لقضايا الزمان والمكان والنضال، مع محاولة الوصول إلى نقاشات نظرية أدق حول المفاهيم الرئيسة في الدراسة تعبر عن عمق التجربة الفلسطينية، وتتيح نوافذاً للارتكاز عليها في دراسات أوسع لاحقاً. فالرسالة محاولة للفت النظر إلى أهمية تناول القضايا الفلسطينية بعين نقدية –كما سنرى في بعض الأقسام- لما لأهمية المراجعة النقدية والتغيير من أهمية إذا أردنا الوصول للحرية والتحرير.

«لقد زال الجسد كهدف للقمع الجزئي»

ميشيل فوكو

الفصل الأول: السجن كمفهوم ومؤسسة

السجن مؤسسة من مؤسسات الضبط والعقاب والسيطرة التي تمتلكها الدولة، وتحركها ضد من يخالفون القوانين التي تسيّر المجتمع، وذلك عبر وسيط يتمثل في جهاز العدالة القضائية، الذي يعمل على محاكمة المخالفين للنظام القانوني في مجتمع معين، بحيث توفر المحاكم جملة من الشروط الواجب توفرها من أجل اتخاذ قرارها، وعقاب المجرم بحسب نوع الجرم المرتكب.

ويعتبر السجن مكاناً أيديولوجياً داخل المجتمع يساهم في استمراره ضمن توجهات ومسارات معينة، يعاقب الخروج عنها بالسجن. ويساهم السجن كذلك في إعادة إنتاج السلطة الحاكمة عبر مؤسسات وبنى مختلفة (المدرسة، القوانين، أماكن العمل، السجن)، فالسجن كجزء من هذه المؤسسات يهدف إلى إعادة إنتاج أفراد طيّعين وقابلين للانقياد، ويعمل السجن على تطويع النفس التي لا تولد خاطئة وقابلة للقصاص، بل تولدها إجراءات القصاص، والمراقبة، والعقاب والإكراه (فوكو، ١٩٩٠).

وبالتالي يلعب السجن دوراً مهماً في شبكة العلاقات السلطوية التي تتغلغل داخل المجتمع بهدف ضمان استمرارية الوجود لنسق الحكم، وهذا الدور له شقان؛ الأول مباشر وواضح محدد للمجرمين الذين ارتكبوا مخالفة أو جناية يعاقب عليها القانون، وبالتالي هنا دوره يأتي للإصلاح والعقاب وتقويم النفس حتى تعود إلى المجتمع وتتكيف معه، والشق الثاني غير

المباشر من هذا الدور «المجرد»، ويتلخص في تذكير بقية أفراد المجتمع بأن من يخالف أو يخرج عن القواعد التي سنتها السلطة سوف يلقى العقاب نفسه، وذلك بحرمانه من مجموعة من الحقوق والحريات التي يمتلكها (مثل الحرية، الحرمان الجنسي، العزل)، ويضمن للسلطة بالتالي استمرارية سلطتها عبر تلك الشبكة من المؤسسات والبنى والعلاقات المتواصلة مع المجتمع نفسه، وبين ذات البنى والمؤسسات.

كما يعمل السجن على النفس، يعمل كذلك على الجسد بهدف تطويعه «الجسد هو أيضاً غارق ضمن حقل سياسي، فعلاقات السلطة تعمل فيه عملاً مباشراً، فهي توظفه، وتطبعه، وتقومه، وتعذبه، وتضطره إلى احتفالات، وتطالبه بدلالات» (فوكو، ١٩٩٠: ٦٤). حتى لو انتهى عصر التعذيب الجسدي المباشر إلا أن تطويع الجسد صار يتم عبر تطويع النفس، وتعويدها على انتهاج سلوكيات معينة، والابتعاد عن أخرى، وهي بذلك تقدم حركات جسدية معينة تدل على الرضوخ (مثل عدم التحديق مباشرة بحراس السجن).

التعذيب ليس فقط أداة تعذيب داخل السجن، بل يأتي من سياق طويل وممتد من الممارسات الاستعمارية والعسكرية «كان التعذيب شريكاً صامتاً لحمة الأسواق الحرة العالمية الشرسة، انطلاقاً من التشيلي، مروراً بالصين، ووصولاً إلى العراق. ومن المعلوم أنه أكثر الأدوات استخداماً في فرض السياسات غير المرغوب فيها على الشعوب المتمردة... وهو أيضاً استعارة مجازية للمنطق الذي يكمن وراء مذهب الصدمة» (كلاين، ٢٠٠٩: ٢٩-٣٠)، لذا نرى أن السجن في السياق الاستيطاني –الاستعماري الصهيوني يتأثر/يؤثر في السياق الاستعماري الأوسع لأدوات الضبط والعقاب.

لذا يصبح السجن أداة من أدوات تكنولوجيا سياسية من أجل إخضاع الجسد، وتشكيله، وتتميز

هندسته بأنها مغلقة ومصممة بحيث تضع الفرد دائماً تحت رقابتها، بحيث يعمل على ضبط الجسد وفق نمط يشتمل على إلزام لا ينقطع وهو يمارس وفقاً لتقنين (لإجراءات، قواعد) يحصر بدقة أكثر الزمان والمكان والحركات (فوكو، ١٩٩٠).

بينما تتناول دراسة ألن فيلدمان السجن في الحالة الاستعمارية بالتركيز على حالة أيرلندا الشمالية، ويحدد الكاتب أن السجن يمثل حقل من الفعل، الخطاب، ونظام من الرمزية للصراع الدائر في ايرلندا الشمالية الواقعة تحت الاستعمار البريطاني، ويدرس تطور أدوات العنف من إدارة السجن ممثلة باستخدام الزنزانة، الزي الموحد، الكتاب الأسود (ملف الأسير)، رقم السجين بدل اسمه، نظام العمل داخل السجون وإجراءات القمع المستخدمة منهم في تحول لطبيعة إدارة السجون البريطانية عن تلك المستخدمة في أيرلندا الشمالية (Feldman, ١٩٩١).

وتشكل هذه الدراسة مدخلاً لفهم أسس التحولات داخل نظام السجون، بالاستناد إلى البنى الأيديولوجية للاستعمار، وتحديداً البريطاني في أيرلندا الشمالية، حيث أصبح يمارس على الأسرى الرافضين لأرتداء الزي الموحد إجراءات مذلة وطويلة لكسر مقاومتهم.

يأتي الضبط كآلية مهمة في عمل الاحتلال لإدامة سيطرته، والضبط كما عرفه كميل منصور «فالضبط لا يتضمن استخدام القسر والإكراه والرقابة البوليسية فحسب، بل يتضمن تقديم بعض التنازلات للفلسطينيين، وترك بعض الحيز المتحكم فيه من الحرية، لأن القمع يفضي إلى عكس الهدف (قسيس-نخلة، ٢٠٠٩: ٥٤). لكن كما سيتضح من خلال تحليل النتائج، فأن هذا التعريف سيواجه مشكلتين؛ الأولى أن تقديم بعض التنازلات ليست عملية ودية، بقدر ما هي ناتجة عن المقاومة والرفض من قبل الفلسطيني، والثانية أن ترك بعض الحيز المتحكم فيه لأن الاحتلال لم يتمكن من فرض سيطرته على كل الحيز من ناحية، ولأن مساحة الحرية

المتروكة ضمن الحيز هي مساحة فردية تهدف لتقليل الفعل الثوري كما سنراه في تقسيمات السجن.

هذا الدور للسجن برز في أكثر من سياق عالمي ونلاحظه في شعر (هو شي من):

«ان ما في السجن جسمك

ليس ما في السجن روحك

ما حفظ القلب سليماً

تنجز الأمر العظيما» (هو شي من، ١٩٦٩: ٢٧).

وهذا السجن يحاول احتواء الجسد والروح، أن استطاع السجين أن يدع روحه خارج السجن فلن ينجز أعداءه مهمتهم. ويضيف هو شي من في شعره الذي كتبه داخل السجن:

«برغم أن ساعدي والساقين

تشدها القيود

فإنني، في كل ناحية

أصغي إلى الطيور

أشم طيب الزهر

فهل ترى في وسعهم

أن يمنعوا عني

سعادة الإحساس

سعادة الإصغاء

سعادة تقصر الدروب

وتجعل الإنسان

أقل عزلة؟» (هو شي من، ١٩٦٩: ١٤٩).

فيعكس مقاومة الأسير للسجن ومحاولة استرداد حريته المفقودة عن طريق إطلاق روحه إلى أماكن مختلفة، وهذا ما حاوله هذا المناضل. لكن لا يتضح من شعره وجود عمل منظم للأسرى، وتبرز هذه الإشكالية في رصد دور السجن وقدرته على تطويع المجتمع، وتحديداً في مناقشة الخصوصية الفلسطينية التي لعب بها السجن أو «المعتقل» التابع للاحتلال الإسرائيلي دوراً مختلفاً عن ذلك المرصود له من قبل الاحتلال، حيث استطاع المعتقلين إقامة علاقات وبنى واعية داخل السجون والمعتقلات تناقض الدور الرسمي للسجن وتتصادم معه، وتتمرد عليه، وتلعب دوراً في تثوير الوعي المقاوم على حساب قبول الاحتلال كأمر واقع.

لكن الافتراض بأن السجن كمؤسسة عقابية وانضباطية يقوم على تطويع الأفراد كجزء من المجتمع المستهدف (الفلسطيني في هذه الحالة)، وإعادتهم إلى هذا المجتمع كأفراد طيّعين قادرين على إتباع سلوك ملتزم بقوانين المجتمع، ينطبق أكثر على الحالة الموجودة في الدول الغربية غير الخاضعة للاستعمار، والتي يلعب السجن فيها دوراً مختلفاً (تربوياً، إصلاحياً)، كما أن هذا الافتراض لم يتحرّ البنى الأخرى الممكن وجودها داخل السجن نفسه، والتي تعمل عملاً معاكساً له، «إذا كان هدف الحكومة الإسرائيلية العسكرية هو إذلال الشبان الصغار، فإنها أخفقت، وراء القضبان كل جيل ناجي صلباً، وتلقى تأهيلاً سياسياً حقيقياً، تحول الصبية العنيدون المتمردون إلى مناضلين مسيسين، وأعضاء في منظمة لها بنيتها الخاصة. (بوكاي، ٢٠٠٦: ٣٢). كما أن هذا الافتراض لم يعالج البنية والأيديولوجية الاستعمارية المكونة للسجن، بل انطلق فقط من معالجة السجون في سياق المجتمعات الغربية.

الاستناد إلى البنى الفكرية الاستعمارية كمدخل لبناء السجون كآليات رادعة للفلسطينيين من ممارسة نضالهم ضد الاحتلال، تتضح في الاستناد إلى مجموعة من تجارب السجون ومنها في أيرلندا حيث مارست انجلترا القمع ضد المقاومين هناك «وتغيير شكل علاقة إدارة السجون معهم التي عاملتهم على أنهم ليسوا بشراً يستحقون الاحترام وإنما هم مجرمون ومخربون وقتلة، فقد حددت جوهر العلاقة والمعاملة معهم مسبقاً. فالفلسطينيون في نظر الإسرائيليين يعتبرون خطراً سياسياً وأيديولوجياً يهددون أمن «إسرائيل»، فالعلاقة تنبع من العهد الأوروبي الاستعماري العنصري» (أبو عطوان، ٢٠٠٧: ٢٧).

كما أن طبيعة المجتمع «الإسرائيلي» باعتباره نوعاً من المجتمعات الكولونيالية- الاستعمارية يتوخى السيطرة الكاملة على مناحي الحياة داخل المجتمع المستعمَر، أصبح ذا رواج في الأوساط الفكرية والأكاديمية الغربية، بحيث يمتاز هذا الاستعمار بسمات الاحتكار، الاستغلال، القمع، والعنصرية (قسيس – نخلة، ٢٠٠٩، فرو، ٢٠٠٧). فطبيعة المجتمعات الاستعمارية تفترض دائماً إعادة إنتاج المجتمع بما يخدم أهدافها «فقد تمت السيطرة على الفضاءات وعلى الناس الذين كانوا يسكنونها طبقاً لكيفيات وأدوات (معيارية، قضائية، ضرائبية، سياسية) لم تعط فقط الخصوصية للعلاقة الاستعمارية... بل توضح أشكال الاستغلال الاستعماري، والإطار القانوني الذي نمت من خلاله» (سيمار في فرو، ٢٠٠٧: ١٩٢).

ولكن ما يضيفه أرندسون في تحليله إمكانية وجود المجتمع الصهيوني كتمثيل «حقيقي» على أرض فلسطين من جهة، وانتماءه للمجتمعات الأوروبية في ذات الوقت في مشابهة لتكون مجتمع أمريكا الشمالية، بحيث يكون من الغريب حجم التشابه في الاسماء الجغرافية، بحيث تمثل مجازياً قدراتها الناشئة على تصور نفسها على أنها مجتمعات موازية ومماثلة لتلك الموجودة في أوروبا. (Anderson, ١٩٨٣, ١٩٩١)، وهذا ما نراه قد طبق حرفياً

في فلسطين بعد النكبة «عندما شرع الصندوق القومي اليهودي في إنشاء حدائقه العامة في مواقع القرى العربية المقتلعة... اختار الصنوبريات بدلاً من النباتات الطبيعية الملائمة لمناخ فلسطين، وكان ذلك جزئياً محاولة لإضفاء مظهر أوروبي على البلد» (بابيه، ٢٠٠٧: ٢٢٥).

السيطرة على الفضاءات تمت بأشكال مختلفة، منها ما سماها ساري حنفي التطهير المكاني «المشروع الاستعماري الإسرائيلي هو مشروع «تطهير مكاني» (Spacio-cidal) خلافاً للتطهير العرقي ((Genocidal كونه يستهدف الأرض من أجل تسهيل الترانسفير «الطوعي» للشعب الفلسطيني، وجعله أمراً حتمياً، وذلك أساساً عبر استهداف الفضاء الذي يعيش فيه الفلسطينيون. وهذا المشروع يصبح ممكناً من خلال تبني إسرائيل ل»البيوسياسية» من أجل تصنيف الفلسطينيين إلى «حالات استثنائية» مختلفة تكرس عجزهم (حنفي، ٢٠٠٩ :٦٩)، ويستكمل في وجود ثلاث استراتيجيات لتنفيذ ذلك، الأولى إبادة المجال المكاني، الثانية التطهير العرقي، الثالثة تفرقة عنصرية دؤوبة (حنفي، ٢٠٠٩)).

وخلفية هذه السياسات رؤية أيديولوجية صهيونية تتمثل في اتجاهين، الأول يرى في أحسن الأحوال أن الفلسطينيين «غرباء» ويجب استرداد الأرض منهم، والاتجاه الثاني يرى أن فلسطين أرضاً «خالية من البشر، ويصبح حينها الفلسطينيون كائنات غير مرئية، وجزء من عقبات الطبيعة التي يجب التغلب عليها (بابيه، ٢٠٠٧).

كما أن القانون في الحالة الاستعمارية «الاحتلال الصهيوني» يعمل من أجل تثبيت السيطرة والهيمنة على المجتمع الخاضع للاستعمار، واستخدم أيضاً لتبرير السياسة الاستعمارية، في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، ولتبرير سياسات مختلفة، وفي حالة الاحتلال الصهيوني نجد أنه استخدم القانون أكثر من غيره من الأنظمة الاستعمارية

(بابيه، ٢٠٠٧). فنرى أن الجزائريين عوملوا من قبل الاحتلال الفرنسي بعقلية استعمارية «علينا معرفة ما نريد. فقد تطلب الحفاظ على هيمنتنا ويتطلب وسيتطلب ألواناً من التعذيب مريعة أكثر فأكثر، وتنكيلاً عاماً أكثر فأكثر، ومجازر من دون تمييز أكثر فأكثر، لأنه ما من جزائري بريء» (فرو في فرو، ٢٠٠٧: ٢٢).

فالدراسة المقترحة تسعى للتعامل مع السجن كمفهوم أيديولوجي وكبنية تنصهر فيه العديد من المفاهيم (الأبعاد)، حيث سيكون التركيز على مفهومي الزمان والمكان في السجن (المعتقل «الإسرائيلي»)، من خلال محاولة اكتشاف وتحديد هذين المفهومين، وعلاقتهما بالبنية المضادة (الحركة الأسيرة الفلسطينية) التي تعمل ضد البنية الرسمية للسجن «الإسرائيلي».

فأهمية هذه الدارسة تكمن في أنها تحاول تناول «خصوصية» سجن الاحتلال وعلاقته الجدلية مع البنية المضادة، كما تحاول تفكيك السجن إلى ما هو أكثر من زنزانة يقضي فيها «الفرد» مدة معينة، وإخراج هذه الخصوصية من حيز المؤسسة إلى حيز الأيديولوجيا، والتي تعمل في السجن على الأسير وعلى المجتمع في الوقت ذاته.

وانطلاقاً من هذا الفهم فإن الدراسة ستطرح أسئلة عن السجن كمكان وزمان، سيصار إلى تحديد المفهومين مع تفرعاتهما على أساس وجود أيديولوجيتين متصارعتين داخل السجن، وذلك عبر استخدام أدوات بحثية ترتكز في أساسها على المقارنة والمجادلة النظرية مع الدراسات التي بحثت السجن، واستخدام أسلوب المقابلات المفتوحة وأسلوب الرواية الشفوية لدراسة الكيفية التي ينظر بها مجموعة من الأسرى الفلسطينيين لتجربة الاعتقال والسجن. هذا الأسلوب يساعد في تأسيس مفهوم فلسطيني للسجن يرتبط بسياقه الاستعماري، بدلا من اعتماد مفاهيم أكثر ارتباطاً بسياقات وتجارب قد لا تكون قريبة أو مشابهة لتلك الموجودة في

المجتمعات المستعمرَة كما في حالة فلسطين، حيث يرتبط واقع السجن الحديث ببنية احتلال استعماري يهدف إلى تقويض كافة مقومات المجتمع الذي يخضع لاستعماره، ويكون السجن من أهم أدواته ومؤسساته التي تعمل على تحقيق هذا الغرض؛ مما يجعل العوامل التي أدت إلى دخول السجن، وتجربة السجن وأثرها على السجين وحتى ما تعمل على تعزيزه أو قمعه كتجربة معاشة مختلفة عن تلك المتعلقة بالسجن في المجتمعات الغربية الحديثة.

في مفهوم المكان:

المكان مفهوم متنازع بين مختلف الحقول والعلوم الاجتماعية والفلسفية التي تحاول أن تدرسه انطلاقا من مرجعيات مختلفة. فهناك بعد فلسفي يحاول تحليل القيم الجمالية والظاهرية للمكان، ومنهم غاستون باشلار الذي يحدد منطلقاته المنهجية لدراسة المكان "القيمة الإنسانية لأنواع المكان الذي يمكننا الإمساك به، والذي يمكن الدفاع عنه ضد القوى المعادية، أي المكان الذي نحب... ويرتبط بقيم الحماية التي يمتلكها المكان والتي يمكن أن تكون قيمة إيجابية، قيم متخيلة سريعاً ما تصبح هي القيم المسيطرة. إن المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكاناً لا مبالياً، ذا أبعاد هندسية وحسب" (باشلار، ١٩٨٤: ٣١).

المكان هنا مكان جميل (وطن، قرية، بيت) مليء بالذكريات الجميلة، أي أنه ليس السجن، ولكن تضمينات المكان لوجود صورة متخيلة للمكان يساهم في تحليل السجن كمجموعة من المكونات التي تتضمن الأبعاد الهندسية بالإضافة إلى الصور المتشكلة في وعي الأسرى.

التحديد السابق للمكان يتناقض مع تحديدات أخرى، توضح إمكانية صياغة المكان لهوية معينة "أن الجانب المكاني في هوية الفرد أو الفئات الاجتماعية لا ينمو فقط بشكل طبيعي، من خلال علاقة مباشرة بين الإنسان ومحيطه المكاني، بل يمكن له أيضاً أن يتكون بفعل أيديولوجيا أو سياسة تنتهجها الدولة، بحيث تقوم الأخيرة بتوجيه فئات اجتماعية إلى مناطق معينة بهدف

تطوير هوية لدى هذه الفئات ترتبط بالمكان" (بشير، ٢٠٠٤: ٣٧)، ما بين وجود قيم جمالية للمكان يخرجه من الإطار الهندسي فقط، وما بين أنه يمكن توجيه فرد أو فئات إلى مكان لتطوير هوية معينة، نجد أنه يمكن توجيه قسري لفئات "أسرى" مما يمكنهم من تكوين قيم "جمالية" للمكان، وتشكيل هوية خاصة لهم بذات الوقت.

ويقدم لنا نبيه بشير تعريفاً أخر للمكان من خلال استخدام مصطلح الإقليمية، وهو دمج المكان مع محاولة السيطرة، حيث أن المكان التي لا تجري محاولة السيطرة عليه يبقى مكاناً، فيما الإقليم هو المكان الذي تتم محاولة السيطرة عليه "إن الإقليمية تعتبر محاولة شخص أو مجموعة أشخاص التماهي أو التأثير أو السيطرة على مجموعة أشخاص (أو شعب) أو على ظاهرة معينة أو على شبكة علاقات، وذلك بواسطة أن يحد وأن يفرض السيطرة على منطقة جغرافية معينة" (بشير، ٢٠٠٤: ٤٠)، ونرى أن التعريف للإقليمية كتمايز عن المكان الطبيعي ينطلق بالأساس من طروحات فوكو النظرية حول المكان الانضباطي، ولكنه يوسع من مجالات المفهوم ليتسع إلى محاولات البشر للسيطرة على الطبيعة، وكذلك المحاولات السياسية والأيديولوجية وبضمنها الاستعمار.

الناشف من طرفه يحدد طرق التقاء الاقتصاد السياسي للاستعمار بتقنيات السجن والمكان "وتهدف هذه الظروف المجمدة للفضاء المادي على صعيد "فردنة" الأسرى السياسيين عبر تشريح علاقاتهم إلى مربعات مسيطر للوجود المادي. ولكن هذه الظروف الخانقة، علاوة على ذلك، الاقتصاد السياسي لتخصيص مساحات للأسرى من وجهة نظر المستعمر، لا يمكن أن تسمح بمساحة منعزلة تقتصر على كل أسير لوحده، فالقيمة التبادلية 'للفضاء' في قائمة الأسعار الاستعمارية أعلى من قيمة أسر فلسطيني. وعندما لم تتمكن سلطات السجن من وضع كل أسير في زنزانة منفصلة، قاموا بمحاكاة الحبس الانفرادي وذلك بمنع الأسرى

من الحديث، والمشي، والجلوس، وهلم جرا. وشكل هذا الوضع فتحاً، وإمكانيةً للأسرى، من جانبهم، لتوظيف تقنيات البقاء. ليس فقط أنهم أقاموا اتصالات، بل نجحوا أيضا في تنظيم إجراءات جماعية ضد الاقتصاد السياسي للأسر نفسه. (Nashif, ٢٠٠٨: ٤٧-٤٨)

ويحدد فوكو المكان الانضباطي بأنه الإقفال/ العزل أي تخصيص مكان يختلف عن كل الأمكنة الأخرى، ومنغلق على ذاته، مكان محمي للرتابة الانضباطية بهدف تقسيم الأفراد على المكان. ولكن تقسيم الأفراد يتجه نحو الانقسام إلى أجزاء بمقدار ما يوجد من أجسام أو من عناصر يجب توزيعها (فوكو، ١٩٩٠: ١٦٢-١٦٤)، وبمعنى أخر هو الفضاء الانضباطي لإخضاع الأفراد والجماعات.

أيديولوجية المكان:

تحمل الدولة القومية الحديثة على مختلف توجهاتها الفكرية الأيديولوجية هوس السيطرة على المكان وعدم ترك بقعة أرض دون فرض سيادتها عليها، وتعاني "إسرائيل هوساً إضافياً "لتهويد المكان" (بشير، ٢٠٠٤). هذا الهوس من أجل إحكام السيطرة والتحكم وفرض سيادة الدولة الحديثة، ووضع الحدود هي سمة عالمية، ولكن في حالة الاستعمار تكتسب معانياً إضافية في محاولة تغيير المكان إلى حيز مناسب لتلك الأيديولوجية.

أيديولوجية الحركة الصهيونية ترجمت بالسيطرة على الأرض- المكان الفلسطيني، وبناء دولة عليها، وتحقيق الهيمنة والتوسع المستمرين، وجرى الاستيلاء والسيطرة على الأراضي، والاستيلاء على الأملاك تحت حجج مختلفة، وبعد صدور قرار التقسيم وإقامة "إسرائيل" قامت بالقوة العسكرية باحتلال أجزاء كبيرة من فلسطين التاريخية (قسيس-نخلة، ٢٠٠٩). وعملت بعد ذلك الحركة الصهيونية على "تطهير" المكان، أي إيجاد حيز جغرافي خالي من

السكان العرب الفلسطينيين.

وأصبح "تطهير" المكان والسيطرة عليه كأنها أيديولوجية مختلف المؤسسات الصهيونية ومتخذي القرار، حتى تتحول رقعة أرض إلى "مكان" في السياق الصهيوني يجب أن تطهر وتأخذ طابعها "اليهودي"، بحيث يستخدم القانون كأداة في تنفيذ هذه الأيديولوجية (بشير، ٢٠٠٤). في تشابه مذهل مع المدرسة الاستعمارية من يزرع الأرض ويؤسس مجتمعاً مدنياً هم من يمتلك المجتمع، في تسويغ قانوني استخدم لاحقاً في استراليا لاحتلالها، على اعتبار أن استراليا هي مكان خالي وغير مأهول لأن السكان الأصليين لا يزرعون الأرض (دافيدسون في فرو، ٢٠٠٧).

والمقصود بالطابع اليهودي هنا "إن "المكان" الذي لا يسيطر عليه فرد يهودي أو أية هيئة أو مؤسسة يهودية، ولا يعيش عليه يهود كأغلبية، وبالتالي أصحاب السيادة عليه، لا يعتبر "مكاناً يهودياً" وعلى الرغم من فرض سيادة الدولة اليهودية عليه فأنه يفتقد سمة اليهودية" (دافيدسون في فرو، ٢٠٠٧: ٢٥). كما نرى في حالة محاصرة قطاع غزة حيث تحيط الجدران والأسيجة المكهربة في كل القطاع، ويتم الدخول والخروج عبر بوابة واحدة تسمى أيرز، وللوصول إلى نقطة التفتيش عليه سلوك طريق منحرف ومسقوف ومسيج بالكامل، ومن ثم الوصول إلى بوابة صغيرة للخضوع للتفتيش (بوكاي، ٢٠٠٦).

وفي الأمكنة والفضاءات التي لم تتمكن من "تطهيرها" قامت بعمل فصل بين الصهيوني والفلسطيني "لا يسكن اليهودي الأمريكي ولا العربي الفلسطيني الحي عند قدومهما إلى الفضاء الصهيوني: يسكن الأول في الفندق والثاني في قريته أو في السجن، وهم سواء" (الناشف، ٢٠٠٥: ٥٥). هذا النص للدلالة على أن البنى والمؤسسات التي أقامتها الحركة الصهيونية من مدن وإحياء ومدارس وسجون ومعتقلات تحمل بالأساس بعداً أيدلوجياً- قيمياً،

فالصهيوني في هذه الحالة هو الذي سكن المدن العربية بعد طرد الفلسطيني منها، والفلسطيني سكن مخيمات الصفيح والخيام بعد نكبته، واستمرت الحركة الصهيونية في إعادة إنتاج آليات الهيمنة على الفلسطيني بعد النكبة وذلك من خلال تأسيس السجون والمعتقلات لتحمل معنى واضحاً ذو دلالة على قمع من يحاول تخطي الواقع الذي فرضته، ليصبح السجن كمكان وبنية ترسيخ لواقع الدولة المزعوم، فهو دلالة واضحة على عقاب أي رفض لهذا الواقع.

كما أن وجود العربي في المكان/الحيز يمنع عنه "يهوديته" إن حقيقة وجود سكان عرب في الجليل بإمكانها تجريد المكان من يهوديته، وذلك على الرغم من فرض السيادة الاسرائيلية من خلال أنظمة وحكم عسكريين، والقانون الاسرائيلي، وقوة السلاح، والسيطرة التامة على حركة السكان العرب، والسيطرة على جهاز التربية والتعليم، وعلى سوق العمل، وعلى الحيز المكاني بشكل عام" (بشير، ٢٠٠٤: ١٧)، رغم إحكام السيطرة على كل مناحي الحياة يبقى وجود العربي عائقاً أمام "خلاص" المكان لليهودي.

لذا نرى أن النشاط الاستيطاني الصهيوني يعكس الخطاب الإقصائي الإثني القائم في صلب الأيديولوجيا الصهيونية، حيث نرى أن العرب الفلسطينيين رعايا دولة لا يشاركون الدولة في حيزها ومداها الجغرافيين، فهم أشخاص مجردين من أبعادهم الحيزية والجغرافية (بشير، ٢٠٠٤). التجرد من هذه الأبعاد يتضح في حالات حصار يتم تطبيق فيها هذه الأيديولوجية في قطاع غزة "إن عدم القدرة على تخيل الفضاء الوطني يبين المتخيل المعطوب لجيل ولمجتمع مسجونين في فضاء مغلق" (بوكاي، ٢٠٠٦: ١٢٧)، إذا تستطيع هذه الأيديولوجيا من خلال التحكم في المكان من إنتاج تخيلات جماعية لا تستطيع تخيل الحيز المكاني الكامل لوطنهم، وبما ينعكس هذا في وعيهم تجاه المكان/الحيز.

غير أن الإغلاق ليس مقصوراً فقط على ممارسات الحركة الصهيونية تجاه الفلسطينيين، بل لها استخدامات داخلية، ما سماه الناشف (٢٠٠٥) التقفيص "لا يمكن، اليوم، الدخول أو الخروج من وإلى الفضاءات الاجتماعية الإسرائيلية بغير المرور ببوابة وبحارس وبفحص أمني هم المدخل الوحيد للقفص الذي يوضع على كل فضاء عام ممكن" (الناشف، ٢٠٠٥: ٣٢).

وهذا يقارب ما جرى في أماكن أخرى من حيث الاستخدام المكثف للأيديولوجيا القائمة على اختلاف العرق/ الدين من أجل خلق الفضاءات المختلفة "للرجوع إلى الأصول العرقية كأيديولوجية، وبانتشار الخطية والتكرار، كما مجازية التاريخ، كل هذه يلزم لقمع التاريخية -- قدرة أنثروبولوجية لتوليد التشتت والاختلاف، والغيرية في الزمان والمكان. (Feldman, ١٩٩١: ١٨).

رغم وجوب التفريق بين اليهودي والصهيوني، والأخير مسكون بأيديولوجيا عنصرية تلغي ما عداه على أرض فلسطين، وعليه يصبح التفريق بين صاحب الأرض ومالكها، وبين مغتصبها والمسيطر عليها الآن، ومن الأهمية النظر إلى أن العقلية اليهودية قد انتجت الصهيونية، ولكن الأخيرة خطوة "متطورة" إن جاز التعبير في الغائيتها لما هو مختلف.

في مفهوم الزمان:

نقاش الزمان كما في نقاش المكان يأخذنا إلى سجالات نظرية وفكرية وفلسفية تأتي من خلفيات مختلفة، فتحديد بيار جانيه للزمان "إذا تكلمنا على معرفة الزمان، فلا بد لنا من الوصول إلى تقديم طرائق للمدافعة عن الذات في مواجهة الزمان، وطرائق لاستخدامه" (باشلار، ١٩٩٢: ٤٦)، وما جرى في الأسر يمكن تقديمه على أساس أنه مواجهة واعية بين ذات/ ذوات في

الأسر وبين مرور الزمان من ناحية، ومحاولة استغلال مرور الزمان في برنامج مكثف للعمل.

كما أن الارتباط الزماني – المكاني للظواهر يتجلى في صورة أطر معرفية/ مادية للظاهرة ""إذا عرفنا الجمع بين السمات المكانية والسمات الزمانية لظاهرة معينة، نصل، بوسائط مادية، إلى تأطير الظواهر الزمانية في إطار معين" (باشلار، ١٩٩٢: ٨٢).

بينما هناك تحديدات اجتماعية وطبيعة للزمن عبر تصور تاريخي يتسم بميزتين، الأولى أنه كان قياساً للعمر، ومدة البقاء، والعمليات الجارية، وكان نسبياً، والثانية الزمان بوصفه تجربة يتميز في جوهره بالتواتر والتكرار. (ولسون، ١٩٩٢). هذه التحديدات الاجتماعية بقيت متداولة في وصف الزمان بناء على حركة المادة، أو وفقاً للتجارب التي يعيشها الفرد/ الجماعة.

ومن أشهر التحديدات للزمان الأنضباطي هو فوكو، والذي يحدده وقت متصل متراكم مع تنفيذ الرقابات وممارسة السيطرات (فوكو، ١٩٩٠). لذا زمن الحرية يختلف تماماً عن زمن الأسر من حيث قيمته ونوعيته، وطريقة عيشه، وعدد أيامه، أنه زمن مختلف نوعياً وينقطع عما قبله.

حيث أن الزمن والتاريخ عوامل مهمة في الاستناد لفهم تجربة الاستعمار "نادرون هم المعاصرون لزمنهم!، وفي التاريخ، يتنوع الماضي تبعاً للحاضر. ذلك أن هناك تفاعلاً دائماً بين الأحداث الماضية ومعرفتنا الراهنة لهذه الأحداث." (فوركاد، ٢٠٠٧: ٣٥٠)، هذا الاستناد إلى أن فهم الماضي والزمن متغير مع الحاضر، يتمثل في وجود تشخصيات مختلفة

لهذا الزمن انطلاقا من الحاضر وفهمنا لهذا الحاضر "أن الذكرى لا تعلم دون استناد جدلي إلى الحاضر؟ فلا يمكن تعليم الماضي إلا بتقييده بموضوعةِ شعورية حاضرة بالضرورة" (باشلار، ١٩٩٢: ٤٧)، وهذا ما سيكون في تحليل توجهات الأسرى في مواجهة الزمان.

إن الزمن في السجن والتحقيق مختلف من حيث آليات تقديره، فهنا يقبع الزمن المقاوم، لا الزمن العادي الذي وصفه ببراعة مذهلة غسان كنفاني "امضيت بقية ذلك النهار في غرفة مغلقة تقع على مدخل الممر الذي يقود الى غرفة المحقق، لقد منعوا عني بالطبع، كافة المقابلات، ولم ار انسانا إلا الذي قدم لي بتهذيب لا مثيل له وقعتي الغداء والعشاء المتواضعتين، وقد اكلت بشهية طيبة، وعانيت قليلاً من انتهاء الدخان، وكان المقعد الخشبي غير مريح، ثم ان النافذة الصغيرة العالية جعلتني أفقد الاحساس بالزمن، وليس صحيحاً ان الساعة في معصمي تستطيع تمويني بتقدير سليم للوقت. إن قليلاً من الذين لم يسجنوا، لسبب او لأخر، يعرفون ان تقدير الانسان للوقت وإحساسه بالزمن لا يتوقفان على الساعة ولكن على الضوء ايضاً، وعلى الحركة، وعلى المواعيد، وعلى نظامه الخاص في تناول وقعاته والذهاب الى سريره، وحين ينفرد بالساعة فقط يشعر انه بشكل ما مخدوع." (كنفاني، ١٩٦٦).

يقول (هو شي من) في ذلك:

""اليوم الواحد في السجن أعوام ألف خارجه"

ما هذا القول المأثور

لغواً يحكى منذ القدم!

ولقد مرت في هذا السجن

أربعة شهور وحشية،

أكثر من عشرة أعوام" (هو شي من، ١٩٦٩: ١٤٩).

الوقت في السجن ليس كخارجه بل قياسه يخضع لظروف المعتقل ونوعية تكوينه من الخارج، وهو أكثر بكثير من الوقت العادي "الطبيعي"، وبالتالي الحكم الذي يقضيه الأسير لا ينفذ فقط أياماً، بمعنى قطع المسافة الزمنية وحدها، بل مشاعر مرتبطة بهذا الوقت الذي يقضيه المعتقل. فقد يكون المعتقل محكوماً سنة أو سنتين لكن شعوره بهذا الوقت "مدة الحكم" لا تقاس أياماً عادية كما لدى الآخرين في الخارج، فهو يشعر أن المدة أطول بكثير من هذا.

"يدرك أنه دخل زمناً جديداً مغايراً لزمن الحرية الذي كان يعيش فيه، أنه زمن الاستلاب، فهو الأسير المحكوم منذ اللحظة لأوامر أسره" (أبو شمالة، ٢٠٠١: ٢٣٦)، لذا زمن الحرية يختلف تماماً عن زمن الأسر من حيث قيمته ونوعيته، وطريقة عيشه، وعدد أيامه، أنه زمن مختلف نوعياً، وقاطع مع ما قبله، زمن تعلى فيه وتيرة الصراع، وتنكشف عن إرادات متصارعة.

القدرة على تحديد الوقت والزمن داخل السجن مختلفة تماماً عن خارجه "هناك ثلاثة مظاهر لتقدير الإنسان الواعي للزمان: الوعي بزمان اليوم؛ إدراك فترات زمنية؛ وامتداد الوعي خلال الزمان في الماضي والمستقبل عن طريق الذاكرة والتوقع" (ولسون، ١٩٩٢: ١٤٤)، وسنرى لاحقاً أن الأولى خلال العزل والتحقيق تنحو نحو الخفوت تماماً، بينما الثانية أي إدراك فترات زمنية تصبح مختلفة في داخل السجن عن خارجه، وتؤثر عوامل إضافية على وعي الأسير.

حول السجن "الإسرائيلي" ودوره:

ظاهرة السجون والمعتقلات كانت قد بدأت منذ النكبة "كان من المناظر المألوفة في الريف الفلسطيني في أعقاب عملية التطهير العرقي معتقلات ضخمة احتجز فيها القرويون الذكور من سن العاشرة إلى سن الخمسين" (بابيه، ٢٠٠٧: ٢٢٨)، حيث كانت هناك معسكرات للعمل

القسري، وجرى استخدام التعذيب الجسدي والقتل بصورة واسعة.

بعد الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ واحتلال "إسرائيل" لباقي الأراضي الفلسطينية تصاعدت حركة المقاومة الوطنية الفلسطينية التي تأسست عام ١٩٦٥ كرد فعل طبيعي للاحتلال، وتصاعدت حركات المقاومة واتسعت قاعدتها الجماهيرية، ولاحتواء هذه الظاهرة قام الاحتلال "الإسرائيلي" بافتتاح السجون التي ورثها عن الانتداب البريطاني والحكم الأردني بعد حرب حزيران وتم توسيعها عام ١٩٧٠م وبظروف أكثر قسوة كمعتقلات جماعية (فراونة، ٢٠٠٥).

مارست إدارات المعتقلات والسجون الإسرائيلية العديد من الممارسات اللاإنسانية، ومنهجية تهدف إلى إفراغ الأسير والمعتقل من محتواه الإنساني قبل إفراغه من محتواه الثوري بهدف تحويله - إن قُدِر له أن يبقى على قيد الحياة ويتحرر – إلى عالة على أسرته ومجتمعه (فراونة، ٢٠٠٥).

هدفت سلطة الاحتلال بذلك إلى إعادة صياغة الوعي الفلسطيني المقاوم آنذاك، وتغييره، بحيث تعرف المقاومة على أنها فعل "غير مشروع" بنظر "القانون" الإسرائيلي، وبالتالي يعاقب المقاوم بالسجن لفترات متراوحة حسب "التهمة" الموجهة إليه "إن التعذيب الذي يتكالب على الجسد قد استبدل بقصاص يعمل بالعمق على القلب، والفكر، والإرادة، والاستعدادات" (فوكو: ٥٧). كما نرى من نص في عقيدة الصدمة ""الاستجواب القسري"، هو عبارة عن مجموعة تقنيات مصممة لإدخال السجناء في حالة من الضياع والصدمة العميقين بهدف إجبارهم على تقديم التنازلات رغم إراداتهم." (كلاين، ٢٠٠٩: ٣٠).

كما أن جزء من هذه المنظومة "الأمنية" يقوم على مفهوم التعقيم ""يهدف من جهة إلى رسم

فضائين منفصلين ومحكمي الإغلاق تقريباً، الأول صحي وآمن، والآخر معرض للمخاطر، وبناء على هذه الفرضية، يجب حماية الفضاء الأول بمراقبة منتظمة لجميع مداخله المؤدية إلى الفضاء الثاني، والهدف هو وضع تصور ثم تنفيذ مجموعة من الإجراءات الآمنة والمضمونة" (بوكاي، ٢٠٠٦: ١٤٠)، وبحيث يعمل التعقيم على فصل الأسرى الفلسطينيين عن سجانيهم من خلال إبقائهم في زنازين أو خيم، وبقاء الجنود في أبراج المراقبة والغرف الآمنة، وتحكم الاحتلال بمداخل ومخارج الفضائين، كما أنه تمثيل فصل الأسرى الفلسطينيين في فضاء متحكم فيه عن الفضاء الأول المتمثل في المجتمع "الإسرائيلي.

ويتضح حينها أن سلطة الاحتلال قد عمدت إلى إقامة حد واعٍ وقانوني لممارساتها يعاقب من يخرج عنها بصور مختلفة (قتل، إبعاد، سجن)، وهي بذلك هدفت إلى ترويض الفرد والمجتمع الفلسطيني بآن واحد، ترويض الفرد عن طريق عقابه المباشر، وتطويع المجتمع عبر سلسلة عقابات فردية وجماعية، لذا من غير المستغرب أن يكون عدد المعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية مرتفعاً جداً، تجاوز عددهم ٦٥٠ ألف حالة، وإن قارنا هذا العدد بعدد السكان الفلسطينيين نراه يقترب من ربع العدد الإجمالي، لذا يصح القول أن للسجون والمعتقلات الاحتلالية دوراً كبيراً في "ضبط" المجتمع الفلسطيني وتطويعه عبر تعريضه للاعتقال وما ينتج عنه.

يتوزع المعتقلون الفلسطينيون على عدد كبير من السجون والمعتقلات ومراكز التوقيف "ويواجه الأسرى والمعتقلون في كافة السجون والمعتقلات الإسرائيلية شروطاً حياتية قاسية وظروفاً لاإنسانية وأوضاعاً مزرية لا تطاق، تتنافى وأبسط الحقوق الإنسانية وتجاوزت أبسط وأدنى القيم والأعراف الإنسانية في العالم" (فراونة، ٢٠٠٥).

يوجد للمعتقلات والسجون الإسرائيلية عدة وظائف، فهي من ناحية تهدف إلى تطويع المجتمع

الفلسطيني، كما تهدف إلى "شرعنة" الاحتلال عن طريق محاربة ما يتناقض معه لتثبيت وجوده "الشرعي والقانوني"، كما تهدف إلى "تطويع" المعتقل والسجين الفلسطيني بهدف عدم عودته لممارسة دوره المقاوم.

شرعنة الاحتلال تم في جزء كبير منه باستخدام وسائل "قانونية" بالاستناد إلى القوانين الانتدابية البريطانية، بالإضافة إلى الأوامر العسكرية من الاحتلال "تجدر الإشارة إلى أن أنظمة الطوارئ هذه، عالجت مجالات عديدة في المجتمع الفلسطيني، كالجمعيات، والرقابة، والاعتقال، والإبعاد، ومصادرة الممتلكات، وتقييد حرية التنقل، وإغلاق العقارات والمحلات والنوادي... الخ. وإعلان إسرائيل تطبيق أنظمة الطوارئ على سكان الأراضي المحتلة، رغم عدم نفاذها أصلاً، يشكل مخالفة جسيمة لقوانين وأعراف الحرب والقانون الدولي الإنساني، وينم عن طبيعة الاحتلال الإسرائيلي الراغب في الهيمنة والتوسع وفرض الأمر الواقع (قسيس-نخلة، ٢٠٠٩: ٣٩).

لكن هذه الرغبة لم تأتي ثمارها تماماً بسبب وجود مقاومة واعية "كانت السجون الإسرائيلية مدرسة حقيقية لآلاف الفلسطينيين. فيها تلقوا تعليماً عقدياً وعسكرياً. وبفضل وجود أتراب أكبر منهم سناً، هؤلاء الذين أسسوا شبكات المقاومة الأولى التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية وكانوا يدفعون ثمن التزامهم عقوبات طويلة الأجل" (بوكاي، ٢٠٠٦: ٣٢).

دور السجون كمؤسسات ضبط وعقاب للفلسطينيين:

يحدد الفهم الإسرائيلي للسجن أكثر من مجرد احتواء لأشخاص فاعلين في قضيتهم الوطنية "لم يكن السجن في الفهم الإسرائيلي وسيلة للعقاب فقط، ولا مكاناً للتأهيل كما تنادي بذلك القوانين الدولية، بل كان أداة للقتل والتصفية ونزع الروح المتمردة والثائرة في الإنسان الفلسطيني

ليتحول من مجرد إنسان إلى رقم لا قيمة له، محطماً ومدمراً بلا قناعات ثورية" (قراقع، ٢٠٠١: ١٥).

يهدف الاعتقال إلى منع المقاوم الفلسطيني من لعب دوره في مقاومة الاحتلال، ولكن السجن والاعتقال يشكلان أسلوباً عقابياً يستمر باستمرار الأسير داخل السجن، ويتخذ أشكالاً عديدة منها الاعتقال المستند إلى حكم، والاعتقال الإداري (وهو اعتقال يأمر به قائد المنطقة العسكري ويتراوح بين ستة شهور إلى سنة قابلة للتجديد دون إنذار مسبق ودون تهمة/"إدانة" توجه للمعتقل)، ويتم استخدامه كعقاب للأسير الفلسطيني ووسيلة لتدميره نفسياً وجسدياً (الرياحي، ٢٠٠٤: ١٣). وذلك بذريعة مبررات كثيرة، ولكن أهمها هو ذلك المتعلق بالمحافظة على "الحريات" الخاصة بالمجتمع "الإسرائيلي"، ويبرز ذلك في مصادرة حرية المعتقل الفلسطيني خوفاً منهم على حرية المحتل الإسرائيلي، بمعنى تفضيل الحق الجماعي "الإسرائيلي" على الفردي الفلسطيني، وتحويل الصراع العربي – الصهيوني إلى قضية فردية يتم البت بها، وكأن مشكلة الاحتلال وجود مجموعة من الأفراد الفلسطينيين "الخارجين عن القانون"، والذين يهددوا حريات المجتمع "الإسرائيلي"، وليست القضية تتمحور في حق الشعب الفلسطيني في العيش بحرية "وإن كان تبرير الاعتقال الإداري على أنه يمثل مصادرة لحرية الأفراد لمصلحة الأمن العام" (الرياحي، ٢٠٠٤: ١٧). حيث جرى خلال الاحتلال بنى قانونية جديدة مغايرة لتلك التي كانت موجودة، ليس للحفاظ على الوضع القائم، بل من أجل إحكام فرض سيطرة الاحتلال على الأراضي المحتلة، وفرض هيمنتها، عبر وجود تقنين للممارسات الاحتلالية في الاعتقال والاعتقال الإداري عبر مجموعة من الأوامر العسكرية، مع موافقات من المحكمة العليا الإسرائيلية (قسيس – نخلة، ٢٠٠٩).

كما أن الحفاظ على "النظام القضائي" مهم جداً للاحتلال "إذ كان باستطاعة السلطات زج

المؤلفين والناشرين في السجن دون تمريرهم عبر الطقوس المعقدة للمحاكم. وعوضاً عن هذا، كانوا بحاجة إلى إظهار عدالة حكومتهم لأهل البلاد، ولأنفسهم وهو الأكثر أهمية" (فوركاد في فرو، ٢٠٠٧: ٣٤٨)، ويظهر هذا المثل في تعامل الاستعمار البريطاني في الهند تفسيراً لأهمية النظام القضائي للمستعمر قبل المجتمع الخاضع للاستعمار.

يمر القمع والضبط الممارس إلى مستويات متعددة منها ما يسبق "إصدار الحكم" عن طريق الاعتقال "بالخطف" ومحاصرة المنازل لاعتقال الشخص المطلوب "عادة ما يسبق اقتحام المنازل محاصرتها وتطويقها بهدف السيطرة على جميع منافذ المنزل ومنع أي شخص من الفرار" (أبو حليمة، ٢٠٠٤: ١١)، ومن ثم ما يعرف بالتحقيق لانتزاع اعترافات من المعتقل تساعد في "المهمة" الأمنية لأجهزة المخابرات الإسرائيلية، وإعطاء صبغة قانونية لهذه الممارسات مثل البند ٤/٧ من تقرير "لجنة لنداو: "يجب أن تتركز وسائل الضغط في الأساس على الضغط النفسي وليس على العنف الجسدي، وعلى التحقيق الجسدي المتواصل عن طريق الحيلة بما في ذلك أعمال التضليل، إلا أنه إذا فشلت تلك الأساليب في تحقيق الهدف فلا مانع من استخدام درجة معتدلة من الضغط الجسدي!!" (الضمير، ٢٠٠٥)، هذا التشريع القانوني لاستخدام التعذيب أثناء التحقيق يكون هو المرحلة الأولى من مراحل الاعتقال تتلوه مراحل مختلفة تتنوع وتختلف الأساليب المستخدمة فيها إلا أن هدفها واحد، وهو تطويع المعتقل لفكرة تقبل "الاحتلال" والتعايش معه، بل والاستسلام والخضوع التام له.

لكن المرحلة الثانية الرئيسة بعد انتهاء التحقيق هي فترة الاعتقال أو السجن وهي تتراوح بين فترات قصيرة إلى طويلة حسب "الحكم" الذي تصدره المحاكم العسكرية – هذا إذا توفرت الإدانة بمفهوم الاحتلال-، ويقضيها الأسير إما في المعتقل (وهو عبارة عن مجموعة من الخيام يقبع بها آلاف المعتقلين، ويدير المعتقلات الجيش الإسرائيلي التابع لوزارة الدفاع،

وهي خاصة بالفلسطينيين المتهمين أمنياً، وهي منتشرة في مناطق الضفة مثل معتقل عوفر، وفي الداخل مثل النقب ومجدو (التي تحولت إدارتها مؤخراً لمصلحة السجون المركزية الإسرائيلية، ومعها تحولات في تصميم السجون بناء على الخبرات المتراكمة لديها) أو أحد السجون المركزية (عبارة عن زنازين إسمنتية، ويخضع لمصلحة السجون المركزية، وهي منتشرة بالداخل، وتختص بالمعتقلين ذوي الأحكام العالية غالباً)، لكن بشكل عام تتشابه الظروف بين المكانين "الحرمان البيئي العام والظروف القاسية التي يتسم بها المعتقل. إن طبيعة المعتقل تخلق حالة من التوتر النفسي فالأسلاك الشائكة التي تحيط بالمعتقلين، والجنود المدججين بالسلاح، والذين يتجولون ليل نهار حول أقسام المعتقلين، أبراج المراقبة والكشافات طوال الليل وازدحام خيم المعتقلين" (الرياحي، ٢٠٠٤: ٤٢)، حيث أن الهدف من هذه البيئة إشعار المعتقل دوماً بالضغط الذي يرزح تحته، وأن سبب وجوده هنا أصلاً هو الذي أدى إلى هذه النتيجة، وأنه إذا انتفى السبب انتفت النتيجة، في معادلة بسيطة تقلب "الوعي" الفلسطيني الذي يقوم على فكرة إنكار الاحتلال لأنه غير مشروع.

خلاصة:

في هذا الفصل حاولت أن أناقش البنية الأيديولوجية للاستعمار، وكيف أن الصهيونية كجزء من هذه الأيديولوجية تستخدم تبريراتها ومسوغاتها المختلفة لاستمرار السيطرة والهيمنة على شعب بأكمله. كما أناقش كيف أن هذه البنية الأيديولوجية أنتجت أداة السجن في السياق الاستعماري الصهيوني كأداة تطويع وقمع وضبط للفرد/ الجماعة التي تخرج عن "قوانين" المحتل.

مع تطوير للمفاهيم المتعلقة بالسجن، الزمان والمكان في السياق الاستعماري، حيث أن المعرفة الاستعمارية في هذا المجال مقتصرة على الحيز العام (الدولة)، والمعرفة الفلسطينية ما زال دون اهتمامها تطوير هذا النقاش النظري لقضية مؤثرة.

لذا يأتي نقاش دور السجن "الإسرائيلي" من جانب أنه أداة أيديولوجية ومؤسسة تعمل على تحقيق أهداف الاحتلال، ويوظف لها إمكانيات عالية لتطوير الجانب القمعي للسجن، ولكنه يواجه بمقاومة من قبل بنية مضادة تعيق تحقيق أهدافه، بل وتنجح في موازاته في خلق زمان موازي لزمان الأسر يمتلأ برنامجاً مختلفاً عن خطط له الاحتلال، مع نجاح جزئي في التكيف مع المكان، لم تفحص في النظريات والأدبيات الأجنبية حول الموضوع.

الفصل الثاني: السجن "الإسرائيلي" كزمان ومكان

تقديم:

هذا الفصل سوف يناقش تحليلاً للسجن "الإسرائيلي، من خلال تفكيك هذا السجن إلى أجزاء، وتوضيح آليات عمل كل جزء ضمن النظام الكامل للسجن. كما يناقش الرؤية المضادة من قبل الأسرى، وكيف يتقاطع عملهم المضاد مع الوظيفة الأساسية للسجن داخل النظام الاستعماري.

وينحو بنفس الطريقة في تحليل مفهومي الزمان والمكان، وتحليل كل مفهوم إلى أجزاء عمل/ وظيفة داخل السجن، بحيث يتم التعاطي مع الزمان والمكان من خلال ارتباطهما الأساسي بالسجن وتجربة الأسرى. ولما لأهمية تجربة الأسرى يتم الاستناد إلى تجارب ودراسات ونصوص فلسطينية بالأساس ناتجة عن الحركة الأسيرة أو لباحثين ذوي صلة من أجل توضيح هذا الارتباط غير الموضح في النظريات والدراسات التي تناولت مفاهيم السجن، الزمان والمكان.

وفي نهاية الفصل يتم الوصول إلى استخلاصات رئيسة ذات علاقة بالسجن الاستعماري كزمان ومكان في السياق الفلسطيني.

السجن "الإسرائيلي" حالة استعمارية:

السجن عبارة عن مكان يتم فيه وضع المعتقلين عبر سلب حريتهم الكاملة ونقلهم إلى مكان مختلف، فيه الغرف والأقسام، وفيه مواعيد الصحو والنوم والأكل والمشي، وفيه العديد من الإجراءات العقابية الأخرى التي تهدف للعمل على تطويع روح وجسد المعتقل من أجل تطويعه. (فوكو، ١٩٩٠، الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية، ١٩٧٩).

لكن هذا كله يشكل السجن والمعتقل، فكيف يمكن تفكيكه إلى أجزاء أصغر لفهمه، هذا ما يحاول الفصل توضيحه عبر محاولة الإمساك بمفهوم الزمان، ومن ثم مفهوم المكان وتفكيك كلاً منهما على حدا، ومن إعادة تشكيل الصورة الأكبر للسجن.

يمكن تصور التقسيم الهندسي داخل السجن على أنه أسوار عالية تحيط بها أسلاك شائكة وتعلوها أبراج مراقبة في مناطق معزولة عن مناطق الحضر، تهيئ للسجين أنه بعيد كل البعد عن كل ما كان يعرفه، وأنه منقطع لفترة طويلة عن الحياة، ثم داخل السجن نفسه حيث يتم تقسيم السجن إلى غرف، ومجموعة الغرف تشكل أقساماً، وفي حالة المعتقلات خيم، مجموعة الخيم تشكل أقساماً، والسجن يتكون من عدة أقسام بهدف إحكام المراقبة والسيطرة من أصغر نقطة وهي الغرفة و/ أو الخيمة ومن ثم القسم إلى السجن بأكمله. هذا التقسيم لجماعة السجناء إلى أفراد وجماعات أصغر بهدف تسهيل مهمة التحكم بهم، وإشعارهم بالعجز عن التصرف، ولفرض شعور اختلاف المصير ما بين الأقسام المتجاورة، والانصياع لأوامر سجانيهم المدججين بالسلاح، والذين يملكون الحق في الأخذ والعطاء. وبالحديث عن السجن نفسه تتوفر ساحة من أجل "الفورة" وهي الاستراحة اليومية (أو الفسحة التي تقطع تواصل العيش بين الجدران) المحددة بوقت محدد يشرف عليها عدد من أبراج المراقبة من اجل استمرار إشعار المعتقلين بمراقبتهم والتحكم بهم، وأن الحارس نفسه يمتلك وفق شروطه إعطاء "امتياز" الفسحة.

إذاً تتفق داخل السجن هندسة المكان مع علاقات التحكم والسيطرة بآن واحد لتشكل كلاً واحداً مسيطراً ومهيمناً على السجناء والمعتقلين، ويرافق هذا كذلك حرمان المعتقل من مجموعة كبيرة من حقوقه إلى جانب حريته، والحرمان، أي حرمان الأسير من رؤية وملامسة أهله وأبنائه، والحرمان من النوم والمطالعة والقراءة والدراسة كما هو يريد وليس كما تريد

مصلحة السجون، والحرمان من ممارسة حياته كإنسان اجتماعي ومن التعامل معه كإنسان له حقوق طبيعية، والحرمان من المثول أمام محكمة حقيقية، الحرمان من الاستحمام ومن استخدام المراحيض أثناء التوقيف وفترة "التحقيق"، والاستعاضة عنها بسطل (جردل) يقضي الأسير به حاجته من وراء حجاب (بطانية معلقة) تنبعث منه الروائح الكريهة في كل أنحاء الغرفة (الزنزانة) أو الخيمة، والحرمان من الدواء والخدمات الصحية والعلاجية، الحرمان من كل وسائل الحياة التي تحافظ على إنسانية الإنسان كإنسان وليس مجرد رقم في قائمة يتم تغيره وتجديده حسب مزاج إدارة السجن (أبو عطوان، ٢٠٠٥).

بالإضافة إلى الحرمان من حقوق المعتقل يتم استخدام أساليب ووسائل بهدف التأكيد على ضبط المعتقلين وتطويعهم في نهاية الأمر، ويمكن إجمال هذه الأساليب والوسائل التالية: (الرياحي، ٢٠٠٤: ٥٧-٥٨).

١. عزل المعتقل في الزنازين.
٢. رش المعتقلين بكميات ضخمة من الغاز المسيل للدموع، وقنابل الصوت.
٣. قلة ورداءة الطعام المقدم للأسرى.
٤. تقليص الاحتياجات المقدمة للسجناء، والتهديد بالقوة بشكل دائم.
٥. نقل الشخص المعتقل من معتقل إلى آخر بهدف عدم استقرار المعتقل.
٦. التفتيش المستمر للأقسام والتفتيش المهين للأسرى.
٧. تكبيل أرجل المعتقلين وأياديهم، أو تصويب أسلحة الجنود باتجاههم سواء في أثناء النقل من قسم إلى أخر، أو من معتقل إلى معتقل أخر.
٨. الشتائم التي يتلقاها المعتقلون، وممكن أن يتعرض المعتقل للضرب وهو مكبل اليدين.
٩. فرض نوعية اللباس ولونه وكمية المواد وأنواعها التي يسمح للأسير إدخالها إذا تحققت له الزيارة.

وعند مراجعة المواثيق والمعاهدات الدولية في هذا الخصوص نرى أن سجون ومعتقلات الاحتلال تخالف كل ما هو مكتوب فيها، فقضاء مدة في السجن هي العقوبة بحد ذاتها، إلا أن الاحتلال يستمر في عقابه طوال فترة الحكم، ونرى هذا بصورة واضحة عند مقارنته مع نص بهذا الخصوص من المواثيق الدولية "يقضي كثير من الأفراد عقوبات في المؤسسات العقابية. هؤلاء موجودين في السجن باعتباره عقوبة وليس من أجل استمرار العقاب. وتتكون العقوبة هنا من سلب الحرية. ويجب ألا تستخدم ظروف السجن كعقوبة إضافية. ويجب تقليل أي آثار سلبية تنشأ عن السجن إلى حدها الأدنى. ولأن حياة السجن لن تكون أبداً حياة طبيعية، فإن الظروف في السجن يجب أن تكون قريبة من الحياة العادية كلما أمكن ذلك بغض النظر عن فقدان الحرية" (المنظمة الدولي للإصلاح الجنائي، ١٩٩٧: ٧)، ويبدو هذا الأمر المطلوب بعيداً جداً عن واقع الأسرى في السجون والمعتقلات الصهيونية.

سمات السجن:

لكن سمات السجن "الإسرائيلي" لا تؤكد بالضرورة قناعة الاحتلال بالنظم الدولية للسجن، فنستطيع تأكيد ذلك من خلال مراجعة سمات السجن، كما حددها باحث درس شعر السجون والمعتقلات ليخرج بجملة من السمات، وهي:

- المساحة الضيقة
- الرطوبة والعفن
- عالم الظلمة والقتامة
- الصمت الرهيب
- قضبان وجدران وقيود
- أقبية التحقيق
- الزنزانة الانفرادية

- غرف السجن وتكوين الذات الجماعية (أبو شمالة، ٢٠٠١: ٢٩).

ورغم أن هذه السمات لا تتبع نسقاً معيناً إلا أنها تحاول أجمال سمات السجن من الناحيتين الموضوعية ذات العلاقة المباشرة بالسجن، والذاتية المرتبطة بالمعتقل نفسه (تكوين الذات الجماعية).

هذه الإجراءات من قبل إدارات السجون والمعتقلات هي إجراءات بهدف النيل من إرادة المعتقل أولاً وأخيراً، وصولاً إلى جسد خاضع وإرادة عاجزة عن الاستمرار في لعب دور فاعل في عملية المقاومة بعد الخروج من السجن أو المعتقل، بل والوصول إلى تحييد "الفرد" ومن ثم نقل تجربته إلى سائر أعضاء المجتمع (العائلة، الأصدقاء، الحزب) بعد إطلاق سراحه، ويبدو واضحاً أن هناك دور "تطويري" لهيئات إدارة السجون في عملية التعلم من تجربة السجن "يمتلك مكتب العالم الرئيسي في وزارة الأمن الداخلي الصلاحية والمسؤولية عن موضوع البحث والتطوير العلمي والتكنولوجي، العلاقات الخارجية في مواضيع علمية وتكنولوجية المرتبطة بمجال عمل وزارة الأمن الداخلي، الشرطة وإدارة السجون. مكتب العالم الرئيسي هو هيئة مهنية علمية، هدفها تزويد وزير الأمن الداخلي، وزارة الأمن الداخلي، شرطة إسرائيل وإدارة السجون، البنية العلمية بغية المساعدة في بناء سياسة العمل، تحديد سلم الأولويات واتخاذ القرارات في مجالات مسؤولية وزارة الأمن الداخلي والأذرع التابعة لها. (موقع وزارة الأمن الداخلي، ٢٠١٠/١١/١١). حيث نلاحظ وجود هيئة "علمية" مكونة من كفاءات مختلفة هدفها دراسة الإجراءات العقابية والضبط الممارس، وتعديل تلك الإجراءات والعقابات حتى تحقق أهدافها.

هذه الهيئة التي تستند إلى الاختبارات والتجارب والملاحظات عن الأسرى الفلسطينيين،

تستفيد أيضاً من الدراسات في دول أخرى، ويمكن في هذا السياق الاستناد إلى تجارب نفسية أمريكية للتعبير عن تغيير الأسير من مقاوم إلى "محايد" تجاه الاحتلال، نظرية أيوين كاميرون المتمثلة في الدخول إلى عقول مرضاه، وكسر الأنماط السلوكية المرضية القديمة، بهدف إعادة تشكيل الذهن (كلاين، ٢٠٠٩)، وهذا معناه أن تعمل العقابات المختلفة على الوعي بهدف تحويله إلى وضع مناسب للاحتلال، كما سنلاحظ في تجارب المعتقلين حول التحقيق والعزل.

وعلى الرغم من توفير الاحتلال لكافة الشروط والوسائل من اجل السيطرة على المكان وعلى الجسد والإرادة إلا أن المعتقلين نجحوا في بناء أشكال مقاومة داخل السجون والمعتقلات كتمرد منظم وواعٍ لبنية السجن ودوره المفترض.

أيديولوجيا الحركة الأسيرة مقابل "أيديولوجيا" السجن:

هل يمكن اعتبار المواجهة المستمرة بين الحركة الأسيرة وسلطات الاحتلال جزءاً من الصراع الخارجي الكلي نحو الوجود الإنساني التاريخي على هذه البقعة من الأرض "هناك خرافة عنيدة تشكل جزءاً من أيديولوجية الأبارتايد وروج لها تاريخ رسمي متواطئ، تزعم بأنهم وجدوا جنوب أفريقية خالياً من كل حضور إنساني، وهو ما يعطيهم الحق في اعتبار أنفسهم السكان الأصليين" (مبوكولو في فرو، ٢٠٠٧: ٤٨٤).

كما في نفي الحضور الإنساني أو التقليل من شأنه، كذلك هناك انقسام في الحيز/ المكان بين المستعمر والمستعمَر "والمنطقة التي يسكنها المستعمَرون لا تكمل المنطقة التي يسكنها المستعمِرون، أن هاتين المنطقتين تتعارضان... أنهما تخضعان لمبدأ التنافي المتبادل، فلا سبيل إلى مصالحة: إن أحد الطرفين زائد يجب أن يزول" (فانون، ١٩٨٥: ٢١).

تعتبر الحركة الأسيرة في سجون ومعتقلات الاحتلال جزءاً لا يتجزأ من الحركة الوطنية، ومع بدء الاحتلال بافتتاح سجونه واعتقال عدد كبير من المقاومين، بدأت الحركة الأسيرة بالتبلور كحركة منظمة منذ السبعينيات "بدأ الأسرى بخوض النضال دفاعاً عن كرامتهم الوطنية التي كانت تتعرض للتدمير إضافة إلى محاولتهم بناء كيانهم المؤسسي والاعتقالي المنظم وتشكيل الأطر التنظيمية والسياسية ونشر الوعي السياسي والفكري في صفوفهم" (قراقع، ٢٠٠٢). هذا ضمن مواجهة الحركة الأسيرة لقضية الاعتقال والسجن، لكن لم تغفل الحركة الوطنية مواجهة مراحل ما قبل الاعتقال، ومرحلة التحقيق على اعتبار أنهما مرحلتان مهمتان في إخضاع المعتقل، وانتزاع المعلومات منه، لذا تبلورت فلسفة المواجهة عبر عنها كتاب " فلسفة المواجهة وراء القضبان" من إعداد أحد المعتقلين لمواجهة طرق التعذيب وانتزاع الاعتراف، وهو يقوم على التحضير النفسي مدركاً لأهمية الحفاظ على "النفس" والإرادة سليمتين ومنتصرتين في هذه المعركة "لا يبدأ التحقيق معك في اليوم الأول أو الثاني، إن الزمن يفقد قيمته عندهم، إلا إذا كانوا هم في عجلة من أمرهم. كل شيء هناك بطيء، فلا تتأثر نفسياً، وحافظ على صلابتك التي دفعتك إلى المشاركة في نضال شعبك" (حتر، ٢٠٠٣)، وتتضح هنا معالم التنظيم الذي بدأ قبل الدخول للسجن، ويستمر معه داخل السجن، وهو بمثابة إعداد وقائي قد يقي المناضل/ة آفة التحقيق و/أو السجن كما رسمها وهندسها المحتل.

لكن إدارات السجون تطور من أدوات عملها من أجل تحقيق الأهداف المرسومة "إن التعذيب، أو ما يسمى بلغة وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، "الاستجواب القسري"، هو عبارة عن مجموعة تقنيات مصممة لإدخال السجناء في حالة من الضياع والصدمة العميقين بهدف إجبارهم على تقديم التنازلات رغم إراداتهم. وقد تم تفصيل المنطق الموجه إلى هذه التقنية في دليلين لوكالة الاستخبارات المركزية أبصرا النور في أواخر التسعينيات. ويشرح هذان الدليلان أن الطريقة التي تهز فيها "المصادر المقاومة"، تكمن في التسبب في انسلاخات عنيفة

بينها وبين قدرتها على إدراك العالم المحيط بها. في البدء، تحرم الحواس كلياً من استقبال أي معلومات (وذلك بواسطة الأغطية وسطامي الأذنين والأغلال والعزل التام). من ثم يعصف الجسد بمحفزات مفرطة القوة (أضواء مبهرة، وموسيقى صاخبة، وضرب وصدمات كهربائية). والهدف من مرحلة "التطويع" هذه، هو تحفيز نوع من الإعصار في الدماغ: فيستسلم السجين، ويشتد الخوف في نفسه إلى درجة أنه يصبح عاجزاً في التفكير بعقلانية أو حماية مصالحه الخاصة. ويكشف معظم السجناء في تلك المرحلة من الصدمة، عن كل ما يريد مستجوبوهم أن يحصلوا عليه من معلومات واعترافات أو تخل عن معتقدات سابقة" (كلاين، ٢٠٠٩: ٣٠)، ونرى من هذا النص الطويل أن أهمية التحقيق في خلق حالة من الانفصال عن الزمان والمكان "الطبيعي" الخارجي، وإدخال الأسير إلى أجواء جديدة ليس باستطاعته أن يسيطر عليها وصولاً للتطويع والانهيار. كما العمل على الحواس وتحديداً للتأثير على منطق التفكير، وانهيار منظومة التفكير السابق، ويبدو من تجارب الأسرى الفلسطينيين أن "الإسرائيليين" أما تعلموا جيداً أو علموا جيداً الأمريكيين وسائل التعذيب.

ومع تعدد مراحل الاعتقال التي سبق وصفها تتعدد معها مراحل التحضير للمعتقلين لمواجهة علاقات القوة، وذلك بالأساس عن طريق "الجماعة" وهي مجموع الأسرى داخل سجون الاحتلال، لذا نرى كتاب أعد لهذا الغرض وهو "(بطولات في أقبية التحقيق)، وما يقيمونه بينهم من علاقات، وتراتبيات تنظيمية تسهم عملية ضبط المعتقلين من قبل التنظيمات والحركة الأسيرة ككل "حيث وجود جماعة منظمة مهمة في حياة المعتقلين، يعكس وجودها حالة من الانضباط وتخفيف الاعتداءات وتوجيه طاقة المعتقلين في الاتجاه الصحيح" (الرياحي، ٢٠٠٤: ٤٤)، كما تبرز أهمية الجماعة في مقاومة تقسيم إدارة السجون المعتقلين إلى أفراد منقسمين، وبهذا يصبح وجود الجماعة مبرراً قوياً لمواجهة عملية الضبط والتقسيم الفردي التي تقوم به الإدارة.

ويحدد قراقع دور هذا الجماعة "بناء المؤسسة الاعتقالية التي امتازت بالدقة والالتزام والانضباط والقدرة العالية على التصدي والمواجهة إذ أصبحت السجون مدارس وقلاعاً ثورية بعد أن أرادت مصلحة السجون أن تكون مواقع للإفراغ السياسي والتدمير الإنساني" (قراقع، ٢٠٠١: ٢٩).

لكن دور الجماعة لا يقتصر على هذا فقط بل يمتد ليشمل كافي مناحي حياة المعتقلين ليصبح "انضباطاً" ومراقبة للمعتقلين داخل "انضباط" ومراقبة السجان نفسه، لكن في تناقض جوهري يستخدم الوسائل نفسها من ضبط ومراقبة لأغراض مختلفة متصارعة مع بعضها كما سيتضح لاحقاً.

الجماعة داخل السجون والمعتقلات تتبع تقسيماً للأدوار والمسؤوليات وذلك عبر رتب داخل السجن، بحيث أن هناك لكل خيمة و/ أو غرفة "شاويش" وهو يمثل تنفيذياً مجموعة المعتقلين في هذا المكان أمام أي احتكاك بإدارة السجون، وهذا بدوره يمنع الاحتكاك المباشر بين المعتقلين والجنود ويقلل من مخاطر الاحتكاك، كذلك يوجد مسؤول تنظيمي داخل الخيمة/ الغرفة من بين المعتقلين ودوره هو تنظيم وتوزيع المسؤوليات داخل الغرفة/ الخيمة، وضبط الأمور بين المعتقلين، ومتابعة قضاياهم، وحل مشاكلهم، وهو بالتالي الآمر الناهي في هذا المكان.

كذلك يوجد شاويش للساحة أثناء "الفورة" استراحة السجناء في فسحة ضيقة داخل المعتقل، وهو يشرف على المعتقلين ويتأكد من عدم قيامهم بأمور ممنوعة مثل الاقتراب من الجنود أو محادثتهم (أ.ر: ٢٠٠٨/١٢/٢٧). هذا التقسيم التنظيمي، والقائم أساساً على جملة من المعايير والمحددات، والتي تشمل مدة الانتماء، المرتبة الحزبية، القدرة على أداء المهام، وغيرها، وقد تؤثر فيها جملة من الاستعدادات المسبقة مثل الحجم التدريب الذي تلقاه في الخارج،

المعرفة والمهارات، بما يؤدي إلى خلق التراتبية داخل نظام الحركة الفصائلية داخل السجن (Silberman, ١٩٩٣).

انتقالا إلى الأقسام التي تتشكل من الخيم والغرف، وتشكل هي السجن بذاته، نرى وجود بنية تنظيمية للحركة الأسيرة تتمثل في وجود ما يسمى "بنضالية فرعية" وهي تتكون من التنظيمات الموجودة في السجن، ويتم التمثيل فيها حسب عدد المعتقلين المنتمين لكل تنظيم، وهي تشرف على القضايا العامة المتعلقة بالقسم، وهي تعتبر مرجعية ذلك القسم، كما يوجد "نضالية عامة" تتشكل بنفس الطريقة، وهي فقط التي يسمح لها بالجلوس مع إدارة السجون من اجل أي حوار أو مطلب أو حسم أي قضية تتعلق بذلك السجن من نواحي عامة أو وطنية أو اجتماعية أو مالية، وهي كذلك تصدر قرارات عامة يلتزم بها السجناء، مثل الإضراب عن الطعام، والتصعيد مع إدارات السجون (أ.ر، ٢٠٠٨/١٢/٢٧).

وهنا نلاحظ أن التقسيم الهندسي (مكانياً، وأوامرياً) من قبل الاحتلال للسجن قد قوبل بتقسيم تنظيمي ووظيفي للحركة الأسيرة يتم من خلاله المقاومة والتمرد على سلطات السجن وتقوية المعتقلين، وتخريجهم أقوى وأوعى من السجن، بما يعني أن الحركة الأسيرة أخذت تضع لبنات بنيتها لتكن على تضاد وتصادم مع بنية السجن.

بالانتقال إلى عمليات الضبط الداخلية من قبل الحركة الأسيرة، حيث تفرض مجموعة من الممنوعات التي يجب أن يبتعد عنها المعتقل، تضاف إلى تلك المفروضة أصلاً من قبل إدارة السجن، وهي تهدف بالتأكيد إلى ضمان سيطرتها على مجموع المعتقلين، وسيادة سلطتها مقابل سلطة إدارة السجن، وإفشال تحقيق أهداف الاحتلال، ومن هذه الممنوعات "لبس الشورت" أي اللباس القصير، وكذلك لعب الشدة، منع الحديث مع الجنود، محاولة منع ممارسة العادة

السرية، وفرض رقابة على مشاهدة التلفزيون ونوعية ما تتم مشاهدته، وهناك الكثير من هذه الممنوعات داخل إطار حياة جماعة الأسر (أ.ر: ٢٠٠٨/١٢/٢٧).

مقابل هذه الممنوعات هناك أمور يجب القيام بها، حيث أن بعض التنظيمات داخل السجن كانت تفرض جلسة يومية أو أكثر لأعضائها داخل الخيمة/ الغرفة، ويتم خلالها نقاش قضايا نظرية أو فكرية، كذلك كان الشطرنج يشجع داخل السجن لأنه يحث على التفكير، وكانت تقام بطولات للشطرنج داخل السجون، كما كانت تشجع الرياضة وعادات القراءة، بل أحياناً فرض على السجناء القراءة، وقامت صفوف داخل السجن لتعليم القراءة والكتابة واللغات المختلفة.

الحركة الأسيرة بنية مضادة:

يتضح أهمية دور الجماعة داخل السجون والمعتقلات في تنظيم حياة مجموع المعتقلين، وعدم تعريضهم لإجراءات الإدارة، بل ومقاومتها والتمرد عليها، وما زال في الذاكرة القريبة العديد من الإضرابات عن الطعام داخل السجون وخارجها (تضامناً مع إضراب داخل السجون كان يتم تنسيق إضراب عن الطعام داخل المناطق الفلسطينية) بناء على قرار الحركة الأسيرة من اجل إلزام إدارة السجون على تحقيق مطالب معينة للمعتقلين، وهو ما كان يسمى "بالنضال المطلبي".

فنستطيع أن نرى مقابل عمليات الاعتقال والتحقيق عملية مضادة مقابلة هي عملية التحضير للاعتقال والتعذيب والتحقيق من خلال إعداد ذهني نفسي، يقوم على عدم إعطاء الاحتلال ما يريده من خلال هذه العمليات، كما نرى مقابل "هندسة" السجون التي تحاول ضبط المعتقلين بأكثر وسيلة ناجعة من خلال التقسيمات المكانية والإجراءات التي تهدف لقمع المعتقلين وعزلهم، نرى "هندسة" تنظيمية تقوم بدور مناقض للهندسة الأولى وتعكس فعلها عن طريق

أجسام تنظيمية تجمع بين السجناء وصولاً إلى جسم المعتقلين داخل السجن، كما يمتد لينسق مع الأجسام الأخرى في السجون والمعتقلات المختلفة، وفي القضايا الهامة وطنياً أو تنظيمياً، تكون جزءاً من القرار الوطني مع القوى والفصائل خارج حدود السجن، وأحياناً خارج حدود الوطن.

هذا نراه إجمالاً في استعادة السيطرة على التحكم بالذات والجماعة "التجارب التاريخية المكتوبة من الأسرى السياسيين عن تجربتهم في الأسر تصنف الظروف المادية في سجن الاستعماري إلى ثلاثة فئات رئيسية هي: مساحة المعيشة، ونوعية وكمية من المواد الغذائية، والعلاج الطبي. في مختلف السجون الإسرائيلية بدأت مجموعات من الأسرى فقط لتنظيم احتجاجات ضد هذه الشروط. وبدأ ممثلين الأسرى التفاوض مع سلطات السجن على كل بند من بنود الظروف المادية، ومن خلال هذه المفاوضات المنظمة أكدوا علاقاتهم المجتمعية التي تسعى دون كلل لاستعادة وكالة السيطرة على حياتهم اليومية في الأسر." (Nashif, ٢٠٠٨: ٢٠٣).

يعمل الاحتلال على مصادرة الحريات الفردية والجماعية من أجل عزل المعتقل وإخضاعه وتطويعه عبر إشعاره "بدونية" تخالف ذلك الإنسان في الخارج، بحيث تقوم على فكرة أساسية محورها أن عملك غير "المشروع" قد أدى بك إلى هذا الوضع، وبالتالي تخليك عنه يؤدي إلى رجوعك لوضعك "الطبيعي،" يقابل هذا ضبط وتثقيف من نوع آخر من قبل الحركة الأسيرة يحدد للمعتقلين قائمة طويلة من الممنوعات والمحظورات داخل السجن، وبالتالي تحاول قيادة الحركة ضبط المعتقلين عن طريق علاقات مساءلة ورقابة، تهدف بالنهاية إلى تثويرهم على قرارات إدارات السجون، وتوازي عملية الضبط عملية أخرى هي عملية التثقيف، والمتابعة، بحيث يتم المحافظة على وعي "ثوري" مرتفع لدى المعتقل مع التزامه وانضباطه بقرارات

وإجراءات الحركة الأسيرة وقيادتها، وهو ما أصبح مجال نقاش كما سنرى في مقابلات الأسرى المحررين.

يبدو من هنا أن هناك تناقضاً جلياً بين بنيتين تحاولان فرض علاقات القوة والسيطرة على المعتقلين إحداهما رسمية ممثلة بإدارة السجن، والثانية غير رسمية ممثلة بقيادة الحركة الأسيرة، لكن الثانية ومن خلال إخضاع المعتقلين لها تنجح في إفشال البنية الأولى، وتستمر في عملية إعداد المعتقلين للخروج والعمل الفاعل في الخارج مع اكتساب المزيد من الوعي والخبرة والصلابة داخل السجن، ويصبح السجن كمكان "جامعة" تخرج العديد من المناضلين والثوريين بدلاً من أن تكون مكاناً يخرج "فرداً" طيعّاً وملتزماً بقرارات وقوانين الاحتلال، فالمكان هنا أضحى حيزاً ووحدةً لمضادين متصارعين، والمحصلة تعتمد القوة والتماسك النسبيين لكلاً منهما.

هذه البنية والعلاقات التي تقوم بإنتاجها وإعادة إنتاجها من خلال الضبط والسيطرة تصبح الأساس في عملية التحليل لدور السجن كمؤسسة تخدم استمرار "الدولة" في سيطرتها، ولذلك يصبح الوضع الفلسطيني بخصوصيته، نموذجاً نظرياً صالحاُ لنقض الفرضية السابقة، لأنها بالأساس لم تدرس تلك البنى والعلاقات التي تتكون داخل البنية الرسمية وتعمل عملاً مناقضاً لها، منتجةً شروط التحرر من الرقابة والسيطرة عبر إكساب الوعي والإرادة القدرة على المصادمة والانتصار.

غير أن استعراض البنية المضادة "الحركة الأسيرة" للسجن ليس هدفاً للدراسة بل للتوضيح أن هذا الجانب ينقل المكان في مضمونه من سيطرة وتحكم إلى تعبئة وتنظيم، ويعمل على تشكيل وعي المعتقلين، وبالتالي تأثيرات السجن لها ما يقابلها.

السجن كزمان ومكان:

السجن هو عالم القيود والسدود، وهو عالم يحكم زمان كل أسير، ويحكم عليه بنسق معين من التصرفات والنشاطات، بل والعقابات المختلفة.

لكن السجن أيضاً ليست وجهة نظر واحدة، فهو يحمل اتجاهين متعارضين ومتصارعين انتقل صراعهما من المجتمع المفتوح إلى السجن "أن السجن مفهوم مكاني سواء كان مكانا أو كلمة. لذا فالسجن مفردة مولدة ودالة علي العلاقة المتأرجحة بين الإنسان والمجتمع. ولأنه أنثي لقربة من الكهف والمغارة والرحم والبئر فهو محمل بما فيه ويرتبط وجوده في الرؤية المشتركة للإنسان وللنظام لهذه العلاقة، وكلاهما يفسرها وفقا لأيديولوجيته الخاصة" (النصير، ٢٠٠٢). إذا السجن كمفهوم يحمل أكثر من بعد، فهو مكان، وهو علاقة متصارعة بين طرفين أو أكثر.

الزمان في السجن:

هل يمكن قياس الزمان داخل حياة الأسر والاعتقال؟ وهل هذا القياس واحد أم نسبي؟ فهل من مضت عليه عشرين عاماً في المعتقل يشابه ذلك الذي قضي عشر سنين؟ وهل للزمان داخل السجن مكوناً واحداً أم أكثر من مكون؟؟؟ (ولسون، ١٩٩٢)

إذا الوقت في السجن ليس كخارجه بل قياسه يخضع لظروف المعتقل ونوعية تكوينه من الخارج، وهو أكثر بكثير من الوقت العادي "الطبيعي"، وبالتالي الحكم الذي يقضيه الأسير لا ينفذ فقط أياماً، بمعنى قطع المسافة الزمنية وحدها، بل مشاعر مرتبطة بهذا الوقت الذي يقضيه المعتقل. فقد يكون المعتقل محكوماً سنة أو سنتين لكن شعوره بهذا الوقت "مدة الحكم" لا تقاس أياماً عادية كما لدى الآخرين في الخارج، فهو يشعر أن المدة أطول بكثير من هذا. "يدرك أنه دخل زمناً جديداً مغايراً لزمن الحرية الذي كان يعيش فيه، أنه زمن الاستلاب،

فهو الأسير المحكوم منذ اللحظة لأوامر أسره" (أبو شمالة، ٢٠٠١: ٢٣٦)، لذا زمن الحرية يختلف تماماً عن زمن الأسر من حيث قيمته ونوعيته، وطريقة عيشه، وعدد أيامه، أنه زمن مختلف نوعياً، وقاطع مع ما قبله، زمن تعلى فيه وتيرة الصراع، وتنكشف عن إرادات متصارعة.

غير أن هذا ليس الملمح الوحيد لمفهوم الزمان، فنراه في بعد أخر له علاقة بوقت الحصول على خدمة أو علاج، فالأمر الذي يحتاج بالشكل "الطبيعي" إلى يوم أو أيام يحتاج إلى أشهر من الوقت داخل المعتقل "أخيراً، وبعد مسيرة طويلة ومضنية، وصلت إلى مستشفى الرملة قطعت هذه المسيرة في ثمانية شهور... المسافة بين عسقلان والرملة ستون كيلومتراً، ولكنها تحتاج إلى هذا الزحف السلحفائي المميت..... فما يعمل في العالم الخارجي في يوم واحد، يحتاج إلى هذه المراحل العسيرة" (الهودلي، ٢٠٠٤: ٩). فقد يعرَف الأسير الزمن بما يملأه من أحداث ورتابة، فماذا يحوي البرنامج اليومي؟ ما هي الفواصل بين الأحداث وتوقعات الأيام؟ إنها متشابهة جدا ورتيبة وروتينية، وهذا ما يعطي الزمن معنىً وفهماً نوعياً داخل السجن، فالأسير يعرف برنامجه اليومي لأسبوع وشهر وسنة قادمة، بما فيها توقعاته لتجدد ومفاجآت أدوات العقاب والقمع الكامنة، القديمة والجديدة.

إذا يتم هندسة اليوم كاملاً وتفصيله من قبل السجان، ويضحي هذا بذاته عقاباً إضافياً بمعيار الدقائق وما تحمله من روتين، رتابة، ناهيك عن عقوبة مضمون ما يقدم من الدرجات المتدنية للعلاج، وقطع المسافات للوصول للمستشفى، بعد انتظار زمني طويل للموافقة على هذه العلاجات الرديئة، تلك اليوميات تصبح مشابهة لعقوبة البوسطة في الوصول للمحكمة أو عند التنقلات القسرية ما بين السجون أو مراكز التحقيق... فالزمن يغدو معرفاً بما يحويه من أحداث يومية ومادية...

من هذا النص نرى أن رحلة العلاج قد استغرقت ثمانية أشهر طويلة مع أنها تحتاج بالسيارة إلى ساعة أو أقل، وفي العالم الخارجي حسب تعبيره تحتاج إلى يوم واحد، ولكن هذا الوقت اللازم للحصول على العلاج داخل المعتقلات والسجون "الإسرائيلية"، هذا إن حصل على العلاج. وهذا الوقت يقضيه المعتقل في المعاناة مع مرضه ولا قدرة له سوى الصبر والانتظار.

الانتظار؛ هل لهذا زمن ووقت، أن وقت الانتظار داخل السجن متعدد ومتنوع فمن انتظار انتهاء وقت التحقيق، والعزل، والزيارة إلى انتظار انتهاء الحكم هذا يبقى كله وقت انتظار "ما أقسى تلك الساعات التي يقضيها المعتقل منتظراً مترقباً، يتابع كل خطوة، كل حركة، تجري في الخارج، يرهف السمع إلى كل صوت، أن الانتظار على هذه الطريقة، يقتل، من الصعب على الإنسان أن يتخطى حالة الانتظار هذه، وينشغل في أمور أخرى... ولا سيما في الأيام الأولى من التحقيق، حيث يتوقع أن يستدعي كل لحظة" (الخليلي، ١٩٧٥: ٤٠).

إذاً الانتظار هو بعد أخر في زمان السجن والاعتقال، وهو قاسي بانتظار حصول أمر تحبه أو لا تحبه، وله مستويات عديدة فهناك الانتظار للذهاب لجلسة تحقيق أو تعذيب وهو انتظار يقاس بالدقائق والساعات، ولكنه بنفس الوقت طويل جداً، لذا يدخل هذا البعد أيضاً وينضم إلى زمان الاعتقال، ومثل زمن إنتظار اسير انقضاء ليلة ليأتي الصباح لمراجعة "الممرض"، وإذا بالدواء غير موجود، كذلك انتظار انتهاء جولة تحقيق للعودة إلى الزنزانة، وهو الانتظار نفسه بعد الملل من الزنزانة وانتظار جولة أخرى من التحقيق، الانتظار يحمل معانٍ مضادة، ينتظر المناضل ساعات وساعات ليتمكن من التبول خلال التحقيق، فهو قد لا يطلب ذلك، كي لا ينكسر أمام المحققين، الإعداد الوقائي المضاد يتواصل ويصل أدق المواقف، فقد ينتظر الأسير نفاذ شهور التحقيق كلها ليتمكن من البوح أنه يكره البيضة المسلوقة التي يعانيها كل صباح.

عكس الانتظار فقدان الإحساس بالوقت لانعدام الأحداث التي تميز الوقت في الخارج، وبالتالي غياب الشعور بالساعات والأيام وعدم القدرة على عدها والتحقق من صحتها "وقد عذبت مرٌة.... بإرغامي على الوقوف في وضع الاستعداد وظهري إلى الباب وأنا ممنوع من الحركة. واستمر الوقوف أياماً، فقدت بعد اليوم العاشر القدرة على عدها" (اليحيى، ٢٠٠٦: ٨٥). هذا البعد يبدو أوضح في صورة التعذيب والعزل الانفرادي بحيث يفقد المعتقل القدرة على تمييز الوقت والإحساس به بحيث قد يبدو اليوم ساعةَ أو العكس تماماً. ويبرز هذا في مكان أخر في نفس النص ولكن هذه المرة للشهور "وبعد شهور لم يتوقف خلالها تعذيبي في أي يوم، شهور لا أتذكر عددها" (اليحيى، ٢٠٠٦: ٨٧)، وعليه يصبح على الأسير بجانب مواجهة التحقيق، مهمة إدراك الوقت والتمسك به لانعكاس ذلك على قدرته على السيطرة والتحكم، مقابل التخطيط المتعمد لإلغاء القدرة على التحكم بالوقت كمدخل للتسليم بأن هذا المكان لا قدرة لك على التحكم به. ومارس بعض الأسرى عادة معرفة الوقت من خلال نوع الوجبة المقدمة لهم، فمعرفة أن البيضة هي وجبة الفطور، إلا إذا قام المحقق بتغيير طريقة تقديم الوجبات.

كما ويتداخل الليل والنهار في أحياناً كثيرة ليشكلوا كتلة واحدة لا فرق بينها عند الأسير "النهار في السجن لا يختلف كثيراً عن الليل بمعناه الزمني بل يتداخل معه بالتكرار والرتابة" (أبو شمالة، ٢٠٠١: ٢٢٧)، فتداخل الوقت ما بين النهار والليل يبدو أمراً "طبيعياً" داخل السجن حيث حكم عليه بفعل لا شيء وانتظار نهاية من نوع ما، فلماذا ينهض الأسير بعد قضاء الليل ليبدأ نهاراً لا جديد فيه يدرك فيه مسبقاً طقوسه المملة ليبدو النهار والليل وقتاً ثقيلاً لا بد من احتماله.

نجد أن طول الليل وقضاءه بالتفكير وانتظار النهار موجود في الشعر العربي القديم، مثاله

شعر عدي بن زيد العبادي:

لكم ليلُ بذي جشم طويل لمن قد شفه همٌ دخيل

وفي هذا البيت تصوير لاشتداد سواد الليل وكثرة الهموم بين ضلوع الشاعر، وانتظاره النهار لعدم قدرته على النوم (الرفوع، ٢٠٠١: ٣٩).

ويبرز في سياق تحليل مفهوم الزمان ومكوناته الأساسية حالة مميزة مرتبطة بالاعتقال الإداري، حيث تم تصنيفها كحالة من القلق من تجديد الاعتقال الإداري "إن التجديد المستمر للاعتقال يجعل المعتقل في حالة من الترقب والانتظار الدائمين، والمسألة الأساسية التي يتميز فيها المعتقل الإداري عن المعتقلين المحكومين هي مسألة موعد الإفراج غير الواضح للمعتقل الإداري (الرياحي، ٢٠٠٤: ٣٧).

وهذا النوع من الانتظار الزمني مرتبط فقط بالاعتقال الإداري حيث ينتظر المعتقل قرار التجديد أو الإفراج عنه لغاية أخر لحظة، ويتكرر هذا في مسلسل هزلي مرات عديدة وصلت إلى سنوات طويلة في عمر البعض، بينما المعتقلين المحكومين يعرفون موعد انتهاء حكمهم والإفراج عنهم.

يضاف إلى هذه المكونات أمر جديد له علاقة بالحاضر والماضي والمستقبل، فهل يرى المعتقل هذه الأزمنة التي تمر بها حياته بنفس نظرة الشخص العادي "الحاضر في السجن نقطة الارتكاز للزمن المحاصر بالجدران والاسيجة" (أبو شمالة، ٢٠٠١: ٢١٥)، فيستعين الأسير بالماضي و/ أو المستقبل لاحتمال الوقت الحاضر الذي يقضيه في السجن، ويستحضر المستقبل القريب أو البعيد لإبعاد الحاضر والهروب منه، رغم أن المستقبل نفسه محكوم عليه بحاضر اليوم، لكن حياة الأسر تصور للمعتقل مستقبل مختلف ومغاير عن حاضره.

إذاً المستقبل مغاير للحاضر السيئ، فكيف الماضي، يرى المعتقل الماضي بصورة الحاضر

ويستحضره ليقيم وضعه الحالي وهل أستحق فعله ونضاله هذا السلب والأسر، فكيف أذا يرى مشروعية قضاء محكوميته في السجن دون استجلاب أسباب الرضى عن الفعل واستحقاق العقوبة، في حالة هروب للخلف أو الأمام لاستجلاب أسباب الرضى، استعاضة عن الحالي بجزء من ماضي جميل، أو استشراف للمستقبل الذي لا احتلال فيه.

لكن ليس دائماً المستقبل بهذا الوضوح، فهناك من مستقبله لم يتضح رغم مرور سنين عديدة "وهذا ما أمده لنا أحد رفاقنا الذي أمضى عشرين عاماً من محكوميته بالأسر حتى هذه اللحظة الممتدة الى أجل قريب بعيد فتاريخ الإفراج يبقى هو المجهول" (الجاغوب، ٢٠٠٧: ٤)، فيبقى المستقبل مجهولاً بانتظار البت فيه هو مادة ليست سيئة أو ايجابية هو انتظار ما سيكون عليه.

التحكم الكامل من خلال إلزامية الوقت وتحديده من قبل سلطة السجون تهدف إلى تعويد الأسرى على الانضباط "حيث حددت لهم وقت الصحوة من النوم في الصباح، لكي تجري العدد الصباحي للسجناء، وحددت وقت الفطور، وحددت وقت النزهة (الفورة)، ووقت الغداء والعشاء والعدد المسائي" (أبو عطوان، ٢٠٠٧). هذا العد الذي يأتي من خلفية الضبط والتحكم، ويأتي أيضاً من سياق المعرفة الاستعمارية "أن المبادرات الاستعمارية المتصلة بالإحصاءات تتنوع أيضاً في الزمان والمكان تبعاً لمقاومة المستعمَرين ومبادراتهم، والذين لا يفقدون، على الرغم من وضعهم كمغلوبين على أمرهم، تماماً وضعهم كأطراف تاريخية فاعلة (فوركاد في فرو، ٢٠٠٧: ٣٢٥) حيث نرى دائماً أن جزء منظومة الاستعمار محاولة استخدام المعرفة لتحقيق أهدافه، ومنها إحصاء السكان للسيطرة عليهم، ويتمثل هذا في السجن عد الأسرى اليومي لنفس الغاية، كما أن هناك إدراك للفاعلية التاريخية للمغلوبين، وهو ما سأتعرض له في البنية المضادة وتجلياتها.

دقات ساعة من الزمان:

هل يتشابه ليل أسير أمضى سنة في الأسر مع ذاك الذي أمضى عشرون! كيف لنا أن نعرف ما معنى الوقت في هذا السياق. السجن كزمان يكتسب بعداً شخصياً- عاطفياً لا موضوعياً في آن واحد، فهو لا يقاس بعدد السنوات والأشهر فقط كقياس موضوعي متفق عليه بين البشر، ولكنه وفي هذه الحالة يكتسب خصوصية لكل أسير، ما معنى الليل والنهار وما الفرق بينهما. ماضيه قبل السجن يشبهه الآن وهو في السجن، وكيف يرى المستقبل، أبعيون الأسير أم بعيون من تحرر وهو ما زال في الأسر.

الإمساك بهذا المفهوم من القضايا الصعبة، لذا نرى أن هناك أزمنة وأوقات، فهناك زمن انتظار جلسة تحقيق، وزمن انتظار زيارة الأهل، زمن انتظار حبة دواء، زمن انتظار مرور لحظات القمع والتعذيب، زمن انتظار مكالمة هاتفية، وزمن انتظار الإفراج أو التمديد. فكلها انتظارات على قارعة انتظار الحرية المأمولة "إن كل جزء من المنظومة يناسبه إيقاع زمني مميز للمتغيرات الآخذة في التطور" (باشلار، ١٩٩٢: ٧٨).

وهناك مستقبل وردي مرهون بتحرر، وهناك مستقبل ضائع لا يعرف ملامح لأسير محكوميته متجددة بفعل اعتقال إداري أو مؤبد غير محدد بمدة، وهناك مستقبل بني على استمرارية ماضي وحاضر، وأخر يقطع مع ما سبقه، ولا يعرف مستقبله بعد.

الإمساك بالزمان أمر صعب، فما كان منذ لحظة حاضراً أصبح الآن ماضياً، وكذلك زمن الاعتقال فهو غريب عنا، وبنفس الوقت نتاج أعمالنا، لذا يبقى زمان السجن مختلف عن أي زمان، إنه حيز من زمن تقاطع وانفصال بذات اللحظة، تتكثف فيه معانٍ من الأضداد، الإرادة والقسر، الحرمان والإصرار على الحرية، الماضي والمستقبل، الراهن ومواجهته.

المكان في السجن:

يبدو المكان في السجن عبارة عن ذلك المعتقل الذي تلفه الأسوار العالية وتمنع الإسير من تنشق نسيم الحرية، وبداخل هذا المكان تقسيمات مختلفة ومتعددة تحدثت عنها في الفصل الأول، ولكن هل يقتصر المكان على أسوار وغرف أو خيم أم يتعدى هذا كله.

مشكلة المكان وحرية الحركة والقيود المفروضة على هذه الحرية هي قضية منتشرة في كافة السجون "وقد أبرز جريتمان سيكس بعض النقاط في معالجة الآلام السجن، حيث أشار إلى أن أهم المشاكل هي القيود التي يفرضها السجن على حرية الحركة، وأنه في السجن يفقد السجين حريته سواء في علاقته بالمجتمع الخارجي أو في الحركة داخل السجن نفسه" (غانم، ١٩٨٨)، ورغم أن هذا النص لم يعالج الكثير من المشاكل والقيود الأخرى التي يفرضها السجن إلا أنه ما يهم هنا هو أن تقييد حرية الحركة من خلال السجن هو أمر منتشر وشائع، ولكن كيف يكتسب إذاً الواقع الفلسطيني خصوصيته، في ظل أن حركته مقيدة في الخارج أيضاً، وكيف تختلف سجون ومعتقلات الاحتلال كمفهوم مكاني عن غيرها. يحاول تحديد ذلك عبد الستار قاسم في دراسته "المعتقلات في العالم تسمح بحرية حركة الجسم في مساحات واسعة مثل النوادي والساحات إلا أن المعتقلات الصهيونية لم تسمح بذلك فحتى ساحة الفورة مقيدة بفترة وهي صغيرة لأن الهدف حرمانه من كافة حقوقه بعد حريته للوصول إلى تجريده ذهنياً وعاطفياً ليتحول إلى أداة (قاسم، ١٩٨٦: ٣٥٣).

معتقلات الاحتلال تختلف عن مثيلاتها فهي لا تكتفي بعقوبة السجن للأسير بل تستمر في عقابه بكافة الطرق الممكنة أثناء قضائه فترة محكوميته، وذلك عبر استخدام المكان، ويبقى السؤال هل المكان محدد بالأسوار والتقسيم الهندسي للمعتقل بشكل عام أم أن هناك مكونات أخرى للمكان، هذا ما سأحاول تقديمه هنا.

في وصف السجن كمكان:

حاول عدد من الباحثين تصنيف وتحديد المكان داخل السجن، فنرى أن العديد منهم لهم تقسيمات مختلفة، ولكن بعضها متقاطع، فخالد الهندي صنف أنماط السجون والمعتقلات في ثلاثة أشكال:

١. أقسام العزل: وفيها يعزل كل معتقل وحده داخل زنزانة، أو يوضع كل أثنين في زنزانة واحدة داخل قسم يضم عدداً من الزنازين بينهما ممر. وفي العادة يعزل السجناء لأسباب تتعلق بخطورة قضاياهم... ويخرج المعتقلون لساحة الفورة (النزهة) فرادى أو مجموعات، حسب قوانين وإجراءات كل سجن، وذلك لساعة أو أكثر يومياً.
٢. أقسام الغرف: وفيها يعيش المعتقلون معاً داخل غرف تتسع الغرفة الواحدة لعدد يتراوح ما بين (٦-٢٥) سجيناً حسب مساحة الغرفة. ومع ذلك فإن المساحة في العادة لا تكفي للعيش والحركة بحرية (بمعدل ١,٥ متر مربع للسجين الواحد). ويضم القسم الواحد عدة غرف تشرف على ممر واحد... ويخرج المعتقلون في عدد من الغرف لساحة الفورة (النزهة) معاً، وذلك لساعتين أو ثلاث ساعات يومياً في أحسن الظروف.
٣. معتقلات مفتوحة: وهي معتقلات أنشأها جيش الاحتلال، ويضم كل معتقل عدداً يزيد أحياناً على ألف سجين، ويعيش داخل خيام تتسع كل خيمة لعدد يزيد على عشرين معتقلاً، ويضم القسم الواحد عدداً من الخيام... ويتمكن المعتقلون من الخروج من خيامهم في أغلب الأوقات (الهندي، ٢٠٠٠: ٤٨).

يرى هذا الباحث بشكل موضوعي السجن من خلال تصنيفات معينة تعني الجانب الهندسي أكثر من جوانب تأثيرات السجن نفسه، وكيفية تعامل الأسير من هذا المكان. يحاول باحث أخر رؤية المكان من زاوية مختلفة كما فعل فايز أبو شمالة، عندما صنف السجن كمكان وقد أكتسب ثلاثة أبعاد هي:

١. المساحة الضيقة: لا تتعدى حرية حركة الجسد داخل غرف السجن بضع خطوات محسوبة ومدروسة جداً بحكم المساحة المخصصة لنزلاء الغرفة، ومن الأمثلة الحية غرف سجن نفحة الصحراوي، التي لا تتجاوز مساحتها خمسة عشر متراً مربعاً يحشر بها ما يقارب من عشرة معتقلين، ينام كل أثنين على سرير بطابقين بحيث لا يستطيع قاطن السرير العلوي الوقوف خشية ارتطام رأسه بالسقف الذي لا يرتفع أكثر من مترين ونصف عن أرض الزنزانة.

٢. الزنزانة الانفرادية: عبارة عن مكان طوله متران وعرضه متر واحد يوجد فيه فرشة واحدة أو اثنتان على الأرض لها باب من الصاج يرتفع باب الزنزانة متران.

٣. غرف السجن وتكوين الذات الجماعية: يؤدي تلاصق الغرف إلى خروج الأسير من الزنزانة الانفرادية ليندمج في الغرف الجماعية التي تعيد وضعه في الجماعة وتوكيل دور له في ظل الجماعة يلعبه ليشعر بأهميته (أبو شمالة، ٢٠٠١).

نلحظ أن هذا التصنيف قد راعى أهمية المكان وتأثيره على المعتقل مع وصف أكثر دقة لهذا الأمكنة التي تكون السجن، وتكون مراحل يمر معظم الأسرى بها. ويتضح أيضاً أن الغرف الجماعية تكتسب أهمية لأنها تعيد دمج الفرد في الجماعة، حيث أن تأثير هذا المكان يعاكس بالضرورة ما قبله.

غير أن هندسة المكان لم تكن عشوائية بل جاءت بتخطيط من قبل الاحتلال، لتعلب دوراً كبيراً في هزم المعتقل نفسه من خلال هذا المكان، فنرى كيفية توزيع الغرف والخيام، وطول الممرات وعرضها، ومساحة دورات المياه المستخدمة بحيث لا تلبي شروط الخصوصية، كذلك ساحة النزهة التي لا تتسع للجميع للقيام بنشاطات جسدية. ويتضح ذلك أكثر في وصف الزنزانة الفردية أو (الأكس وهي زنزانة صغيرة تستخدم للقمع أو التحقيق أو العزل ولا

تكاد تتسع لمكان نوم الأسير) "الزنزانة مصممة بطريقة تقود إلى قهر الإنسان وتفتيت كيانه والقضاء على تكامله النفسي، أنها جو يدفع نحو الركوع والخضوع والاستسلام" (قاسم، ١٩٨٦).

غير أن المكان نفسه يتخذ أحياناً شكلاً أخر في تقييد حرية حركة الأسير ليس من خلال جدران وممرات، بل من خلال ربطه وتكميمه، فنرى ذلك في الأسلوب المسمى (الشبح) المستخدم خاصة أثناء فترة التحقيق مع الأسير لانتزاع اعترافه "الشبح عبارة عن تقييد يدي المعتقل بماسورة أو مربط مثبت في واجهة بحيث يبقى المعتقل واقفاً ولا يستطيع حراكاً سوى نقل ثقل جسده من رجل إلى أخرى، ولا يستطيع ان يفعل شيئاً، وفي رأسه كيس قذر، وقد يكون الشبح ساعات أو أيام طويلة" (قاسم، ١٩٨٦: ٢٧-٢٨).

إذاً السجن كمكان ليس عبارة عن تقييد حركة الأسير بالجدران، بل أحياناً التقييد الفعلي ومنعه من الحركة تماماً عبر استخدام أساليب وحشية مختلفة تهدف إلى الضغط على المعتقل لانتزاع اعترافه وتحطيمه تماماً كانسان مناضل. ومن الأساليب الأخرى المتبعة أثناء التحقيق هي وضع الأسير في خزانة ضيقة بشكل مقلوب أو عادي وهي مقيد اليدين و/ أو الساقين لمدد متفاوتة تصل إلى ساعات طويلة حسب جلسات التحقيق، وبالتالي الأسير لا يستطيع الحركة فهو مقيد ومحشور في خزانة حديدية تمنع عنه كل حركة.

ما يشبه المكان:

ما هو المكان؟ هل هو ذات الفضاء _ الافتراضي_ الانضباطي الذي يمارس سطوةً وعقاباً على الأسرى، وما هي تجلياته على الواقع؟. نلاحظ من خلال ما سبق، أن السجن كمكان أتخذ عدة أوجه، فالسجن هو تلك الخزانة الحديدة التي يحشر فيها الأسير، وهو ذلك الوضع الغريب

حيث الأسير مقيد ومربوط. وهو استمرار للأكس أو الزنزانة الانفرادية التي يعزل فيها الأسير، أو إذا اتسعت حتى لتصبح غرفة للأسرى، أو حتى قسماً فيه عدة غرف مع ممرات فهي كلها موجودة لتقيد حركة جسد الإسير، وتقضي على وعيه، أو تزويده وعياً زائفاً يشبه ذنب مرتكب جريمة جنائية.

لكن المكان يكتسب أيضاً صفات مصممه، فهل تختلف المعتقلات التي بناها الجيش على سورة عدة أقسام مع خيم للأسرى حتى وأنها تبدو مكاناً جميلاً مقارنة بغرف إسمنتية، أم أن وجودها في قلب صحراء جرداء لا حياة فيها ولا ماء مقصود بطريقة أخرى، قتل الروح عبر المكان وكل ما فيه، ولماذا إذا تضاف أسوار عزل بين الأقسام ليشعر كل أسير بفرادنيته، وأنه وحده في هذه المعركة، ولا وحدة حال مع الآخرين كما هيأ له سابقاً.

صورة المكان لن تفارق أذهان من سكونها مجبرين مضحين، ولكن اكتسبت شيئاً من صفاتهم أيضاً فمن خربشة على جدران زنزانة أو باب إلى رسمة هنا أو هناك، تشكل المكان أيضاً بصورة ساكنيه ليكتسب معنى مجازياً أخر هو عنوان الصمود. كما أن أماكن السجون بذاتها (نفحة، رامون، النقب...)، تم تصميمها ووضعها في مكان يوحي بالبعد والعزلة، فخلال رحلة البوسطة، إلى تلك السجون، وقبل الوصول لها، يكون المكان قادراً على عزل الأسير في صحراء تمتد، لا تشعر فيها إلا بالبؤس والمجهول والحر/ البرد واللامتناهي واللا محدود، يتكامل مع عامل الزمن المفتوح والموحش أيضاً.

الزمان والمكان (الزمكان) علاقة عضوية:

فهم السجن كزمان أو مكان لا يعني انفصال المفهومين، بل أن المفهومين في كثير من الأحيان متلاصقين، حيث أن العزل في زنزانة ضيقة يرتبط بمدة زمنية، وكذلك تنفيذ المحكومية في السجن ككل مرتبط بالغرف والأقسام. فنظر العديد من الكتاب والباحثين إلى أن الزمان

والمكان بنية متصلة غير منفصلة، فالعالم عبارة عن زمان-مكان-ذات، ويمكن النظر إلى السجن ضمن هذا السياق، بحيث يتسع الزمان والمكان متوحدة معهما الذات (ذات الاحتلال وذات الأسرى) "إن الحادثة لا يمكن تحديدها بالزمان منفصلاً وبالمكان منفصلاً. الحادثة لا يمكن تحديدها إلا انطلاقاً من وقوعها في جملة من متَّصل الزمكان" (الزركلي، د.ت).

ويمكن توجيه هذا الارتباط ""إذا عرفنا الجمع بين السمات المكانية والسمات الزمانية لظاهرة معينة، نصل، بوسائط مادية، إلى تأطير الظواهر الزمانية في إطار معين" (باشلار، ١٩٩٢: ٨٢).

هذا الارتباط والتواصل ما بين المفهومين يشكل بمعظمه السجون والمعتقلات كما يتصورها الأسرى أنفسهم "ان الحبس الانفرادي قاس ومضجر، وبشكل خاص الأيام الأولى فأن يجد الإنسان نفسه، وقد ودع العالم بكل حركته ومشاكله، وأصبح محشوراً بين جدران ضيقة صماء، تكاد تطبق عليه، يكون من الصعب عليه ان يتكيف بسرعة مع عالمه الجديد والصغير جداً جداً... لا يربطه بالعالم الخارجي إلا خطوات جندي في الممر، أو صوت المحقق بعصاته اللاهية" (الخليلي، ١٩٧٥: ٣٤-٣٥).

لذا الانتقال من رحابة العالم الخارجي إلى ضيق الزنزانة، ومن الفعل الحر إلى القيد الطويل، متداخل بذلك زمن طويل غير محكوم بالفرد، بل بانتظار التحقيق والتعذيب من أجل الوصول إلى الغاية التي يريدوها، هذا التداخل الزمني مع المكاني يؤثر على الأسرى، فيتذكر الأسير أين سيكون الآن في البيت أو العمل أو مكان الدراسة في هذه الساعة، وفي هذه الساعة سيفعل كذا، لذلك لأنه لا انفصال مطلق بين الزمان والمكان كعلاقة عضوية.

والرهان على هذه العلاقة يشكل نسبة كبيرة من التحقيق والسجن معاً، لأن إرباك زمان ومكان

المعتقل يهدف إلى انتزاع الغاية منه، وفي حالة واضحة جداً مورست ضد الشهيد إبراهيم الراعي الذي استشهد إثناء التحقيق قيل له "نحن نعرف بأنك لن تعترف بشيء مهما فعلنا بك ولكننا سنبقيك في الزنازين سنوات معزولاً حتى تفقد عقلك وتتحطم ثم نقتلك بهدوء دون أن يشعر أحد" (الجبهة الشعبية، ٢٠٠٧).

العزل في الزنزانة الانفرادية ليس عزلاً مكانياً وحسياً فقط بل هو أيضاً عزل زماني لأنه غير محدد بمدة، والزمان فيه يختلف عن زمان الغرف الجماعية أو الخيم "العزل هو احتجاز الأسير أو مجموعة من الأسرى في زنازين أو أقسام بعيداً عن زملائهم المعتقلين، فهو عزل اجتماعي بحيث يعيش الأسير وحده أو وسط عدد محدود جداً من الأسرى بدلاً من العيش مع عدد كبير داخل السجون، وهو عزل اعتقالي يحول دون مساهمة المعزول بأي حركة أو نشاط أو تفاعل مع المعتقلين في السجن، وتقليص حركة وحرية الأسير من خلال حصره في زنزانة صغيرة وإبعاده عن أي تطورات تحدث داخل السجون أو في الخارج، حيث أشتكى الأسرى المعزولين من سوء المكان المحتجزين فيه ووصفوه بالقبر، ذلك بسبب عدم وجود شبابيك للتهوية بسبب إغلاقها بالصفيح واقتصار مدة الخروج لساحة النزهة (الفورة) على ساعة بدل أربع ساعات في اليوم، وتدهور وضع الطعام، ووصف الأسير عبد الرحمن غنيمات المعزول في سجن عسقلان ظروف عزله بقوله بأن الزنزانة التي يعيش فيها تبلغ مساحتها ١٩٥*١٧٠ سم ولا يوجد فيها سوى شباك مساحته ٥٠*٥٠ سم ومغلقة بشبك وقضبان ولا مجال فيها للحركة ولا لأداء الصلاة (وزارة الأسرى والمحررين، ٢٠٠٧).

كما أن زعزعة "صورة المكان والزمان" (أنظر كلاين، ٢٠٠٩) من أجل تمكين تطويع الأسير من أجل إجباره على الاعتراف أو القبول بطروحات الاحتلال المختلفة.

الخلاصة:

من خلال استعراض مفهومي الزمان والمكان في السجن الاستعماري، والمكونات المختلفة لكل مفهوم، نجد أن تعرض الدراسات السابقة النظرية لم تتعرض لهذه الجوانب في سياق السجن، فتناول السجن "الإسرائيلي" في السياق الاستعماري يوضح أهمية تفكيك هذه المؤسسة وربطها بذات الوقت مع الأيديولوجية.

فنرى أن هناك تقسيمات هندسية داخل السجن، ولكل تقسيم ووظيفة وغرض يؤديها، كما أن للسجن سمات ووظائف لامكانية ولازمانية تؤثر على الوظيفة العامة للسجن، وكيف أن هناك صراع أيديولوجي داخل السجن لم يتناوله فوكو في تحليله لدور السجن كأداة سياسة في مؤلفه المشهور حول الموضوع. وأن البنية المضادة لها وجود وحضور قوي داخل السجن يوازي حضور أيديولوجية الاحتلال، وأن الصراع بينهما يتخذ كل الأشكال، وحتى محاولة السيطرة على المكان والزمان جزءاً من هذا الصراع.

توصيف الزمان، ومن ثم تحليله على مستوى السجن، وعلى مستوى التجارب الشخصية العميقة للأسرى يوضح أنه ليساً خطاً أحادياً يسير كأيام، بل أن هناك مستويات عدة داخل الزمان متلاصقة مع التجربة، كذلك نرى في المكان الذي ينقسم انقسامات متعددة حاولت أن أحصرها، ووظائفها وكيفية تفاعل الأسرى معها، ليأخذ المكان في السجن أبعاداً متعددة، واستبدال ذلك الوصف الجامد له.

الفصل الثالث: منهجية الدراسة

هذا الفصل يستعرض مشكلة الدراسة وأهدافها، المفاهيم النظرية والإجرائية الأساسية المستخدمة في الدراسة استناداً إلى النظريات والدراسات السابقة التي تم نقاشها في الفصل الأول. كما أقدم أسئلة الدراسة الرئيسة والفرعية، مجتمع الدراسة وطريقة اختيار المبحوثين.

أهداف الدراسة:

تشكل هذه الدراسة محاولة لتحليل وتفكيك السجن في الحالة الاستعمارية، وتحديداً الحالة الفلسطينية التي يتميز الاستعمار بأنه استيطاني- كولونيالي، لذا تأتي محاولة لدراسة السجن "الإسرائيلي" كمؤسسة/ بنية وأيديولوجية من حيث هو زمان ومكان، بالاعتماد أساساً على الجهد المعرفي لفوكو.

تنطلق الدراسة في محاولة استكمال الثغرات في عمل فوكو، من حيث عدم تحليل البنية المضادة داخل السجن الاستعماري، وتأثيراتها المختلفة في السجن كمكان وزمان.

وتأتي أهمية هذه الدراسة أساساً من تحويل التجربة الفلسطينية في الأسر إلى جهد نظري معرفي يتمكن من وضع إطار مفاهيمي لدراسة السجن في سياق هذه التجربة.

مشكلة الدراسة:

يتضح من خلال مراجعة الدراسات السابقة أن ما كتب حول موضوع السجن لم يتناول الدور الاستعماري للسجن والأيديولوجيا المؤثرة في بناءه، وعند نقاش السجن في السياق الاستعماري في فلسطين لم يتم تناول مفهومي المكان والزمان من حيث تحديدهما، كذلك من حيث أثرهما الكامن على المعتقلين من قبل الدراسات الفلسطينية التي تناولت السجن أو أحد

جوانبه.

كما أن تناول الزمان والمكان في بعض الدراسات كان يميل إلى اعتماد الأسلوب الوصفي لظروف السجن، مع تجاهل تحليل السجن كبنية متكاملة ومن ثم الانطلاق بتفكيك مكوناته ودراستها، رغم أن الزمان والمكان هما شرطين/ مكونين للعقاب الأساسي الذي يستهدف جسد ووعي الفلسطيني.

الدراسة تحاول معالجة افتقاد الدراسات المختلفة حول السجن في الحالة الاستعمارية لتحليل عميق للدور الفاعل للحركة الأسيرة الفلسطينية داخل السجون كبنية مضادة للاستعمار تعمل على مقاومة مختلف تأثيرات الاستعمار، ومحاولة تطويع الفلسطيني الثائر، وتحويله إلى إنسان قادر على تقبل العيش تحت الاحتلال دون مقاومته. لذا تنحى الدراسة إلى فحص التأثيرات المختلفة للسجن، وتحديداً الزمانية والمكانية على الأسرى.

أسئلة الدراسة:

الدراسة ستحاول الإجابة على عدة أسئلة متعلقة بالسجن كزمان ومكان:

ما هو السجن في الحالة الاستعمارية؟ ما هي الأيديولوجيا المكونة له؟

السجن الاستعماري "الإسرائيلي" ودوره؟ دور السجون في الضبط والعقاب؟

ما هو السجن كزمان؟

ما هو السجن كمكان؟ أيديولوجية المكان؟

ما هي تأثيرات السجن على الأسرى؟

كما سيتفرع من هذه الأسئلة:

السجن "الإسرائيلي، سماته، التقسيم الهندسي له، أبعاده؟

تضاد الأيديولوجيا في صراع أيديولوجيا الحركة الأسيرة مقابل أيديولوجيا الاحتلال؟ وما هي البنية المضادة؟

في تفكيك الزمان داخل الأسر من حيث؛ هل يمكن قياس الزمان داخل حياة الأسر والاعتقال؟ وهل هذا القياس واحد أم نسبي؟ وهل للزمان داخل السجن مكوناً واحداً أم أكثر من مكون؟ زمن التحقيق، زمن العزل، فصول السجن، التفاوت بالشعور بالوقت داخل الأسر حسب المرحلة التاريخية، حركة الزمان داخل السجن، زمن الحرمان العلمي، زمن الانتظار، لحظة الحرية؟

العلاقة العضوية للزمان والمكان (الزمكان)؟

في تفكيك الزمان داخل السجن من حيث؛ التقسيمات المكانية، التحقيق في الزنزانة، العزل، المكان المتنقل، انفصال السجن عن ما حوله؟

الأسيرات داخل الأسر، مكان الأسيرات، زمان الأسيرات، تضامن الأسيرات، والتمثيل الاعتقالي لهن؟

التأثيرات المختلفة، التأثيرات على الوعي، تعويض الحرمان، التأثيرات الاجتماعية- التربوية، القمع المزدوج على الأسير، التأثيرات المكانية، التأثيرات المكانية، الحنين بعد الفراق، التماهي مع السجن؟

التأثيرات المستقبلية على النضال، معاودة الأسرى للنضال، مهادنة الأسرى؟

منهج الدراسة:

الدراسة تعتمد منهج البحث الكيفي، باستخدام أداتين رئيسيتين من أدواته: المقابلة المعمقة، وتحليل مضمون الوثائق والدراسات والمذكرات التي كتبت عن السجن. المقابلات ستعمل على فهم تجربة السجن كما يراها السجين كواقع معاش، ومن هنا سيتم اعتماد الأسئلة المفتوحة في المقابلات، بينما تحليل المضمون سيعمل على تحليل الكيفية التي تنعكس بها

تجربة السجن في النص المكتوب.

المنهج اعتمد أسلوب فوكو (١٩٩٠) في تحليل مضامين عمل المؤسسة (السجن)، وبنيته الأيديولوجية، بالإضافة إلى الدراسات التي تناولت الزمان والمكان والأيديولوجية الاستعمارية، وكذلك تنحو الدراسة في منهجها إلى نقاش وتحليل كل مضمون، وتفكيكه إلى أجزاء أصغر ونقاش وظيفة هذه الأجزاء ضمن الوظيفة الكاملة للنظام، كما سنرى في أسئلة الدراسة، والأسئلة الفرعية، التي تشكل مكونات أصغر من المفهوم الأساسي.

كما أن هذا التفكيك يرتكز إلى وجود أحساس مختلف بالمكان والزمان داخل الأسر يتطلب أولاً تفكيك المفهوم إلى وحدات أصغر، وثانياً معالجة مواقف الأسرى من تلك الأجزاء ""الزمان يسافر بخطوات متباينة بقدر تباين الأشخاص. وسأخبرك مع من يمشي الزمان رهوا، ومع من يسير الزمان خببا، ومع من يجري الزمان ركضاً، ومع من يقف بلا حراك" (ولسون، ١٩٩٢: ٤١).

اعتمدت الدراسة على تحليل السجن كمكان وزمان وواقع من وجهة نظر الأسيرة الفلسطينية، حيث أن روايتها لتجربتها في الأسر غالباً ما تكون محددة بالسياق العام، لذا تم تخصيص قسم لتناول رواية الأسيرة الفلسطينية وخصوصية تجربتها.

أداة الدراسة:

تم بناء استمارة من أسئلة مفتوحة عن مفهومي المكان والزمان وتأثيرهما وذلك من أجل تعريفهما فيما يتعلق بتجربة السجن، وتحديد تأثيراتهما.

وتم استخدام المقابلة الفردية المعمقة للوصول إلى النتائج عن طريق مقابلة معتقلين سابقين.

أما محددات الدراسة الزمنية فهي منذ عام ١٩٦٧ وحتى عام ٢٠٠٩، والمكانية فتشمل كافة

المعتقلات الصهيونية المنتشرة في فلسطين.

مجتمع الدراسة:

مجتمع الدراسة هو المعتقلون الفلسطينيون المحررون من السجون والمعتقلات الإسرائيلية، ويقدر عددهم بعشرات الآلاف.

عينة الدراسة هي عدد من المعتقلين الفلسطينيين في السجون والمعتقلات الإسرائيلية المحررين والذين لهم تجربة شخصية مع زمان و/ أو مكان السجن.

تم إجراء مقابلات مع ١٢ معتقلاً محرراً (ذكوراً وإناثاً) من سجون ومعتقلات الاحتلال، والذين أمضوا مدداً متفاوتة، ولهم تجارب واضحة مع الاعتقال والسجن أثرت على شخصياتهم ووعيهم. وفي إطار التجهيز للدراسة جرى عمل لقاءات غير رسمية مع عدد من المعتقلين، وتوضح أن عدداً منهم لن يتجاوب مع أسئلة الدراسة، فتم اختيار آخرين.

المبحوثين – الأسرى في الرسالة هم ليسوا قيادات فلسطينية أو حتى قيادات للحركة الأسيرة، بما يتماشى مع توجه الرسالة نحو المجموع العام للأسرى، والابتعاد عن النخب، ولكنهم يمثلوا في ذات الوقت معظم التنظيمات الفلسطينية في الأسر، ويشملوا تنوعات سكنية من محافظات الضفة الغربية وقراها ومدنها ومخيماتها، وتتنوع المدد الزمنية للأسر، والسجون التي قضوها، وكذلك الفترات الزمنية للأسر.

طريقة اختيار العينة:

طريقة اختيار العينة قصدية عن طريق انتقاء عدد من المعتقلين المحررين الذين لهم تجارب واضحة في بعدي الدراسة بغرض إعطاء بعد تحليلي عميق لكل تجربة، فالمعتقل الذي تريد

هذه الدراسة الوصول إليه، هو ذلك الذي لديه تجربة مميزة انعكست على حياته داخل السجن و/أو خارجه في مجال هذه الدراسة (الزمان والمكان).

مفاهيم الدراسة:

السجن (تعريف نظري): أداة من أدوات تكنولوجيا سياسية من أجل إخضاع الجسد، وتشكيله، وتتميز هندسته بأنها مغلقة ومصممة بحيث تضع الفرد دائماً تحت رقابتها، بحيث يعمل على ضبط الجسد وفق نمط يشتمل على إلزام لا ينقطع وهو يمارس وفقاً لتقنين (لإجراءات، قواعد) يحصر بدقة أكثر الزمان والمكان والحركات (فوكو، ١٩٩٠).

الزمان: وقت متصل متراكم مع تنفيذ الرقابات وممارسة السيطرات (فوكو، ١٩٩٠). لذا زمن الحرية يختلف تماماً عن زمن الأسر من حيث قيمته ونوعيته، وطريقة عيشه، وعدد أيامه، أنه زمن مختلف نوعياً وينقطع عما قبله.

المكان: الإقفال/ العزل أي تخصيص مكان يختلف عن كل الأمكنة الأخرى، ومنغلق على ذاته، مكان محمي للرتابة الانضباطية بهدف تقسيم الأفراد على المكان. ولكن تقسيم الأفراد يتجه نحو الانقسام إلى أجزاء بمقدار ما يوجد من أجسام أو من عناصر يجب توزيعها (فوكو، ١٩٩٠: ١٦٢-١٦٤)، وبمعنى أخر هو الفضاء الانضباطي لإخضاع الأفراد.

السجن "الإسرائيلي" (تعريف إجرائي): هي السجون والمعتقلات "الإسرائيلية" المنتشرة في كافة أنحاء فلسطين الانتدابية، ويتم فيها اعتقال واحتجاز الأسرى الفلسطينيين بسبب مقاومتهم للاحتلال. والإجراءات في السجن صارمة وقمعية، وتحرسها بوابات وأسيجة وأسوار عالية، بالإضافة إلى حراسة بشرية. وينقسم السجن إلى نوعين، السجون المكونة من بناء (باطون)

فيه غرف جماعية، وزنازين عزل فردية، بالإضافة إلى غرف التحقيق. أما النوع الثاني، فهي معسكرات الاعتقال وفيها أقسام، وفي كل قسم مجموعة من الخيام (الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية، ١٩٧٩). كما يضاف العقوبات الأخرى التي تستهدف الوعي والذهن من أجل تطويع الأسير.

الفصل الرابع: أسرى الزمان والمكان

تقديم:

يناقش هذا الفصل/ الفصول من الرسالة نتائج المقابلات المعمقة التي أجريت مع أسرى محررين وأسيرات محررات، بحيث ضمت طيفاً واسعاً من التوجهات السياسية والفكرية، كما تنوعت مدد الحكم والأسر، والفترة التاريخية للأسر، والظروف السياسية والاجتماعية المحيطة بالأسر.

لقد كانت تجربة مثرية وعميقة إجراء تلك المقابلات، جعلتني أقف أكثر من مرة أفكر في أسئلة الرسالة، وتوجهاتها، هذه المقابلات كما أكدت على بعض أسئلة وفرضيات الرسالة، فقد جعلتني أعدل عن بعضها الأخر نتيجة تحليل هذه المقابلات.

هذا الفصل/الفصول سيقسم إلى عدة أقسام يتناول كل قسم مجموعة من أسئلة ومحاور الرسالة، في محاولة للإجابة على الأسئلة الأساسية للرسالة.

ويحاول هذا الفصل التطرق إلى التساؤلات التالية: هل بانقضاء فترة الاعتقال ينتظم الوضع إلى ما كان عليه أو الوضع "الطبيعي" للمعتقل. هل يعود يشعر الأسير بالزمان كما كان يشعر سابقاً، أم أن تجربة السجن تبقى وتترك تأثيرات مختلفة عليه بما لا يمكنه من التخلص منها، بل واكتساب بعض العادات أو المسلكيات المتأثرة بالسجن.

وعليه هل يرجع إحساسه بالليل والنهار، أو طول النهار، أو فهم مستقبله كما كان. هل يتسع المكان الجديد أم يضيق، هذا كله سنتعرض له خلال الفصل القادم من الدراسة التي ستتناول بالتحليل مجموعة من المقابلات التي أجريت مع عدد من المعتقلين السابقين حول تجارب شخصية لهم مع مفهومي الزمان والمكان أو بعض مكوناتهما، بما يعكس لنا عمق تأثير السجن من خلال بعدي الزمان والمكان على الإسرى المحررين.

الأسرى يقاومون ويردون ويعيدون هم أنفسهم صنع زمانهم ومكانهم تلوينهم بما يشبه مخيلات وأفعال تهدف إلى السيطرة، والتمكن من المكان الجديد المغطى بزمان مختلف عن ما سبقه، المكان اكتسب شكلاً جديداً من صنع أسرى، والزمان أنتج مرة أخرى حاملاً معه أحلام وقصص وصداقات، واستغل بشكل أخر لكتابة شعر وروايات وتجارب وسير ذاتية، ولإنتاج أنواع مختلفة من الفنون في دلالة على التحدي والصمود. ويمكن أن نرى في هذا الفصل أن "أبعاد الفردنة الموجهة من قبل الاستعمار، هي نفس الأبعاد التي من خلالها أعاد الأسرى السياسيين بناء الجماعية الخاصة بهم. تجمع عشرات والآلاف من الأسرى الفلسطينيين، والاستفراد بهم، مثل وضع الأفراد أو المجموعات في الحبس الانفرادي، ولدت ديناميات هيكلة، بدلا من حل النسيج الاجتماعي إلى أفراد متفرقين. (Nashif, ٢٠٠٨: ٤٦).

لكن هل الصمود يمنع الأسرى من التأثر بالسجن، سواء كان هذا التأثر وفق مخطط الاحتلال، أو جاء نتيجة فترة الأسر التي حملت معها تغيرات على الشخصية والسلوك، لم تتضح إلا في سياق الحرية "هذا التحول في مفهوم السجين هو بنية كامنة في المكان نفسه وفي شخصية السجين معا. فما كان لها أن تظهر لولا تضافر قوتي المكان العلامة والشخصية المستعدة للتغيير. ولكن من يرغب في أن يجعل من نفسه غير مكتمل إلا في السجن؟ فتلك هوية جدلية لا تنمو إلا متى ما وجدت الشخصية نفسها خاضعة لقوي ضاغطة أكبر من قدراتها" (النصير، ٢٠٠٢)، يظل هذا سؤالاً مفتوحاً، وغيره من الأسئلة، فهل انتهى السجن بعد نيل الحرية أم أستمر مع كل أو بعض الأسرى؟ مضيفاً لحياتهم الحالية التي رسموها في السجن عنصراً: عناصر قهرية جاءت نتيجة السجن، في استمرار الحالة أو عدم القدرة على التخلص منها، أو حتى عدم الرغبة في ذلك. الفصل الرابع سيحاول دراسة هذه الأسئلة.

القسم الأول: السجن وأبعاده

ما هو السجن؟ وما هو تعريفه؟

السجن أو المعتقل الصهيوني هو مكان يهدف إلى قمع الذات الجمعية الفلسطينية عبر إيقاع مجموعة كبيرة من العقوبات والضغوطات والقمع على المعتقلين والأسرى من أجل كسر وعيهم المقاوم، ونقلهم من حالة الفعل إلى حالة الحياد، وهناك إدراك ووعي لدى معظم المعتقلين لهذا الخصوص

"هو مكان ومحاولة لإنهاء الشباب الفلسطيني لضغطه وتفريغه من محتواه النضالي وهذا واضح في فترات الحكم، مرات تحكم على قضايا بسيطة جدا حكم كبير لأنه بفكروا أنه هذا ممكن يردع التانين وأيضاً لما بكون فترات طويلة بعتقدوا أنه السجين جاي مفرغ من جواه ولكن أثبتت التجربة الفلسطينية الاعتقالية انه يمكن اكتر ناس بالعالم استوعبوا هذا الموضوع لإيمانهم بحقهم في مبدأ في حق يناضلوا من أجله وبالتالي بتأقلموا مع أي ظروف بنحطوا فيها لأنه أصحاب حق مش حدا عامله شغله وبده يضعف ولا ينتهي ويا ريت ما عملت." (ر. ذ: ٢٠٠٩/١/٢٧).

هذا بشكل عام دور وهدف السجن والاعتقال، ولكن هناك أيضاً أدوار وتقسيمات داخل السجن مثل العزل حيث تضع ضغطاً مضاعفاً على المعتقل، والحديث هنا لمعتقلة سابقة قضت حوالي سبعة سنين على فترات متعددة من عام ١٩٧٦

"هذا الحكي عمره ما صار حتى موضوع العزل كان الهدف منه أنه ينهوا المناضل من محتواه النضالي ولكن ثبت العكس أنه حتى بالعزل استطاع المناضل الفلسطيني أنه يتغلب على هذه الظروف ويعزز قدراته كانت مرحلة بالنسبة لأله يحط أسس ويفكر بأساليب وإبداعات جديدة أو يكتب كتب فكانت الزنزانة بالنسبة اله فترة صفاء ذهن كيف يمكن يعمل وينتج بطريقة أفضل وبكافة الامكانيات."

(ر.ذ، مقابلة خاصة بالرسالة).

ومن منظور فلسفي لرؤية السجن عبر تحليل السلوك القائم على الاحتلال، ونفي الحرية نجد

نصاً للكاتب علي جرادات ينطلق لتحليله "عقود وهم يرددون: "السيد والعبد اثنان، الأول نحن والثاني أنتم". وعقود ونحن نردد: "بل السيد والعبد واحد في الإنسان". قالوا: "كيف"؟؟ قلنا: "زائد سجنكم هو ناقص حريتنا" و "ناقص سجنكم هو زائد حريتنا". ففي الطبيعة: لا أول بدون ثانٍ، ولا ثانٍ بدون أول. أما في المجتمع، "فلا سيد بدون عبد، ولا عبد بدون سيد". منطقنا غريب عليهم، ومنطقهم غريب علينا، فنحن وهم زمنان في زمن. نحن زمن انعتاق "الحرية مِن" السجن، وهم زمن زج "الحرية إلى" السجن. هم زمن بائد خرافة تفوق الأعراق، ونحن زمن الإنسان جذر كل الأعراق. نحن السجين نحمل السجن على جسدنا، وهم السجان يحملونه في وعيهم." (جرادات، د.ن).

أسير قضى حوالي سبعة عاماً داخل الأسر ينظر إلى السجن من نفس الزاوية، بحيث يوضح منها الهدف العام للسجن

> "ليس هدف الاحتلال أن نعمل منها مراكز للتثقيف وللاستعداد والتجهيز والنضوج، بالعكس الاحتلال يتعامل مع السجن هو أحد أهم مراكز العقاب، ويهدف من وضع الانسان في داخل هذا السجن إلى حرمانه من كل حقوقه كإنسان من أبسط الحقوق إلى أكبرها، ومن أهمها طبعاً الحرية، ومن ثم محاولة التحكم به والتحكم بسلوكه بتصرفاته ومحاولة فرض إرادتهم عليه ومحاولة التأثير على قناعاته محاولة ايصال أفكار محددة من خلال أن يشعر الإنسان أنني أدفع ثمن عمل قمت به ويصل إلى قناعة أنني مش لازم عملت هذا العمل أو أنني نادم على فعل هذا الفعل فالسجن هو عقاب وهو المقصود منه إذلال الإنسان وكسر إرادته بشكل دائم، هذا هو الهدف للاحتلال من متابعة السجين والضغط على السجين." (ف.ج: ٢٠٠٩/٣/١).

تحديد هدف الاحتلال من السجن كأهم مراكز العقاب، وتحديد الحرمان من كافة الحقوق والأهم الحرية كشرط مهم للعقاب، وينظر الأسير إلى دور السجن ومن ورائه سلطة الاحتلال

داخل السجن بهدف "التحكم" بالأسير، والمقصود هنا برمجة واعية من قبل الاحتلال للتحكم بسلوكيات الأسير من أجل تغيير وعيه ودفعه على الأقل للاستسلام لفكرة أن الاحتلال يتحكم فيه دائماً داخل السجن وخارجه.

أسير محرر يحدد السجن بأنه مكان احتضان لشاب يافع، ووضعه على الطريق الصحيح، ومن المناسب ذكره هنا أنه اعتقل أول مرة عام ١٩٨٢

"أنا أعتبر السجن مدرسة بالنسبة لي، استفدت منه كثيراً، وتعلمت كثيراً فيه، لأن أهم قضية تعلمتها عندما دخلت السجن وجدت أناس احتضنوني فعلاً، كنت شاباً يافعاً وحديث وجدت مجموعة من الشباب الذين حاولوا وضعي على الطريق الصحيح وأثروا في شخصيتي جيداً والذين قاموا بفتح المجال لي دون أي مواربة بأن أطلع على كافة الأمور بغض النظر من أي إتجاه كانت، هذه كانت فرصة لي بأن قرأت أكثر الكتب حتى وإن كانت مخالفة لأفكار التنظيم الذي أتبعه، اطلعت عليها لم يكن هناك أي محاولة، كان الناس واعيين وجهوني إلى الطريق الصحيح، أكثر شيء تعلمته في السجن ألا وهو الثقافة العامة، لأني كنت بإتجاه واحد هو العلم، لكن عندما دخلت السجن بدأت أوعى وأفهم الحقائق على أمورها ودرست في علم الاجتماع في الاقتصاد في الثقافة العامة حتى الثقافة الدينية، كل المجالات اطلعت عليها وهذه ساعدتني في حياتي العملية فيما بعد حيث أنني اكتشفت أن أحدنا يجب أن لا يكون أكاديمياً فقط من الدرجة الأولى، بل أن يكون أيضاً على اطلاع واسع في ما يدور إليه، وهذا الفضل يعود إلى الكثير من الشخصيات التي لا أحب أن أذكر أسماءها اليوم،" (م.ح: ٢٠٠٩/٢/٣).

دراسة كافة مجالات العلم، والإطلاع على الفكر والأيديولوجيات المختلفة هو جزء مما وفره السجن لبعض الأسرى عند النظر إليه من زاوية تثقيفية وتعليمية.

السجن ليس فقط مجموعة من القضبان أنه حياة كاملة لمجموعات كبيرة من الأسرى

والأسيرات، وهو لا يقف فقط عند كونه محطة لمعاقبة المناضلين

"أول شي السجن في له بعده التربوي والأكاديمي الي من خلاله ممكن الشخص يا أما بنخرط في جو جديد في تثقيف في دراسة في تعبئة حتى لو ماكنتش مباشرة أنه شخص بعطي للثاني فقط الحالة الي أنت موجود فيها بتربيك على اشياء معينة، هذا أول بعد الي هو التربية أو التعليم. في عندك بعد آخر هو بعد جغرافي ليش لأنه أنت بتكون موجود في مجموعة ناس عايشين في مكان هذا المكان له احداثياته الخاصة، نوع الأكل طبيعة الغرفة الي بتنام فيها طبيعة الفورة أو المساحة الساحة الي بتطلع تقعد فيها برنامجك اليومي فهذه المنطقة الجغرافية الي اسمها سجن هي بتحددلك برنامج حياة يومي وممكن حتى برنامج حياة سنوي إزا بدك تقعد فترة طويلة، فهذا اله بعد آخر فأنت بتحاول تاقلم حالك مع هذه الحياة. (و.ح: ٢٠٠٩/٢/٥).

نظرة أخرى للسجن كمجموع من خلال تعبير أسيرة محررة بعد اعتقال لمدة أحد عشر عاماً في السجن

"السجن حرمان للإنسان من كل شيء، حرمان من الأهل الأصدقاء الرفاق، هو حرمان من الحياة نفسها، السجن عزل الإنسان عن مجتمعه، هذا هو تعريفي للسجن." (س. ر: ٢٠٠٩/٢/٢٢).

هنا نرى تعريفاً للسجن بالأساس كحالة من الحرمان، وتجريد للمعتقل/ة من الإنسانية.

بعض الأسرى عبروا عن حالة الحرمان من خلال الحنين إلى أمور أساسية في الحياة، ونرى هذا من خلال تعبير أسير محرر

"وفي له كمان بعد آخر الي هو يعني نفسي بصير الواحد عنده حنين لبره حنين للمرأة، حنين للحرية، حنين للبحر، كل واحد شو بحب شو بشتهي وهذه برضه كمان بعد. (و.ح، مقابلة خاصة بالرسالة).

المعتقلات الصهيونية تجمع أكثر من عامل ومكون

"السجن بمفهومنا البسيط هو جدران وأبواب مغلقة، لكن بمفهومه المعنوي هو عزل قاس ومرعب للإنسان عن محيطه الخارجي، عن ذكرياته، عن من يحب من الناس، وهو حرمان للأسير من حقه في ممارسة الحياة الطبيعية والتطور الطبيعي الذي كانت حياته ستأخذه لو كان خارج السجن." (ع.ي: ٢٠٠٩/١/٢٩)

ويبقى هنا السؤال هل حرمان الأسير/ة من ممارسة الحياة الطبيعية، وكيف يمكن أن تكون حياته/ا لو كان خارج السجن، واستمر بالحياة بشكل "طبيعي"، بالأساس هذا له بمدلولات متعلقة بالنضال الفلسطيني وتقييم جدواه في فترة حرجة، ومن ثم له علاقة بإحساس الأسير بثقل الزمان عليه وهو داخل السجن، ونظرته لحياة الآخرين كيف تسير وهو بداخل المعتقل، وهذا ما سيتناوله قسم أخر في الرسالة.

نجد مقولة أخرى في تعريف السجن من تجربة أسيرة سابقة قضت فترات طويلة داخل العزل

"بالتعريف العام اللي سماه مدفن الأحياء مقبرة الأحياء كان تعريف يوسف عليه السلام إنه مقبرة الأحياء وتجربة الاعتقال وشماتة الأعداء هذه المقولة فعلا الواحد وجدها." (ع.ع: ٢٠٠٩/٢/١٠)

استخدام تعبير "مقبرة الأحياء" للتدليل على السجن؛ عبارة قاسية ومعبرة بذات الوقت عن قدرة السجن في التعاطي مع الأسرى من زاوية أنه "يدفنهم" في مكان وزمان ينفصل عن ما هو "طبيعي".

أسير عرف السجن من زاوية اجتماعية

"السجن أول شيء كمفهوم، هو البعد عن مكان السكن البعد عن الناس، عن المحيط الاجتماعي

اللي كنت موجود فيه والانتقال لمكان آخر إنت مجبر إنك تكون فيه بحكم السلطة القائمة." (م.ع: ٢٠٠٩/٢/١٨)

نرى النظر للسجن كابتعاد عن المألوف والعادي، والدخول إلى مكان محدد بظرف إجباري تتحكم فيه سلطة وتديره.

الغاء الدور الإنساني التاريخي للمناضل هو أحد التعريفات للسجن، وزاوية للنظر إليه

"الأمر الأساسي هو إخراجك من البعد التاريخي يعني اخراجك من البعد الأساسي تاعك، حيث الأشياء الثانية مثل المكان.... لكن الاشي الأساسي إخراجك من دورك التاريخي كإنسان، يعني أي إنسان إله دور تاريخي لازم يقوم فيه، فالاحتلال حاول بنسو الأسير إنه جزء من التاريخ أو جزء من الحالة التاريخية لشعبهم، هذا البعد مهم بالنسبة الي انهم بحاولوا يبعدوني عن بعدي التاريخي ومحاولة تطوير الأدوات لمواجهة الحالة التي يفرضها الاحتلال، يعني الحالة التي يواجهها الأسير والخبرة الطويلة قدرت تحط آليات كثيرة تجاوزت الواقع اللي بفصلنا عن الواقع الخارجي وساهمت بشكل أساسي بحركة شعبنا يمكن بالانتفاضة الاولى بال ٨٧ كان في اسهام للحركة الاسيرة واضح بفعالياتها كان في نشرات كثيرة قاعدة بتطلع في تعليمات، في حتى تشكلت مجموعات كان دورها الكفاحي داخل السجون تم اعتقال للمجموعات بالخارج والاعتراف عنا بالسجون وبينت إنها مش من أسرار الحركة الأسيرة. وبين انه احتجازك بالمكان مش كافي لإيقاف دورك التاريخي إذا إنتا بتآمن بدورك التاريخي. في ناس بحكوا انو النضال محطة تنتهي بالاعتقال كان القصد إنها تجند حالها وتكيف حالها مع الحالة إللي فرضها الاحتلال إنه أنا خلص قمت بدوري تجاه شعبي ووطني فيتوقف عنده هاي النقطة." (ي.غ: ٢٠٠٨/١٢/١٥)

لذا نرى أن التعامل مع السجن كحالة قطع تاريخية بين ماضي إنسان مناضل وحاضره في السجن من خلال إلغاء دوره، رغم أن هذا لم ينجح وتحديداً في فترات نضالية محددة،

حيث استمر الأسرى بالنضال من الداخل وقيادة عمليات كفاحية. وهذا يتجانس مع الرؤية الاستعمارية للمكان "إحدى نتائج الترسيخ الاستعماري كانت تقسيم الفضاء الأمريكي، وخلق حدود تفصل "الحضارة" عن البربرية". (برنار في فرو، ٢٠٠٧: ١٦٠).

أبعاد السجن:

السجن/ المعتقل حتى يؤدي وظيفته فهو يتكون من أبعاد وعوامل مختلفة، جزء منها مادي، وجزء منها نفسي واجتماعي يعمل على الروح والوعي، كما يعمل المكون المادي على الجسد، في محاولة لإخضاع الاثنين. ونرى من خلال المقابلات السابقة إدراك الأسرى لوجود عدة أبعاد ومكونات للمعتقل.

> "الأبعاد عدا عن القضبان، الجدران، الأوامر والأبواب المغلقة هو تحطيم شخصية الإنسان، وإفهامه بالقوة انه أصبح خاضع في وقت أكله، حمامه، زيارة الأهل، وقت كتابة الرسائل، وأي وقت بحياته مبرمج من قبل السجان. وهذه بحد ذاتها هي عملية قتل لإنسانية الإنسان، الذي من المفروض أن يتخذ قراراته بنفسه، بأكله، بشربه، بنومه، ولا يكون ذلك بمزاج السجان، فالسجان يتحكم في كل أموره الحياتية، حتى انه يصبح كالإنسان الآلي، لا يستطيع اتخاذ القرارات لنفسه." (ع.ي، مقابلة خاصة بالرسالة)

السلب من الحرية عدا عن ظروف مكان وزمان الاعتقال، فهو يستمر داخل السجن من خلال أوامر مبرمجة تهدف لقتل الحرية داخل الإنسان، فهو أي الأسير يصبح مقيداً بسلاسل السجن، وسلاسل أوامر السجان اليومية المتعلقة بكافة جوانب حياته، وهي إستراتيجية مهمة لتقييد الأسير نفسياً، والعمل على وعيه المقاوم.

تحدد أسيرة سابقة سجنت في فترات السبعينيات والثمانينيات -أي في فترة ازدهار الحركة

الوطنية الفلسطينية- مكون ذاتي للسجن، له علاقة بالحركة الأسيرة

"وطبعا السجن زي أي مجتمع خارجي بتعرض لاستهدافه واستهداف المناضلين فيه كما قلت لتفريغه ولكن استطاع الثائر الفلسطيني أنه يحول هذا السجن من كم هائل بلا معنى ولا محتوى إلى مكان كأكاديمية تخرج الفلسطينيين والكفاءات الفكرية حتى أنت بالخارج في كتير شباب طبعا اعني الجنسين اعتقلوا دون ان ينهوا دراستهم حتى المدرسية ممكن ما انهوها ولكن بالسجن يتخرج الكادر وكأنه تخرج من جامعه يدرس كافة المواضيع، وبالتالي حول المناضل الفلسطيني السجون من مراكز اعتقال لإنهاؤه إلى أكاديميات فلسطينية تخرج المناضلين، وخاصة إحنا بالداخل اعتمدنا على هذا الموضوع ما كان عندك مجال أنه يتركوا مجموعة مع بعض يدرسوا أو يناقشوا قضايا معينة أو جلسات تنظيمية او ما شابه وبالتالي كانت كل هذه المواضيع تنضج بالسجن وعندما يخرج الي احكامهم مش طويلة كتير يخرجوا من السجن إلى السجن الأوسع ويمارسوا مهامهم كانت اكثر المعاقل الي ممكن يلتقوا فيها الناس هي الجامعات وبالتالي هون كان في امكانية لتعميم ما تعلموه وترسيخه في أذهان الشباب الفلسطيني" (ر.ذ، مقابلة خاصة بالرسالة)

ونرى أن هذا المكون له علاقة بتثوير وعي الأسير وذلك عبر التثقيف والتدريس والتعلم، والجلسات مع الأسرى الأكثر تجربة وعلماً، وليس هذا فقط بل استمرار الأسير المحرر في هذا الدور بعد تحرره عبر تعلميه للآخرين خلاصة التجربة في السجن، ولكن يبدو أن هذا مرتبط بالفترة الزمنية للأسر.

تناقش أسيرة أبعاد السجن من حيث وجود جوانب لها لا تقتصر على الجوانب البنائية للأسير/ة بل وجود جوانب عقابية متجددة من قبل إدارات السجون

"المقصود من السجن من وجهة نظر المحتل إنه يقتل فينا مفاهيم الحرية، مفاهيم المقاومة، ولما أنا بقول مدفن الأحياء هي قاسية كثير بس هي في الواقع آه، يعني هو بحرمني من ابني بحرمني من إني

أتواصل مع أهلي بحاول إنه يبتدع ويخترع يعني عنده قدرات واسعة إنه يخلق وسائل تعذيبية وخاصة "التعذيب النفسي" من أجل إنه يديمنا في معاناة دائمة، يعني هذا الباب اللي أنا بقول عنه مدفن الأحياء. البعد النفسي المعاكس لنظرة السجان إنه أنا أبني بيتي ما أضيعش الفرصة ما أضيعش الوقت، يكون عندي حتى رؤية أخرى حتى في تحليل لشخصية العدو أنا مثلا إحنا في فترة معينة ما عنا اختلاط مع العدو، دايما في خط مواجهة. ففي فترة السجن بتكون إنتا تدرس عدوك كمان بشكل أقرب وأوعى. هذا هو البعد الثقافي الإدراكي حتى لمفهوم حق الصراع. مثلاً في أبعاد ثانية مثلاً في قضية تشكيلت شخصية السجين، كثير من السجينات مثلا تدخل ممكن هي تفاعلت لمواقف ناس استشهدت أمامها وعملت بطعن مثلا، وممكن من ناحية اجتماعية بس لما تدخل السجن بتصير بلورة لشخصيتها ما تحاول تهرب من واقعها المرير، ما تكون ردة فعلها عمل ميكونش منه فائدة، فهاي كلها بكون فيها عملية صقل لشخصية السجين في داخل السجن." (ع.ع، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى أن هناك تركيز على الحرمان، العمل على تغيير الوعي من خلال تغيير المفاهيم الوطنية للأسرى، فراق الأهل، العقابات المتجددة وتحديداً النفسية منها، إدامة العذاب للأسير، مقابل الثقافة العامة للأسير القائمة على إدارك الحقائق من خلال التجربة والمعايشة.

أسير أخر يكرر من وحي نفس الفترة الزمنية للأسر وجود أبعاد إيجابية للسجن معظمها في مجال بناء الشخصية والتعلم

"الأبعاد هناك أكثر من بعد، أنت كإنسان يمكنك أن تصنع نفسك في السجن، في الفترة التي دخلناها كان أكثر بعد هو البعد الذي يصقلك صقلاً ويعطيك الانتماء للوطن، هذا كان أهم بعد في السجن، الفترة التي دخلناها كانت هي فترة البناء كانت السجون مدرسة، أكثر من جامعة، أي بمعنى أنت كطالب جامعة ولكم يكن بتلك الفترة التي دخلتها أنا في عام ٨٢ لم يكن السجن كسجن، أنا لم أشعر كسجن بل شعرت كأسرة وهذا بُعد مهم أنه بعد توعية، بعد بناء للشخصية بعد اعتماد على الذات بعد

التعليم الذاتي الذي جعلك تعتمد على نفسك أكثر من غيرك، خاصة أن الواحد في فترة قصيرة جداً تمكن من تعلم اللغة العبرية، في تلك الفترة أنا تعلمتها بسرعة مطلقة، لأني كنت أتحدث اللغة التركية وكان مدير السجن في نفحة تركي الأصل، فقام بالتعامل معي بأن يأتي ويتحدث معي باللغة التركية أمام السجناء لأنهم لا يفهمون التركية، فأنا اضطررت في نفس اللحظة بأن أعلم بعض الزملاء التركية وهم يعلمونني العبرية، فأطلقوا علي أيامها "أركاداش" لأنني علمتهم التركية، وهم علموني العبرية فتعلمت اللغة العبرية بأقصى فرصة ممكنة، بعد أربعة أيام عاد يتحدث معي في التركية قلت له أنا لا اريد التحدث معك بالتركية أريد التحدث بالعبرية لأنه لا يصح ان تتحدث معي أمام أناس لا يفهمون ما أقول، بالرغم من أنه يجب أن نتحدث لغة واحدة واضحة لأن هذا الوعي الذي أعطاني البعد كيف أنت تصقل نفسك وتفهم أن يبعد عدوك تشكيكك منه، فعنصر التشكيك بعد والثقة بالنفس هذا بعد مهم أن السجن علمك الثقة بالنفس، السجن أيضاً فيه أبعاد لو تذكرناها مثل أبعاد الأنطواء وهذه الأبعاد لم تكن موجودة فيه تلك الفترة، بل البعد أنه إذا كنت انت متواجد مع مجموعة من الشباب يكونون هم أمك وأخوك وأبوك..." (م.ح، مقابلة خاصة بالرسالة).

نجد من هذه المقابلة وجود عدة أبعاد من وجهة نظر الأسير للسجن، وهي صقل الشخصية، الانتماء للوطن، السجن كمدرسة وجامعة، الاعتماد على الذات، التعليم الذاتي، الثقة بالنفس، التشكيك والانطواء، وبالتالي بالمعظم صفات يكتسبها الفرد من تجربته في السجن، ونرى انه حتى صفتي التشكيك والانطواء تأتي في الإطار الايجابي لمواجهة ظروف السجن، كما نرى أن هذا الأسير يقصر ملاحظاته حول السجن حول الجانب الذاتي كفرد وكحركة أسيرة، ويعزل بنفس الوقت البنية الأساسية وهي بنية المعتقل التي قمت بتقديمها في الفصول الأولى للرسالة، وهذا مهم من زاوية النظر والتعاطي مع السجن كأمر إيجابي، وهذا أمر يخالف العديد من التحليلات التي سأتعرض لها لاحقاً.

أسير سابق يعرض أبعاد السجن بصورة أكثر وضوحها من حيث الهدف من كل مرحلة من مراحل الأسر والاعتقال

"هلا السجن ممكن يوخذ أكثر من بعد، وهذا بحدده طبيعة الفترة الزمنية، طبيعة البشر الموجودين، طبيعة الثقافة الموجودة في السجن. ممكن يوخذ أكثر من بعد، ممكن يكون قاسي جداً وممكن يكون ودود جداً. وهذا بحدده البشر الموجودين، بتلاقي إنك شاعر في لحظة ممكن إنك تقدر تتناساها إذا بتشعر إنه المحيط اللي حوليك محيط ودي أو محيط بتفاعل مع القضايا بشكل صحيح، بتكركش كل تحركاتك وكل قدرتك على التفكير وممارسة السلوك اللي بتشوفه إنتا بتشوفه مناسب طبعاً بحدود في حدود إني أنا بحترم الآخرين، هذا هو السجن." (م.ع، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى أن السجن يصبح مكان تفاعلي- اجتماعي مع الأسرى، وبالتالي الشعور بأبعاد السجن لها علاقة بظروفك وظروف المحيطين بنفس الوقت.

نفس الأسير يحلل المراحل المختلفة للأسر وعلاقتها بأهداف الاحتلال

"الاحتلال بحاول يبعدك عن مكان وجودك بحكم إنك وبفترض إنك شخص مؤثر أو عندك القدرة إنك تأثر على الناس الموجودين بشكل فردي كفعل، فبالتالي بحاول يبعدك ويحطك بمكان مغلق بحيث يضبط حالة الفعل تبعتك هاي. هلا انتا بتقدر تقول إنه أول محاولات التسجين اللي بمارسها الاحتلال من حد ما تعتقل مباشرة، يعني بحاول مباشرة يشعرك إنه اليوم حريتك تم مصادرتها، وإنه بالرغم من وجود ٢٠ -٣٠ دورية بدو يكلبشك ويغمي عينين وبتكون عارف وين بدك تروح. على كل الأحوال اعتقل مرة أو مرتين بكون عارف إنه إذا بدهم يعتقلوني بدهم يودوني على عصيون أو بأسوأ الأحوال على المجنونة، هذول المكانين. والطريق يعني مرسومة ممكن تقدر تعرفها. بس هو بشعرك إنه بدو يصادر حريتك، إنتا اليوم صفيت بدك توكل ضمن قوانين السجن وبدك تشرب ضمن قوانين السجن وبدك تتحرك ضمن قوانين السجن وبدك تلتزم بقوانين السجن، هذا فعليلا بس عشان

يشعرك إنه مصيرك كله موجود في إيده، فإما إنتا بدك تخضع ويجهزك لعملية التحقيق، أو إنتا بدك ترفض هذا الموضوع ويمكن تتعرض لبعض الأذى، بس هو فعلياً محاولة لتسجين البشر من خلال مصادرة الحرية والقدرة على التحرك وحتى النظر. بتستغرب ليش مثلا بحط أول ما يعتقلك العصبة على العينين شو الفكرة؟ يعني أنا طالع على عصيون، شو بدي أشوف أكم جندي في حولي أو شو الطريق؟ يعني أنا الطريق هاي بعرفها، بس هو فعليا بده يحصر مدى الرؤية عندك وبده يحصر الأفق تبعك، بده يقلك إنه إنتا من اليوم وطالع بدك تشوف باللي إحنا بدنا إياه وبالقدر اللي احنا بدنا إياه. وقت ما بدنا بدك تشوف وقت ما بدنا بدكش تشوف، بدك تتصرف بالقدر اللي احنا بدنا اياه بدك تتعامل بالقدر اللي احنا بدنا اياه. أنا بتصوري هذا بتصوري اللي بده اياه الاحتلال من السجن، مش بس يرمي الناس بالسجون بالأسوار وهالباطون وهاد، بدو يحكيلك إنو إنتا اليوم حدودك محصورة، يا بتآمن إنو أنا صاحب السلطة العليا وبتفهم هذا الموضوع يا إما بدها تظل حريتك تتصادر باستمرار."

(م.ع، مقابلة خاصة بالرسالة)

إذا يلخص هذا الأسير أن السجن من بداياته للوصول إلى قناعة أن حدود الفعل والتصرف محدودة، وحدودها هي ما يقرره السجان وعليه الانصياع وقبول اللعب وفق "قوانينه".

جزء من أبعاد السجن هو العمل الجماعي المنظم كحالة من التفسير والتحليل لواقع الأسر، وبالتالي ابتداع آليات للتعامل معه على أساس جماعي

"الإشي الحلو بالسجون إنه فش بطولة فردية بالسجن، في بطولة جماعية إحنا كأفراد كانوا يتحكموا فينا بالسجن، لكن كان مصدر قوتنا إنه إحنا بنشتغل بروح جماعية وبنّاضل بروح جماعية. أثناء الصراع مع الادارة كنا نتعامل معهم كمجموع، الادارة استغلت هذا الفهم، وصارت تتعامل بعقليتها الانتقامية منا، فصارت العقابات عقابات جماعية أيضاً كان هي ردة فعل الإدارة. أي عقاب صار يشمل كل السجن، عنا في ٩١- ٩٢ انطعن مدير سجن في عسقلان، حكوا الاجراءات العقابية راح

تشمل كل عسقلان، لجنة الحوار بتقول للادارة إنو واحد اللي طعن مش كل السجن اللي طعن المدير حكاله آه!! لما بدكم تكونوا كثير ولما ما بدكم تكوني كثير يعني بتعرفوا حالكم كمجموع وما بتعرفوا حالكم كمجموع، هلا إنتو مجموع إنتو بتعرفوا حالكم كمجموع وإنجازاتكم بتقسموها على المجموع وإنتو هلا مش أفراد. فحاولوا ينفوا فينا مفهوم البطولة الجماعية من خلال الإشي الفردي، بمعنى في فترة صار فيها التعليم بالجامعات، فصار مين بتعلم بالجامعة؟؟ الواحد الشاطر اللي مش مشاكس وبعملش مشاكل بالسجن هاد كانوا يعطوه امتياز إنه ممكن يتعلم بالسجن، لكن الإنسان اللي بعمل إشكاليات بالسجن ببطل يتعلم حتى لو كان بده يتعلم برفضوله تعليمه، عقاب على سلوكه الجماعي او سلوك اللي بخرج عن النص اللي بنته السجون وبأنه شخص مشاكس، حتى بالتنقلات بين السجون بعتبر الإنسان الهادي والعاقل وكحمل وديع بظله ثابت بالسجن، بس اللي عنده اشكاليات وما بتجاوب مع سياسات السجن يتم نقله من سجن لسجن بهدف إرهاقه وبهدف تشتيت المجهود اللي بقوم فيه داخل السجن. في بعض الأسرى بقعدوش داخل السجن ٣ شهور ممنوع، بظل كرت فرار على السجون كل ٣ شهور بنتقل، في إرهاق إله ولعيلته وحتى للناس المحيطة به، وحتى البرامج اللي بحطوها الحركة الأسيرة." (ي.غ، مقابلة خاصة بالرسالة)

التحول من مجموع إلى أفراد يسهل التعامل معهم وفق عقلية إدارة السجون على اعتبار أن هذا يسهل إعطاء نماذج "إيجابية" و"سلبية" للسلوك المقبول وغير المقبول من وجهة نظر الاحتلال "أن الفردية تأتي في طليعة هذه القيم. لقد أخذ المثقف المستعمَر عن أساتذته أن على الفرد أن يؤكد ذاته." (فانون، ١٩٨٥: ٢٧).

القسم الثاني: السجن كمكان وزمان

الجزء الأول: السجن كمكان أو السجن اللا مكان:

هناك تناقض واضح في تحليل نظرة الأسرى إلى السجن كمكان أو حيز، وهذا ما نراه في رؤية البعض للسجن، فهناك من يراه كفصل قسري جغرافي عن باقي الجغرافيا المتصلة، أي أنه غير مرتبط بالجغرافيا خارج السجن من بحر أو صحراء أو سهل، بينما يراه البعض الأخر له كمكان متصل جغرافياً مع ما يحيطه، ولكن له ظروفه الخاصة مثل أي مكان، وهذا واضح في تعبير أسير محرر قضى خمس سنين من عمره

"اول اشي السجن هو جزء من مكان، كله أنا بالنسبة الي باخذه من بعدين، البعد الأول حدود جغرافية، انت بتقسمه حدود جغرافية مثلا هون في سور برا السور بتسميه مكان، وجوا السور بتسميه أسر، فهون بصير السجن هو اللامكان... إذا أخذت المكان انت باحداثيات جغرافية بغض النظر عن فواصل بتحطها انت سور، باب، سياج، كذا، بتاخد المكان كاشي طبيعي انت موجود فيه، طول ما انت عايش لازم تكون بمكان وهذا المكان في اله برنامجه في اله خصوصياته في اله كذا، فهون ما لازم نصنف السجن عشان محصور بين جدار وبين سياج أنه هو اشي غريب عن المكان، حتى لما نطرح مفهوم المكان لما نحكي عن السجن احنا ضمنيا بعني أنه والله السجن هو اللامكان او السجن هو الي وراء المكان، لأ السجن هو زيه زي هذاك المكان هو متصل ولو بدك تفلسفها هو متصل يعني من السجن لأمريكا بس في حدود سياسية في سياج في كذا، عشان هيك السجن مزبوط هو مساحة جغرافية محدودة بتنقلش الأسير خارجه وبتنقل داخلها حتى مش براحته بضل المكان هذا اله برنامجه اله خصوصيته فبكون السجن فعلا جزء من المكان." (و.ح، مقابلة خاصة بالرسالة)

هل تعتبر هذه النظرة محاولة للتأقلم مع واقع مفروض لا يمكن الفكاك منه إلا برؤية إيجابية أو رؤية تصالحية مع مكان مفروض، تمارس فيه عقابات قاسية على الأسرى، أم هي رؤية

فلسفية تقوم على معاينة المكان كحيز متواصل دون إنقطاع؟

نرى أن هناك وصفاً أكثر تحديداً وتفصيلاً للسجن كمكان بناء على تقسيمات مكانية

"في جانبين، في مراكز التحقيق وهذه ممكن في احسن الأحوال توصفها كمسلخ للشباب الفلسطيني بتفوت أنت على مسلخ من أجل أخذ المعلومات من داخلك حتى مركز التحقيق، في كمان غرف للعزل فمن ثمه لما تنتقل على السجن الي هو بشكل أو بآخر غرف ومعتقلين وكتب، الي همه الهوا الي بتنفسه السجين الكتاب هو الي بواصله مع العالم الخارجي وكمان عشان يوعي حاله، بالتالي السجن هو مكان لتجميع الطليعة الي قادت المجتمع الفلسطيني ومن هون في ناس بتنظر اله نظرة سيئة انا لأ صح في ألم في معاناة، يعني بالسجن بختلف الموضوع بكون فترة تحقيق متلاحقة عذاب وتعذيب وضرب في السجن في قضايا مطلبية وقضايا سياسية في جلسات في كذا وفي تواصل مع الأهل بيصير من خلال الزيارات" (ر.ذ، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى أن هناك حتى في معاينة السجن كمكان تفريقاً في "الأمكنة" فمراكز التحقيق تختلف بالوصف والصورة الموحاة عن غرف العزل، وهي بالتالي تختلف عن غرف السجن "العادية"، وبالتالي نستنتج أن هناك وظيفة محددة لكل قسم من أقسام السجن تعمل على الأسير، ويتضح هذا من رؤيته كمكان للألم والمعاناة.

حصر الإنسان في مساحة أو مكان معين رغم أرادته هو هدف أخر للسجن

"السجن كمكان هو عبارة عن مساحة محصورة، حتى وان كان خارج الغرفة، أو خارج القضبان، فالسجن هو عبارة عن سجن داخل سجن، يوجد أسوار عالية، التي تمنعك أن ترى ما خلف هذه الأسوار، حتى الساحة هي ضيقة، هو بكل معنى الكلمة سجن وعزل، عزل الإنسان عن حياته الطبيعية داخل هذه الأسوار." (ع.ي، مقابلة خاصة بالرسالة)

الحصر والمنع من الرؤية، ومنع الاستمرار بالنظر جغرافياً إلى بقعة أخرى هي سمة من سمات السجن المكانية، والتعبير عن وجود سجن داخل سجن تشعر الأسير دائماً بعدم القدرة على الحركة، الحركة بمعنى الحرية والانطلاق.

فيما عبرت أسيرة محررة واصفةَ السجن كمكان

"مكان لا يصلح للحياة البشرية." (س.ر، مقابلة خاصة بالرسالة: ٢٠٠٩/٢/٢٢)

وفيما يتضح أنه رأي يخالف آراء معظم الأسرى المبحوثين ضمن هذه الرسالة، حيث تراه هذه الأسيرة في أنه مكان لليس للبشر، ورأت أسيرة في نص سابق أنه أكاديمية تخرج المناضلين الفلسطينيين رغم قسوته.

بعض السجون امتازت عن الأخرى بوجود زوايا لغرف الأسرى بحيث لا يأخذ شكل الغرفة الشكل المربع بل على شكل زوايا متعددة

"بسجن الرملة، أنتا بدك تحديد السجن، إحنا أكثر عشنا بسجن تلموند، يعني هو مصمم تصميم إنه فعلا يعمل نوع من الإزعاج الدائم، يعني الغرف مصممة بشكل زوايا، يعني في نوعين من الغرف غرفة فيها لـ ٨ أخوات عبارة عن أربع أسرة كل سرير فيه سريرين بكون فيه ٧ زوايا أو ٨ زوايا، مش غرفة إم الأربع زوايا، الغرفة الصغيرة نفس الاشي، يعني بتحس حالك مش عارف وين بدك تحط، يعني في ضجة في حالة ضجة دائمة في داخل الغرفة، أنا لما قرأت كنت كثير أشعر بنوع بحالة توتر، لما قرأت رؤية عالم نفسي حكى إنه قضية الزوايا بتعمل فعلا حالة توتر وكأنه فعلاً مدروس، إنو بعد ما أنحكم وبعد ما أعيش الفترة عشر سنوات أو فترة سنتين أو مؤبد، إني أنا كمان أظل في حالة من التوتر عشان ما يخرجني إنسان سوي، في المقابل الحمامات في داخل الغرفة مفتوحة، مفش تهوية إلها وبتظل دائما في حالت زكام دائم والروائح الموجودة، يعني لما أنا مثلا في غرفة فيها ٨ أخوات

داخلات طالعات عالحمام، كمان هذا بعمل نوع من الجانب الصحي السيء، والجانب النفسي كمان إنو أنا بظلني في حالة عصبية من الأخت اللي بتدخل مثلاً." (ع.ع، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى أن شكل الغرفة يلعب دوراً في إيجاد حالة من اللا استقرار الدائم للأسرى بحيث لا يمكن التعامل مع الغرفة كالمعتاد في تقسيمات البناء، بل وجود عدد كبير من الزوايا بشكل مدروس لإيجاد حالة مستمرة من التوتر تؤثر على نفسية وشخصية الأسير، وهذا في ظل وجود حمامات مفتوحة داخل الغرفة تزيد من الروائح الكريهة.

داخل نفس الغرف ومع وجود أسرة النوم المحددة بمسافات ضيقة لاستكمال "حصر" الأسير في بقعة ضيقة لا يستطيع الحركة فيها

"هو يشعرك إنك إنتا عايش بجو محوط، عمليا تكونوا في تختين فوق بعض، جنب بعض، المسافة اللي بترفع راسك فيها مش موجودة كثير قصيرة، بشعرك إنك إنتا عايش بعلبة اشي مغلق ومش ممكن تتحرك فيها، والمساحة صغيرة فش امكانية انك تمشي فيها تتحرك فيها. يعني هذا الاشي بأثر على جسمك على التهوية على يدخل شمس أو غيره، كلها مقصود منها إنك ما تعيش الجو الطبيعي، ما تشوف شمس أو تدخل شمس أو تشوف حدا برا مثلاً أو تشوف ناس، يعني في نهفة صغيرة، كنت أصحى مبسوط إنه في حمار برا، كنت أنبسط انه في حمار بالمنطقة، يمكن تستغرب من الحكي هذا بس برا عادي الواحد بشوف حمار وبسألش فيها، بس تصحى تلاقي صوت حمار في منطقة فش فيها اشي طبيعة فش فيها حيوانات وفش فيها شجر فش فيها إشي، صرت الحمار هذا الصوت مش سامعه من زمان كنت أعتبره أحلى من صوت أم كلثوم أو غيره. يعني هذه الشغلات البسيطة هي الها دور كبير انها تعيشك السجن بتفاصيله." (ه.ج: ٢٠٠٩/١/٢٦)

حصر الأسير حتى في مكان نومه لمنعه من التواصل مع "الطبيعي" جعل من الأسرى يتلهفون

لسماع صوت ما يذكرهم بالطبيعة حتى لو كان صوت حمار، هذا ما يعني أنه التواصل مع العالم الخارجي للحفاظ على مستوى من التحكم العقلي والذهني "فعندما كان يسأل الأسرى عن كيفية تمكنهم من النجاة بعد شهور أو سنين من العزل والتعنيف، كانوا غالباً ما يذكرون سماعهم قرع جرس كنيسة أو صوت أذان بعيد، أو أصوات أطفال يلعبون في منتزه مجاور. عندما تنحسر الحياة بين جدران الزنزانة الأربعة، يصبح وقع تلك الأصوات الخارجية أشبه بحبل الحياة الذي يؤكد للسجين أنه ما زال إنساناً، وأن ثمة عالماً خارج إطار التعذيب العالق فيه" (كلاين، ٢٠٠٩: ٥٩)، هذا التشابه المذهل في محاولة التغلب على وسائل تطويع الجسد والوعي من خلال أدوات التعذيب والعقاب والسيطرة.

الفضاء المشترك المتمثل في الخيمة أو الغرفة تأثر بمحددات فردية للأسرى، وكذلك بالمرحلة التاريخية للأسر

"مثلاً من الإشكاليات اللي أنا واجهتها إنو انا بدي أدرس، بس أنا وكمان واحد كنا ندرس من بين عشر رفاق في الغرفة، والدراسة بدها هدوء، العشرة اللي ماكنوش يدرسوا يروحوا يفتحوا التلفزيون بين المجموع، هلا الغرفة المفروض في تشارك بينك وبين المجموع، أوسلو إنعكس على موضوع العلاقة بين الأسرى، صرت بدك تتمشكل مع الناس عشان بدك تدرس، أو بدك تتكيف مع البدائل، البدائل اللي أنا اخترتها لذاتي صرت أحاول أنام بالنهار مع إنه فش مجال أنام بالنهار وأسهر بالليل وإني أدرس طول الليل، هلا هذا برضو في ناس بتحبش تنام وبدها تسهر عالتلفزيون في غرفة بتحب التلفزيون ورغبتها التلفزيون بسهر طول الليل عالتفلزيون وبالنهار بروح ينام، هلا أنا بقدرش، حاولت أنام بالنهار وأسهر بالليل إلي فترة محددة بالنهار إنو أنا أنام. فأوسلو جابتلنا مشاكل كثيرة داخل الأسر وحتى بالتكيف مع الإفراجات وخلقتنا أجواء كثير مزعجة بواقع حياة الحركة الأسيرة."

(ي.غ، مقابلة خاصة بالرسالة)

ترتيب أوضاع الأسرى الفردية وطموحاتهم داخل الأسر مع غياب التنظيم للأسرى أدى إلى وجود إشكاليات في استخدام فضاء الأسر كما نرى ارتباطاً بفترة سياسية ساعدت على تدهور أوضاع الحركة الأسيرة وتنظيمها الذاتي.

السجن مكان تفاعلي اجتماعي، يُبنى عليه الشعور بالأسر

"في أكثر من تعريف للمكان، إما كمكان بكون –الانسان بصنع المكان- يعني مش السجن يعني انت في دارك ممكن تكون مسجون، ومسكر على غرفتك وحاط حالك في زاوية وحالة. السجن كمكان هو باللي فيه، إذا الي فيه جيدين ومتفاعلين معك إنتا ما بتشعر إنك في سجن، وإذا الي فيه سيئين وحالة أنت بتشعر في السجن. اليوم أنت جربها على حالك وعلى دارك إذا انت واصدقاءك في المؤسسة هون مش في السجن في المؤسسة، إذا انت الي بتشتغل معهم انت مش مرتاح معاهم انت بتشعر كأنك في سجن. فالسجن كمكان هو بالموجودين فيه وأنا بعرفه كسجن بمعنى الناس الموجودين فيه هم إما بخلوك تمشي للأبد أو بحبطوك وبترجع لورا، فالسجن كمكان بهذه الطريقة انا بعرفه." (م.ح، مقابلة خاصة بالرسالة)

علاقة المكان بالأشخاص بحكم أن الإنسان يتفاعل مع محيطه الاجتماعي زاوية أخرى للنظر إلى السجن، وهناك تعريف لبعض الأسرى للمكان كمعايشة أساساً أكثر مما هو بيئة طبيعية وجدران وزنازين، في تماهي مع نظرة باشلار إلى المكان بحمله قيماً متخيلة وحمائية تتجاوز أحياناً البعد الهندسي للسجن، للوصول إلى ما يمثله السجن كقيم جمالية متمثلة في الحياة الاجتماعية الممارسة هناك (باشلار، ١٩٨٤).

السجن مكان أم أمكنة:

التحقيق في الزنزانة:

تقسيم السجن/ المعتقل مكانياً إلى أجزاء يخدم أهداف الاحتلال كما تم التوضيح في القراءات لاستخدامية السجن، ولكن هذه التقسيمات تحدد بدورها هدف كل مكان داخل السجن، واستعرض هنا الفترة الأولى للأسر، وهي فترة مهمة للطرفين الأسير والاحتلال، لأنها تحدد التعامل معه كفرد لبقية الفترة بمعنى صموده أو اعترافه

"من حيث مفهوم المكان الها تأثير إزا تطلعنا على البعد النفسي للأسير، الأسير أول ما يدخل على السجن أو قبل السجن بكون في فترة تحقيق وبزنزانة بكون مستهجن المكان أو مش متأقلم معه أو مندمج معه بكون خايف ممكن يكون مش عارف الفترة الزمنية الي رح يقضيها في هذا المكان فهو مش مهيئ حاله لهيك مكان يقعد فيه فترة طويلة، ... فهو لسه مش محدد شو هذا معالم المكان وهذا اشي مجهول بالنسبة اله .... احنا بنحكيه كمكان جغرافيا رح يضل فيها فترة طويلة ورح تغير حياته وتفكيره وهو عارف هذا الاشي، ورح تفقده كتير اشياء كانت موجودة بحياته في السابق كونه محصور بهذا المكان عشان هيك نفسياً هو لسه بكنش متهيأ هلأ هذا بعتمد على طبيعة الشخص ممكن شخص بتأقلم بسرعة ممكن شخص عنده تجربة سابقة ممكن شخص ما يتأقلمش بسرعة وفي كتير ناس صابتهم أشياء طولت معهم مزمنة هي ردة فعل عن انفصال عن عالم كامل كان عايش فيه"

(و.ح، مقابلة خاصة بالرسالة)

يتعدى موضوع العزل في الزنزانة اثناء فترة التحقيق موضوع الجسد والوعي كهدف للاحتلال، إلى علاقة الأسير بذاته، وتأثيرات ذلك، حيث نرى الحديث عن تأثيرات مزمنة ظهرت نتيجة التحقيق والعزل على الأسرى كردة فعل على انفصالهم عن العالم السابق للسجن.

اسمك

حفرته على جلدة ساعة يد

بأظافري

معلوم أن ليس هناك حيث نحن

سكين جيب بقبضة من الصدف

(الأدوات القاطعة ممنوعة)

ولا شجرة دلب ذورتها بين الغيوم.

قد تكون هناك في الباحة شجرة ما

ولكنني محروم من رؤية وجه السماء

ترى كم من الناس، غيري، يؤوي هذا المكان؟

ذلك لا أعرفه.

وحدي أنا بعيد عنه،

وهم، جميعاً ومعاً، بعيدين عني..

محرم علي أن أتحدث إلا

مع نفسي (حكمت، ١٩٨٩: ٢٦٢)

يصبح الحديث عن عالم ما قبل الأسر وعالم التحقيق (مقدمة لعالم الأسر الأوسع) ذا خصوصية لما فيه من تركيز مكثف لاستخدام كافة الأدوات على الأسير لإخضاعه بل وكسره

"طبعا اله تأثير طبيعة المبنى الي أنت بتسكن فيه لما بتحكي عن سجن، والسجن هو مكان بستقر فيه الأسير وهو محكوم طبيعة المبنى وكيف المرافق محطوطة وكيف موزعة وكيف الغرف بتختلف عن طبيعة المبنى في التحقيق وكيف الغرف وكيف الظلمة فيها والدهاليز فهذا المكان طبعا بختلف كتير عن هذا المكان وطبعا هذا بنعكس نفسياً أول اشي على الأسير وطبعا هذا ما انبناش على الهبل

في ناس مهندسين طبعا بعرفوا وانعكاساتها وايش الي همه بدهم اياه يأثر على الأسير عشان هيك هذه الها انعكاسات، حتى طبيعة الساحة الي بطلع فيها الأسير بتلاحظ أنه الساحة حوليها حيطان ٥، ٦ متر وبعدين في سياج وحتى السياج بتكون ملفوفة بطريقة حتى وين ما بتطلع الأسير مش يحس أنه بسجن لأ يحس أنه هو مسيج، حتى طبيعة الأبواب أصوات الأبواب وهي بتسكر كل هذه الأشياء بتظل حاطة الأسير خاصة في أول فترة من سجنته بتظل حاطاه أنه أنت رح تعاني هون" (و.ح، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى من المقابلة تصويراً نثرياً لتقسيم السجن، وتفاصيله وطبيعة الغرف، والإضاءة والظلمة، وكذلك حتى وجود الساحة تم إتباعها بسور طويل جداً يمنع الأسير/ة من التواصل بالبصر مع محيطه، ويتم وضع فوق السور أسياج شائكة للحيلولة من التفكير للحظة أو برهة بأنك بمكان غير السجن مقيد به بإرادة السجان.

إرادة السجان هي ما تدور عليه معركة الإرادة في فترة التحقيق، وهذا نراه تفصيلياً في مقابلة أسير قضى ستة سنوات ونصف في الأسر، وقضى فترات طويلة جداً في التحقيق

"عملية الاعتقال هي عملية بتمر بمراحل هم ببلشوا يجهزوا فيك من بداية ما يدخلوا عليك عالبيت ببلشوا يجهزوا فيك للمرحلة اللاحقة، هلا إذا هو قدر يدخلك في حالة من عدم الاستقرار وعدم الاتزان هو فعليا بقدر إنه راح ينجح لاحقا في التحقيق. إذا ما قدر إذا من خلال ممارساته، هذه قضية التحويل، في بعض الأحيان ممكن يكون الشخص ضارب حجر بس بجيبوله أربع خمس دبابات و١٠٠ جندي عشان يعتقلوه. هلا فعليا انتا لما تشوف حوليك كل هالكم الهائل من الجنود وهالكم الهائل من التحركات وو...الخ بتعتقد إنه في إشي أكثر بكثير من القضية اللي بدك إياها. هذا جزء من آلية قضية التحضير.

في منه مجهود عالي بالموضوع، بس على أمل إنه يحصلوا على إنجازات وين؟ في التحقيق نفسه. هلا إذا قدر إنه ينجز مرحلة الاعتقال بنجاح بحيث إنه يدّجن ويدخل حالة الخوف في المعتقل هو

بفترض إنه أنجز المهمة الأولى، هلا هو في التحقيق بدو يبلش من البدايات، بدو يبلش المحقق على أرضية إنو إنتا اليوم كل مصيرك وكل حياتك مرتبط بإيدي. فبالتحقيق إيش صار معاي مرة، بحاول المحقق هاي الفكرة، إنه انتا مرتبط فيي وأنا المسؤول عنك أنا اللي بقدر اسوي هيك وانا اللي بقدر اسوي هيك، بحكيله لأ مش إنتا اللي بتقدر تسوي هيك، فبحكي لأ بقدر، بقدر بقدرش، قلتله طيب، حكالي أنا بقدر أوديك عالزنزانة بقدر أودريك توكل بقدر أوديك تشرب، بقدر بقدر .... الخ، قلت لأ بتقدرش، بقدر بقدرش، قللي أنا بقدر أوديك عالزنزانة هسا، قلتله بتقدرش تودّيني عالزنزانة المهم جابلي جنديين، حملوني من غرفة التحقيق لوين؟ على غرفة التحقيق قعّدني أربع ساعات، إنتا فعليا بتقول إيش هو الزلمة على ما هو مش مشكلته إنه أرتاح وإلا مارتحش، هو مشكلته إنه يدخل مفهوم لأنه إذا المفهوم تسلل لراسك إنه انتا حياتك بايده ومصيرك بايده فعليا بدك تسلم أشياء أوسع من هيك. عشان هيك ببلش بقضية إنو إنتا مصيرك مرتبط بالمحقق هذا، تعاونت معاه بدك تدخن وتشرب قهوة وبتنام وكل اشي تمام، بدكش تتعاون معاه بدك تحصل على النتيجة المقابلة، الشبح طول الليل الضرب... الخ كل هاي الطرق اللي ممكن يستخدموها، هلا وين أخطر موضوع، مش إنتا تسمع المحقق وهو يحقق معك، إنه إنتا تسمعه وهو في حديث طبيعي، لو محققين بحكوا مع بعض عن شو الواحد بدو يساوي بعطلته بكرا، والله يمكن أوخذي أولادي بكرا عالبحر، بدي بدي... انتا ممكن تشعر باشكالية جدية في هذا الموضوع كمعتقل أكثر من إنه يجي يقلك أنا بدي أوخذ أولادي لأنه إنتا بتعتبر هذا الموضوع موجّه وبالتالي في عندك آليات للمواجهة إله ومستعد إنك تواجه إشي من هالنوع. بس أنا على سبيل المثال شرطيين بحكوا مع بعض إنه بكرا بدو يروح يوخذ مرته وأولاده على البحر، هذه الجملة ظلت معاي تقريبا ٦٥ يوم في التحقيق، إنه هذا بكرا راح يطلع ويشوف الشمس يوخذ مرته وأولاده على البحر، ليه، لأنه أجت بدون ما تتوجه، هلا هان بجوز آليات التحقيق موصلتش لهذا المستوى إنه يسمعك أشياء بعيد عن السياق اللي بكون قاعد فيك بمواجهة بس بتمرق قضايا من هالنوع.

هلا في التحقيق، يعني المحقق شخصه بعض المرات أضعف منك بكون، أضعف منك بكثير بقدرش

يتحمل اللي انتا بتتحمله، بالتالي في إمكانية لمواجهته إذا بكون عندك على الأقل إذا دراية ومعرفة بسيطة فآليات التحقيق، إذا إنتا بتكون بتعرف وين راح تروح وين راح تمرق، في عندهم لوح بتقدر من خلاله، حتى وانتا مارق لو إنتا خزقت الكيس، تتطلع عليه بتشوف رقمك وين بمشي، يعني بحطوا لوح ولما تدخل بحطوا رقمك فوق، وبظل ينزل ينزل لما تروح على الزنازين اللي فش فيها تحقيق ولا أي إشي. والتحقيق أسوأ فترة في السجن، وبالرغم من هيك بالرغم من هيك، وإنتا في السجن وإنتا برا السجن، يا إما لحظات مش طبيعية يا إما لحظات بتشعر بالحنين للتحقيق وكإنه إنتا أسرفت مشاعر ما في التحقيق، وكانت مشاعر حقيقية مشاعر إنهاك ومشاعر غضب ومشاعر حزن ومشاعر ضغط، بس كلها كانت حقيقية مش مزيفة، بالتالي حتى هاي اللحظات اللي كنت فيها في أسوأ ما يمكن إنك تكون فيه بتشعر فيها بلحظة للحنين، وأنا بقول إنه السجن مش مكان سيء بكل الأحوال، يعني حتى لما إنتا بتنفعل بمشاعر حقيقية مؤذية جداً وحزينة جداً بتحملها في كل اللحظات." (م.ع، مقابلة خاصة بالرسالة)

في معركة الإرادة وصولاً للاعتراف من قبل الاسير عبر التسليم بأن المحقق هو من يملك زمام الأمور ويديرها، والوصول إلى عبثية المقاومة كحالة من رفض الخضوع لمنطق المحقق، وجود عملية علمية مخططة من خلال وجود جدول يبين مراحل التحقيق المقطوعة.

استدعاء الذاكرة/ مقاربة النسيان:

التحقيق والعزل في الزنزانة بهدف الوصول إلى المعلومات عبر الاعتراف، ووفق تعبير أسير أن الزنزانة مصممة كقبر من أجل أن لا ترى شيئاً

"هو في بداية الاعتقال الزنزانة بس كابوس بتصفي بالنسبة إلك، بتطلع عليها زي قبر، هي مصممة أصلا بنفس الطريقة بحيث إنك متشوفش فيها إشي فضى ومتشفش فيها أي إشي طبيعي. على الفترة لما تدخل على الزنزانة بس بتصفي الكوابيس شغالة ٢٤ ساعة بتصحى من كابوس بيتدخل على

كابوس ثاني، حتى هاي طبيعية تجربة مع الزنزانة بتكون سيئة خصوصا لما تكون انفرادية" (م.ع، مقابلة خاصة بالرسالة)

يستكمل الأسير المحرر بأن التجربة في التحقيق والعزل تجعلك

"إنتا بتتذكر أشياء معمركش تذكرتها وهذا جزء من طبيعة التحقيق هلا لما البشر بتكون منفردة، هلا لما البشر بتكون منفردة بتبلش تبحش في ذاكرتها عشان تتسلى، بتصير تتذكر كل قضية إلها دخل والا ما إلها وهم معنيين بنبش ذاكرتك، يعني موضوع الانفرادي مش موضوع إنه بدو يسببلك حالة يأس، هو موضوع انتا كشخص وبطبيعة البشر لما يكونوا منفردين، ببلشوا يستدعوا الذكريات عشان يسلوهم لأنه فش حدا يتسلوا معه. صفّى هذا اسهل للتحقيق، المحقق مش راح يبذل جهده وانتا مش راح تنسى إشي، إنتا بتحاول تنسى أشياء عشان ما تحكي فيها بس بالأول وبالآخر في الزنزانة فش مجال إنه تنسى، كل إشي كل ذاكرتك بتعيد حالها بشكل منيح وممتاز، من وين انت جبت هالذاكرة بتعرفش، كل تفصيلياتك بتكون واقفة قدامك وبتحاول تشرد منها في بعض الأحيان يتقدرش تعمل اشي عشان يسليك، بتتذكر هان وهان وهان.

هذه الزنزانة محل موحش بتحاول تستدعي فيه كل الذاكرة عشان على الأقل تخفف حدة الوحدة بداخلها وهذا بخدم التحقيق، بخدم المحقق في الأول وفي الآخر. يعني كل ما تذكرت أفضل كل ما كان وضعك أفضل بالنسبة إله، هلا طبعا موضوع شو بدو يصير معك في التحقيق هذا شيء آخر بس على الأقل هو بدخلك عشان تكون جاهز لغرفة التحقيق. يعني أنا بالنسبة إلي بعتبر الزنزانة إنتا بس بتستدعي فيها كل ذكرياتك عشان تخفف وحدتك، مش عشان تساعد المحقق، وهم دارسين أو ما بعرف في دراسة ولا لأ، أنا بحكي عن تجربتي في الزنزانة مش ممكن تغيب عنك لا شاردة ولا واردة، انتا بتستدعيها كلها وبتحاول تشوف مين فيها ممكن يخفف عنك وحدتك بالزنزانة." (م.ع، مقابلة خاصة بالرسالة)

استدعاء الذاكرة أمام تصميم النسيان وعدم البوح بأي معلومات تصبح قضية يجب على الأسير في فترة التحقيق والعزل معالجتها من أجل الصمود داخل التحقيق، تقابله حالة موحشة من الوحدة تضطره إلى استدعاء الذاكرة لمعايشة أمر الوحدة في ذلك المكان الموحش المسمى زنزانة.

المكان المتنقل:

المكان المأسور ليس فقط مكان ثابت، محدد بجدران وبناء، بل يستمر دوره خارج إطار هذه المباني عبر حافلة نقل الأسرى

"البوسطة وهو باص يقل المساجين طبعا مش باص هو مقسم على شكل زنازين من حديد وهو مؤلم جداً، ممكن الواحد يسمع كثير من أشكال العقاب والمعاناة داخل السجون أنا بعتقد انو اكبر او اعنف او اقصى حالة عقاب على الاطلاق هي البوسطة فش زيها في الدنيا عقاب" (ف.ج، مقابلة خاصة بالرسالة)

نجد أن الحافلة يتم تقسيمها لتحاكي المعتقل/ السجن، ولتستمر أسباب عقاب الأسرى خلال نقلهم في ظروف قاسية جداً.

مكان العزل:

مراحل السجن بالأساس هي ثلاثة، فترة التحقيق وتتم في زنزانة منفردة، مع استخدام أحياناً زنزانة مع أسرى آخرين و/أو "عصافير" وهم متعاونين مع الاحتلال، فترة الاعتقال وتتم في أقسام السجن، وهي مجموعة زنازين كبير نسبياً أو مجموعة من الخيم، وكذلك فترة العزل، وتتم في زنازين منفردة أو مع مجموعة من الأسرى.

العزل يهدف إلى زيادة الضغط او عقاب بعض الأسرى نتيجة أحداث داخل السجن

"حتى بالسجن في عزل وتعذيب يعني حصل مشكلة بالسجن بدهم يعاقبوا سين أو صاد بمنعوه يتواصل مع الناس بعتبروه مؤثر أو قادر يضبط الأمر عنده امكانيات اكتر باخدوا على العزل زنازين بعيده عن السجن الرئيسي في المحيط ولكن بعيدة ليمنعوا يتواصل. يعني انت بتكون ما بتتواصل مع الناس ولا بتحكي مع حدا فش كتب ولا قراءة تخيل أنت بدك تعيش سنة أو ست أشهر ما تشوف حدا إلا السجان لما بده يفوتلك هالاكل من تحت الباب القضبان في زنزانة زنزنتين أحيانا ومغلق الباب الرئيسي بالتالي ممكن يصير عندك كمان لما ما بتحكي بتضعف عضلات الفم واللسان ما بتفكر بشي وبالتالي استطاعوا شبابنا أنه يتغلبوا عليها هو كان المقصود إنهاؤه بهدوء دون أن يبينوا ذلك ولكن ممكن تلعب رياضة ممكن تقرأ قرآن يعني كمان كانت احيانا ممكن تتواصل مع حدا يصحلك صحن ولا ورقة أو قلم (ر.ذ، مقابلة خاصة بالرسالة)

إن فترة العزل الطويلة تؤثر على الصحة العقلية، والسلامة النفسية، وكذلك مهارات الحديث والمخاطبة نتيجة رغبة "إدارة" السجن في عقاب أسير ما لدوره في الأسر.

العزل ليس بالضرورة رغم قساوته أن يكون أكثر ظروف السجن سوءاً، هذا ما حدده أسير محرر

"السجن كمكان، هو لا استطيع أني.. هو مكان محدد، الحركة فيه محصورة جداً لا تستطيع أن تتحرك به بإرادتك وبحريتك مع صغره هذا صحيح، لكن أنا اعتقد أن السجن كمكان قد يكون مكان فضاءه واسع لكن الشعور بالأسر قد يكون قوي أو أكبر بكثير من... بمعنى، لو أردت أن أقيس تجربتي، أنا عشت في ظروف كنت فيها في العزل الانفرادي وهو بتحكي عن حجرة صغيرة جداً متر ونص مممم مترين ونص إلى ٣ أمتار كحد أقصى، هذا المكان الضيق لم أكن أشعر فيه أنني مقيد وأن الأسر ترك... أو أن في هناك حالة ضغط نفسي وغيره عليّ بسبب هذا الأسر ولكن ممكن في فترات

أخرى عشت فيه كانت حرية الحركة أوسع إمكانية التنقل بين الأقسام بين الغرف، ساعات التنقل هي ساعات طويلة جداً ولكن كان واقع الأسر في تلك اللحظات علي هو أكثر بكثير وكان الشعور بالضيق وبالضجر وبوقع على نفسي أكثر بكثير." (ف.ج، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى هنا أن رغم أن غرف العزل صغيرة جداً حتى مقارنة بغرف السجن الأخرى، ولكن الشعور بالضيق والضجر داخل غرف السجن يجعل غرف العزل أحياناً أسهل احتمالاً.

التقسيمات الهندسية داخل السجن:

السجن كمكان كما تم ذكره في فصول الرسالة يتم تقسيمه هندسياً بطريقة معينة محددة علمياً وفق التجارب المختلفة، بحيث تترك تأثيراً كبيراً على الأسير، وهذا ملاحظ في التحولات على شكل وتقسيمات السجن على مدار فترات زمنية طويلة.

التقسيم الهندسي يتضح أنه وضع خصيصاً للأسرى الفلسطينيين من أجل تحقيق أهداف الاحتلال، ويتضح هذا أكثر عند مقارنة سجون الأسرى مع سجن الأسيرات بحكم أنه سجن مختلط بين الأسيرات الفلسطينيات والسجينات المدنيات

"بدك تفرق السجن الي كنا فيه هو الوحيد للبنات وهو جديد مبني حتى يضمن شغلهم وعملينه بطريقة أنه يجيبوا عليه العالم لو اجا ضيوف او زوار من الخارج أنا بحكيلك وكأنه منتزه، ولكن المشكلة بالتعامل الداخلي أما بالنسبة لسجون الشباب فمعظمها اشي قديم غرف كبيرة وبحطوا فيها عدد كبير بس احنا كنا بغرفة صغيرة كتير فيها ٦ بنات ٣ تخوت طابقين بس فش وسع تتحرك" (ر.ذ، مقابلة خاصة بالرسالة)

نجد أن جزء من السجن وزراعة وورد فيه مختلف عن باقي السجون، لتسهيل زيارة زوار

للسجن بحيث يأخذوا انطباعاً ايجابياً عن مكان الاعتقال، ولكن رغم هذا كله فأنهم تحكموا بعدد الأسيرات داخل الغرف، فوضعوا عدداً كبيراً لا يمكّن الأسيرات من الحركة.

هدف التضييق هنا هو ملأ الغرف بأكبر عدد من الأسيرات، بمعنى إيجاد نوع مختلف عن عقاب الأسرى، بحكم اختلاف التركيبة الهندسية للسجن

"أنه قديش بقدروا يدقوا عليك ما يكون عندك افق للتوسع انك تشوف كلما خنقوك اكتر بفكروا خنقوا رأينا نفسيتنا فكرنا لأنه هذا كله بده ينعكس عليك من الداخل" (ر.ذ، مقابلة خاصة بالرسالة)

إن التضييق على الأسيرات كما ذكرت يتخذ شكلاً مختلفاً، ولكن لنفس الأهداف والدوافع.

جزء من الأسرى وعيّ لأهمية هذه التقسيمات الهندسية المكانية، والتحولات التي طرأت عليها وتحديداً الأسرى الذين قضوا فترات طويلة داخل الأسر

"إدارة مصلحة السجون تعمل بشكل دائم على أنها تحاول تراعي تقسيمات هندسية بحيث أنها تحسن وضعها الأمني فيما يخص موضوع العلاقة والاحتكاك بالسجين وإمكانية هروبه وعدم هروبه، ولكن من جهة أخرى حتى أنها تشعر السجين بقيد الأسر بشكل أكثر بمعنى أن السجون الحديثة الحالية التي يتم بناءها الآن على اسس وقواعد علمية مدروسة بشكل جيد من خلال تجربتهم المتراكمة على فترات طويلة هو يقيد حركتك في مكان ضيق جداً ويجعل منطقة الفسحة أو التي نطلق عليها اسم الفورة أو الساحة التي نقضي فيها بعض الوقت تكاد أن تكون غرفة لا تختلف بشكل كبير عن أي غرفة أو قاعة تقريبا ولكن بدون سقف أو حتى سقف جزئي، فهذا يترك انطباع عند الانسان بأنه حتى فش مجال إنك تخرج إلى أي فضاء يشعرك بسعة هذا الفضاء، أنت تبقى محصور تبقى بين الجدران بين الأسلاك بين القضبان، إذا يبقى عندك شعور دائم بالأسر وبألم بالأسر." (ف.ج، مقابلة خاصة بالرسالة).

أسير محرر رأى السجن كمكان من زاوية أكثر تحديداً، والتصاقاً بفكرة عمل السجن على الأسير بكل امكانياته

"لا شك أنه كمان إله أبعاده المختلفة أولاً بالتصميم، ممكن المكان بتقسم كله إلى مربعات ومستطيلات ولا مرة إنتا بتشوف غير ذلك، على الأقل بالسجون الإسرائيلية إللي أنا فتّها، كله مربعات ومستطيلات. هذا بعطيش أفق ولا إبداع للنظر نفسه ولا بنعكس على مخيلة الناقد بمستقبل الإبداع."

(أ.أ: ٢٠٠٩/٢/١٥)

حدد الأسير هنا تصميم السجن كأحد أبعاد العقاب والقمع والضبط الممارس على الأسرى، من خلال تقسيمه إلى مربعات ومستطيلات، بحيث تحجب الأفق عن الأسير، وتمنع عنه القدرة على التخيل، ويستكمل نفس الأسير بوصف السجن كمكان

"بفكر من الآخر المقصود من في كردورات كثير حتى تعملك توهان برسم خارطة المكان- إنت كل مكان بدك تقعد فيه بتحاول تتخيله براسك عشان تقدر تسيطر عليه- والمقصود إنه هو يقدر يسيطر عليك مش إنت تسيطر عليه." (أ.أ، مقابلة خاصة بالرسالة)

استطراد الأسير بوصف السجن كمكان من حيث وجود عدد كبير من الممرات مرتبطة بوجود تقسيم الأقسام على شكل مربعات ومستطيلات من أجل عدم قدرة الأسير على وضع ورسم المكان كخارطة، وبالتالي عن عدم قدرة الأسير "السيطرة" بمعنى الفهم الواعي للسجن، بل تحكم المكان بالأسير من خلال هذا التقسيم.

استكمال التقسيم الهندسي بالقدرة على الإغلاق بمعنى الحد من انفتاح المساحات على الأسرى، بوجود عدد كبير من الأبواب المتوالية

"المكان زي كل السجون بتميّز بالإغلاق... بمعنى مش إغلاق،... تعدد إغلاقات... باب ورا باب ورا باب ورا باب، هاي مجموعة الأبواب فيها حد من الإبداع في المخيلة، ويتوقف... فش مدى فوق

بالمكان إللي إله علاقة بالسما مفش مدى، طول الوقت مش ممكن تشوف الفضاء إللي فوق من أسلاك شائكة، السماح للرؤية من خلال الشباك مجزأ ومقسم لأنه في شبك بقسّم فيتشفش الرؤية كاملة." (أ.أ، مقابلة خاصة بالرسالة)

الحد والمنع من التواصل مع المكان كمساحة قابلة للفهم والتخيل يستكمل بمنع التواصل مع الفضاء أو السماء أثناء فترة "الفورة" من خلال السماح بالرؤية من خلال شبك، وبالتالي تقييد حتى سماء السجن بعقول ووعي الأسرى.

أسير سابق إضاف أن هناك فروقاً بين السجون التي يشرف عليها جيش الاحتلال، وتلك التي تشرف عليها مصلحة السجون، حيث أن الأخيرة تعمل من خلال مجموعة من الخبراء الذين يقومون بدراسة التأثيرات على الأسرى، وذلك بالاستناد إلى تجارب دول أخرى

"يعني مثلا كل السجون اليوم حتى السجون اللي فيها الخيم في أسوار عالية، هلا هذا مشان شو؟ هلا عندك أسلاك وعندك صحراء طويلة عريضة وين ما بده يجري الواحد مش راح يساوي إشي، كيف بده يصير بعشرة متر فوق وحولين كل قسم، هو فعليا بس بدو يخليك... حتى الناس اللي عندهم أشعار والناس الرومانسيين ببطل عنده القدرة إنه يقعد العصريات قدام الخيمة ويطلع على الصحراء ويفكر ببطل في أفق عنده، وين ما يروح بعينه بتبعدش عن ١٠ متر هذا إله أبعاد نفسية واضحة، بقضية تقسيمات السجن وكيف الأسوار وكيف الهاي.. هذه إلها في البعد النفسي للمعتقلين، وبالتالي بتحدد. أنا بشوف إنه بعض المرات مش دايما بتكون الأمور بهاي الطريقة، يعني بعض المرات قضية الأزمة والاكتظاظ بتحدد قضايا كثيرة، يعني هم معندهمش مشكلة يشيكولك أي محل ويرموك فيه، المهم تكون جوا، هذا المؤسسة الأكثر عدم خبرة في المعتقلين اللي هي الجيش، الجيش مش كثير خبرته بالمعتقلين، إذا بتحكي عن مصلحة السجون مدرسة ومؤسسة بتدرس المعتقلين من جميع الجوانب وبتدرس آليات ضبط الناس هذول، يعني على سبيل المثال لما استلموا سجن النقب، النقب كان مفتوح،

أول إشي طلبوه إنه كل قسم ينحط عليه صور طوله ١١ متر لحاله، هلا هم بعرفوا شو أهمية هذا الموضوع، هلا الجيش ما بدقق على هذه القضايا لأنه الجيش ما عنده استعدادية ولا راح يفرغ جانب منه لدراسة نفسيات المعتقلين وآلياتها، بس مصلحة السجون مؤسسة بتشتغل بشكل ممنهج، كتضييق وللضغط وللحد من ثقافة البشر، بتحاول قدر الامكان تضغط المعتقلين من كل الجوانب، لدرجة إنهم ما اكتفوش حتى، يعني مثلاً سجن جلبوع من وين جابوه؟ تقنيته كلها؟ كل تقنيات السجن طبعا هم حكوا إنهم الإيرلنديين أكثر ناس كانوا سجونها على الأقل محمية ومحاطة وإشي، هسا قبل ما يبنوه ودوا مجموعة من الخبراء على إيرلندا ويشوفوا كيف طبيعة السجون هناك ويقعدوا مع مجموعة من الخبراء والهاد عشان يشوفوا شو الآليات اللي حطوها، هلا كل التقنيات اللي استخدموها بالإضافة لإيش- كل التقنيات اللي استخدموها كانت جاي من السجون الإيرلندية كيف كانت تتسوى- وضافولها طبعا التجربة الإسرائيلية اللي مش هالتجربة بسيطة، هذا كله تطبيق عالمعتقل، مش بس أنا بدي أبني غرفة واحط الناس فيها، مصلحة السجون بتشتغل ضمن آلية منهجية واضحة، وفي الاضراب الأخير تبع المعتقلين بكل وقاحة يجيبوا السياخ ويشووا يعني راحوا برضو درسوا كل تجارب الهاد، وهاد حكت فيه مصلحة السجون بوضوح، إنه هم خصصوا لمواجهة الإضراب طاقم من الخبراء طاقم من المتخصصين بالأشياء النفسية للناس، عدة طواقم عشان تكسر الإضراب، هلا هاي الطواقم مش بس عشان تكسر الإضراب، عشان ما يصير إضراب لاحقاً، هم مش بس بجيبوها عشان تواجه إضراب ١٠ أيام أو ١٢ يوم وخلص روحوا، طيب كيف أنا بدي أتلافى هذا الإضراب عشان هيك، درسوا حالات السجون درسوا الاضرابات التركية والإيرلندية وكيف انكسرت وشو آليات كسرها وشو طبيعة البشر وشو طبيعة الناس وخصوصية الوضع الفلسطيني وحطوا مجموعة من الممارسات اللي كل السجون مقدرتش تصمد في هذا الإضراب، يعني هذا تقريبا أفشل إضراب في تاريخ الحركة الأسيرة صار.... فهم باستمرار بدرسوا كل آليات وكل إمكانيات إنك تضغط الحركة الأسيرة تضغط المعتقلين تضغط... همي ما ضيقوا ما منعوا البرامج الثقافية وما منعوا البرامج التنظيمية ولا حظروا الفصائل، يعني إدارة السجون لليوم بتتعامل مع الفصائل ومسؤولين الفصائل، لليوم بتعرف إنو في

تنظيمات، لليوم بتعرف إنو في جلسات لليوم بتعرف إنو في بطيخ، هلا همي شو منعوا؟ منعوا الزيارات الداخلية قللوا من الفورة والخروج للساحة، هلا هم قللوا من كل الأشياء اللي بتساهم إنها تخرج الناس من حالة الروتين إللي هم موجودين فيها." (م.ع، مقابلة خاصة بالرسالة).

تأتي الأيديولوجية الاستعمارية ومن داخلها الأيديولوجية الصهيونية من أجل استكمال الفصل بين الأسرى/الفلسطينيين، وبين إدارة السجون/ الاحتلال بحيث يتم اختزال الخارطة المكانية (بشير، ٢٠٠٤)، ويتبعها التأثير على الوعي باختزاله ضمن نطاق محدد، قد يكون غرفة أو قسم أو حتى السجن.

يتبين لنا أن حتى الفصل والتقسيم الهندسي داخل السجن:

تقسيم نفس الأسرى إلى أجزاء يخدم التحكم بهم بصورة أسهل من المجموع عام، ويعمل بالأساس كجزء من ألة السجن للتطويع، وفصل الفرد عن نضاله الجماعي المتمثل في الحركة الأسيرة وأهدافها الوطنية. كما أن الفصل بين الأسير والسجان، وإيجاد مسافة فاصلة بينهم، تقلل من الاحتكاك الجسدي، وتزيد من قدرة السجان على التحكم بالأسرى، وهذا ما قدمته في بداية الرسالة على إزاحة الجسد عن مركز العقاب، وتحوله لأشكال أخرى، وهذا ما عني أيضاً نظرياً في خلق فضاء "صهيوني" مختلف عن الفضاء العربي.

يخدم التقسيم الهندسي التقليل من القدرة على الهروب من السجن، لأن هذا يعني أن السجن يمكن اختراقه، وأن ليس عقاباً/ عقابات نهائية تقع على الأسير، وهذا ما لا تريده إدارات السجون، وبما يفيد تقييد أكثر للأسرى من خلال إيجاد تقسيمات كثيرة، ومتاهات مكانية تفيد أنه ليس مسيطراً على بيئته على الأقل بقدرته على إدراك هذه التقسيمات.

الفصل يفيد في تطور أشكال التقسيمات، وبنى المكان مع تطور تجربة الأسرى من قبل إدارة

السجون، مما يدلل على أن هناك مراقبة علمية تجري على تجربة الأسرى، ويتم تقييمها دورياً، واستخلاص نتائج معينة، وإعادة تطبيقها على الأسرى، بمعنى الاستخدام الاستعماري للمعرفة عن المجتمع المستعمَر. وفي مثال واضح على هذا مكان الفسحة أو ما تسمى بمنطقة "الفورة" كانت ساحة واسعة، ولكنها مع الزمن تحولت لتصبح قاعة شبه مغلقة مسيطر عليها، بدل أن تشكل فضاءً مفتوحاً يمكن الشعور بحرية جزئية فيها، وهذا يفيد تقييد النظر والإحساس بمكان مفتوح.

إبقاء الأسير بمزاج أسر لا يمكن الهروب منه، فحتى ساحة الفسحة مع أنها محاطة بجدران كبيرة إلا أن هذه الجدران يوجد عليها أسلاك شائكة لتزيد من شعور الأسير بأنه مقيد في كل حركاته.

استمرار صفات السجن إلى خارجه من حيث المناعة المكانية والمحدودية، مثل التنقل بالبوسطات (القيد، الإغماض، مساحة البوسطة الضيقة، والكراسي الحديدية، أو الجلوس أرضاً أثناء النقل بالتحقيق).

انفصال الطبيعي عن السجن:

ذكرت في جزء سابق أن مرحلة الاعتقال تهدف لفصلك عن مكانك الطبيعي، وتعيد تركيبك في مكان "غير طبيعي" هو السجن من أجل فرض إرادة السجان عليك لانتزاع الاعتراف، ومن ثم الخضوع له، وفيما بعد مرور الوقت يركب الأسير مشاعره بطريقة إنسانية معقدة يصبح حينها مكان السجن هو الطبيعي

"أنا بالنسبة إلي إنك تقعد بالسجن فترة، راح تتكون عندك ذكريات عن المكان، وهاي الذكريات بتصفي جزء من حياتك، إنتا ما بتقدر تتنكر ولا لأي جزء منك، وبالتالي المكان بكل مساوئه وبكل سلبياته بظل مكان وبظل جزء من مبنى حياتك من تاريخ جزء منك، وبالتالي في حينها بتشعر بعدم

الألفة بس بعدين بتكتشف إنه جزء منك جزء من ذكرياتك وبالتالي هذا الجزء مش الجزء الأسوأ ممكن يكون، بالرغم من كل مساوئه ممكن ميكنش الجزء الأسوأ لأنه إنتا مش رايح بنزهة، يمكن لو في نزهة رحت وتنكد عليك تتنكر لهذا الجزء من ذكرياتك، بس هناك إنتا رايح لقضية ما بتدافع عنها وبتآمن فيها، يعني بصفي هذا الجزء مش بس مرتبط بالمكان اللي إنتي موجود فيه، مرتبط بإشي أوسع، يعني إنتا موجود لأنه مفروض عليك تكون موجود.

إنتا مش مقتنع بالموضوع، إنتا مسلّم إنه هذا جزء من الضريبة اللي إنتا بتدفعها، وبالتالي حتى المكان أو السجن كمكان إنتا ما بتعيش حالة غربة معاه، أو مبتشعرش إنو إنتا مضغوط، لاحقاً، أما في نفس اللحظات اللي بتعيش فيها اللحظة، مهو إحنا بعض المرات بنقدرش قيمة اللحظة إلا بعد ما تمر، هلا إنتا بتكون علاقات في السجن، بتكون صداقات في السجن، وفي بعض الأحيان بتكون عداوات كمان. وسياق السجن العام بالناس الموجود فيه، هو مش سياق مقطوع عن باقي المجتمع، هم بحاولوا يقطعوه، وبالتالي إنك تشعر بحالة غربة أو إشي، بس هو مش سياق مقطوع هو سياق طبيعي وعادي، وهو بصفي جزء من الإشي، هلا وين بصفي السجن مؤلم، لما إنتا بتقرب لتفاصيل الحياة الطبيعية، مثلاً قبل الزيارة وبعد الزيارة.

قبل الزيارة وبعد الزيارة إنتا بتقرب لتفاصيل الحياة الطبيعية أكثر وبالتالي حنينك للأمور بصفي أعلى، وبتصفي مضغوط، أما مثلا في الأيام الطبيعية في اليوم الطبيعي إنتا بتصفي عايش بشكل طبيعي، أنا بدي أصحى بكرا وأعمل كذا وكذا، بتقدر كبني آدم تتكيف مع السجن، مش تقبل التواطؤ، بس على الأقل تتكيف معاه، هلا كل ما طالت فترة السجن كل ما زالت قضية تأثير الأشياء وتأثير الجدران لأنه بتصفي جزء من مبناك الطبيعي، يعني مثلا إللي بقضي خمس سنين أو ٦ سنين بالسجن مش زي اللي جاي مبارح من دارهم. هاللي جاي مبارح من دارهم لسا عايش ذكريات الدار وعايش أمور الدار وعايش أمور أهله وعايش أمور أبوه وعايش أمور أصحابه. هلا كل ما انتا طالت الفترة كل ما علاقتك مع الخارج قلت وبالتالي تفاعلك مع الخارج قل، بحكم إنو إنتا بلشت تبني بسياق آخر."

(م.ع، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى أن انقطاع "الطبيعي" الجديد المتمثل سجناً وعاداتً جديدة يصبح بقرب بالاتصال/ الالتقاء مع "الطبيعي" القديم بما يخلل من تركيبة التكيف مع الحياة الجديدة. فالنقل من سجن إلى آخر يضع الأسير في حالة من الإرباك وإعادة التكيف، وكأن السجن الأول أصبح هو "المكان الطبيعي" له وعليه معالجة وضعه المستجد، فتغير المكان داخل مكان السجن له تتابعات وتكرارات أخرى في خلق صورة التكيف، وتجديد صورة التهديد والعقاب، وإعادة إنتاجها على الأسير بين فترة وأخرى.

ويتمثل هذا الانفصال/ الأنقطاع في رسم حدود أو وضع خط أو إشارة على مكان يحول المكان إلى مكان أخر، ويخضعه لمنظومة مختلفة من الإشارات التي بأمكانها إحداث تغيير هائل عليه (بشير، ٢٠٠٤)، وهذا ما نراه يتمثل تماماً في المعتقل الصهيوني من حيث أن كل وجود هو حيز خارج الحيز الصهيوني، من أجل ألغاء/ضبط/ مراقبة من هم يرفضون قبول التقسسيمات الأيديولوجية الجديدة.

الجزء الثاني: زمان السجن ...؟

تحليل الزمان من منظور سيوسولوجي أمر صعب لأنه يعتمد على أحساس الفرد بهذا الزمان، وهو أحساس فردي مرتبط بعدة عوامل، غير أن تحليل الزمان داخل السجن يكتسب تحدياً إضافياً إذا ما نظرنا للأمر من زاوية السجان الذي يتعامل مع الزمان كأداة عقاب وقمع للأسير/ة الفلسطيني/ة، ومعنى الزمان كثمن مدفوع من مجمل حياة الأسير لإيمانه بقضية عادلة، واستعداد لدفع الثمن من حياته.

تتغير نظرتنا للزمن والماضي تبعاً للحاضر وفمهمنا له"وكما يذكر فولكنر "ليس الماضي ميتاً أبداً، فهو لم يمضِ حتى". ولا يمكن لفهم الواقعة الاستعمارية أن يتم إلا على المدى الطويل، القادر وحد على أن يأخذ بالاعتبار مآثر المشاركين في التاريخ وعيوبهم" (فوركاد في فرو، ٢٠٠٧: ٣٥٠).

التحدي يمضي قدماً في محاولة تناول الزمان كمفهوم مجرد، وبالتالي الطلب من الأسرى تجريد تحليلهم للزمان، وما يعنيه من نظرة لماضي مؤثر بطريقة مجردة، وكذلك الطلب منهم التعامل معه على أساس تقاطع هذا الزمان مع عوامل أخرى مرتبطة الفصول، والليل والنهار، وارتباطه بالفترة الأولى للأسر مقارنة بالفترة الوسطى أو الأخيرة، لذا حاولت هذه الرسالة أخذ فترة الأسر للأسرى المبحوثين كمتغير أساسي ومهم، فنرى بعض الأسرى ممن قضوا شهوراً امتدت إلى سنوات متراكمة على عدة فترات اعتقال، إلى أسرى قضوا أكثر من سبعة عشر سنة متوالية كفترة أسر.

نرى هذا التعامل مع الزمن في السجن في نص غسان كنفاني "حين تضعون رجلا في غرفة مغلقة خمسة شهور، بلا امل تقريباً، فان الزمن، اذن، لا يستطيع ان يكون بالنسبة له ما هو

بالنسبة لجميع الناس. ان تنظر الى ساعتك فترى انها الواحدة امر لا يعني شيئا. انه تجريد محض. الواحدة بالنسبة لرجل خارج السجن هي ساعة طويلة، او قصيرة، هي ساعة قبل الغداء او ساعتين بعد انتهاء العمل. و لكن ما هي بالنسبة لي انا؟ لقد تعودت هذا الامر تعودا فظا، وحين كف الزمن عن ان يكون بالنسبة لي علاقة مع الناس ومع نفسي صار الناس ـ وصارت نفسي ايضا اقل اهمية، استطيع ان اقول انهما صارا طرفا في مسالة حسابية لا تعني احدا لا بمقدار ما تعني عملية حسابية، بالارقام المحضة غير المترجمة الى مال او وزن او مسافة." (كنفاني، ١٩٦٦).

توجيه السؤال حول معنى الزمان من قبلي كان سهلاً، ولكن الانطباعات التي ارتسمت على وجوه الأسرى المحررين المبحوثين لم تكن كذلك، فأنا أتحدث عن جزء كبير من عمرهم قضوه وراء القضبان، يراد منهم أن يصفوه بكلمات قليلة.

منذ أصبحت في السجن

دارت الأرض عشر مرات حول الشمس.

اسألوها، تقل لكم:

"إنها مدة لا تذكر

تكاد لا ترى بالمجهر!"

اسألوني أنا، أقل لكم:

"سنوات عشر من عمري".

حين أصبحت في السجن

كان معي قلم رصاص

ذلك القلم انتهى خلال اسبوع واحد.

اسألوه، يقل لكم:

"إنه العمر كله!"

اسألوني أنا، أقل لكم:

"لا يليق بنا أن نتحدث عنه

إنه مجرد أسبوع واحد!" (حكمت، ١٩٨٩ب: ٢٣٠)

لذا ينقل هذا الجزء كما في معظم أجزاء هذا الفصل اقتباسات طويلة من مقابلات الأسرى المحررين لنقل تعبيراتهم اللغوية على السؤال، تعويضاً عن نقل مشاعرهم.

ألقدرة على الإمساك بزمان سجن يبدو صعباً للأسرى، رغم قضاء بعضهم حوالي العقدين داخل السجن، مثال ذلك الأسير من جنين والذي قضى حوالي سبعة عشر عاماً داخل الأسر، وربط الزمان بالشعور، رغم إدراكه لوجود عدد زمني (سنوات، أشهر) داخل السجن، ولكن قدرة الأسير على التعامل مع الزمان ما يجعله يتحرك بسرعة أو يتوقف، فهل يمكن للزمان أن يتوقف؟

"ممكن هناك تعريف تقليدي طبيعي ممكن الإنسان دخل السجن من فترة إكس إلى واي أو من أ إلى ب فهذه فترة السجن من ناحية زمانية الوضع مختلف شوي، تمر فترات قد تكون قصيرة ولكن أنا اعتقد ان الوضع مختلف شوي بمعنى أنه قد تمر فترات قد تكون قصيرة ولكن الشعور به بالأسر يكون عميق وممكن يتوقف فيه الزمان." (ف.ج، مقابلة خاصة بالرسالة).

يستكمل الأسير بأن الزمان هو

"لحظة" تطول أو تقصر بحسب المشاعر الذاتية والأوضاع المحيطة، وحينها يتحول زمن الاعتقال إلى لحظة زمنية تعتمد على تعامل الأسير مع ظروف اعتقاله "وهناك فترات قد تمر فيه فترات طويلة أيام أسابيع أشهر وحتى ممكن سنوات تمر كأنها لحظة دون الشعور بهذا الوقت، هذا الأمر

يتعلق بالشعور وبالوضع النفسي بوضع... إنتا كإنسان كيف مبرمج وقتك كيف تستغل وقتك كيف تتعامل مع الزمان تتعامل مع الزمان وقف فارغ فاضي انتا تجلس فيه تتمنى تحلم بالحرية دون عمل ودون إعداد للحرية, انا أريد أن أروح الآن وتنتظر الآن وهذا الآن يمتد إلى ما لا نهاية بهذه الحالة يكون الشعور بالزمان شعور كبير لا أستطيع أن أقول أن فترة الأسر هو فترة اعتقال كسنوات إنما فترة السجن كزمان هو اللحظة التي يعيشها السجين، إما أن تكون لحظة طويلة وإما أن تكون لحظة قصيرة." (مقابلة خاصة بالرسالة).

الوقت في السجن يمر بطرق مختلفة للأسرى وفقاً لتكيفهم مع الأسر، أو أي فترة من الأسر هم، التحقيق أو العزل، أو أقسام الأسرى

"وقت يمر بصعوبة، برامجنا وحياتنا وخططنا هي التي تقتل الوقت، ولكن لو أننا نعيش بالسجن بطرقة فوضوية ولا يوجد لدينا برامج وخطط لحياتنا اليومية وطول فترة الاعتقال فإن السجن سيكون صعب جداً وغير مستوعب." (س.ر، مقابلة خاصة بالرسالة)

وقت الأسر يمر بصعوبة بالنسبة لأسيرة قضت أحد عشر عاماً متواصلة في الأسر، وما يخفف من صعوبة الوقت وجود البرامج والخطط التي تهدف "لقتل" الوقت، أي أنها عملية تكيف قسرية، وعكسها يتم لو لم يكن هناك برامج وخطط يومية للأسرى والأسيرات.

ما تؤكده كذلك أقوال أسرى آخرين أن هناك عاملاً مهماً للفرد في التعامل مع زمان الأسر

"حسب كيف يتعامل الأسير مع السجن، فإذا استسلمت أنت كسجين للزمان سوف تجده طويلاً ومملا جدا، وروتينيا جدا، والأشياء التي يعملها السجين محصورة، وقليلة جدا، مثل الأكل، الشرب، النوم وممكن يقرأ إذا كانت القراءة مسموحة، أو يشاهد التلفاز إذا كان مسموحا بذلك، والوقت الذي نتحدث به عن السجن قبل ربع قرن تقريبا، كانت الظروف مختلفة تماما عن الوقت الحالي تحديدا بالنسبة للتلفاز والراديو وفترة الخروج من الغرفة، فإذا استسلم السجين سوف يجد أن السجن طويل وممل،

لكنه إذا استطاع أن يخلق لنفسه برنامج، فمن الممكن أن يخفف قليلا من وطأة الزمان، مع إن الزمان قاسي جدا، فيمكن أن يكون الزمان أقسى من القضبان، لان الإنسان يمكن أن يخرج من القضبان بمخيلته، ولكن الزمان صعب. فالأسير يعد كل يوم ويعيش كل يوم بيومه." (ع.ي، مقابلة خاصة بالرسالة).

الزمن يمر أسرع داخل السجن من خارجه بحكم كثافة الأنشطة والتفاعلات داخل الأسر خلاصة تجربة أسير أمضى ستة عشر عاماً

"في اشي ممكن تتفاجأ فيه، الزمن في السجن أسرع من الزمن برا، يعني السنة كانت تمر علينا في السجن، يعني أنا مثلاً]اسم حزب[في الفترة الأولى كان ملان نشاطات عنا، كان عنا أربع جلسات يومياً، معدل الجلسة ساعة ونص، يعني في ٦ ساعات عنا جلسات، وكان عنا قراءة ذاتية ساعتين، هاي ٨ ساعات كان عنا الفورة ساعتين هاي عشر ساعات، وفي عندك نوم كمان إذا بدك تنام ٨ ساعات، تمام؟ بظلو أربع ساعات للتفاعل الاجتماعي خارجي فش نشاط محدد، يعني أربع ساعات عندك في اليوم ومرات بمر اليوم جري فما في مجال وما في مرونة باليوم إنك بدك تخلص اللي عليك مثلا بدك تقوم بأشياء كتابية، دايماً فش عندك وقت وبتكون مضغوط في الزمن." (ي.غ، مقابلة خاصة بالرسالة).

تجاوز المكان بالمخيلة، ولكن لا يمكن تجاوز الزمان بنفس القدرة على التخيل، ورغم وجود البرامج والخطط فأن الزمن يبقى قاسياً جداً، ومرتبط بنظام عد الأيام التي يقضيها الأسير، وإذا ما ارتبطت الأيام بسنوات طويلة فأن العد نفسه يصبح جزءاً من عقاب الأسر نفسه. بالعودة إلى فترة الأسر وتحديداً في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي وعدم وجود التلفاز بشكله الحالي ووفرة خيارات الفضائيات، وعدم وجود كتب للقراءة أو حتى كتب قليلة لا تكفي لقضاء مدة طويلة نرى هناك معاناة أخرى مع مرحلة الأسر نفسها.

الأسر والمعتقل يأخذ عمرك تعبيراً عن قسوة وقوة وطأة الزمن داخل الأسر

"بالنسبة الي السجن باخد عمرك باخد حياتك أنت ما يوم ورا يوم عم تكبر انت ما بتشعر بهذا العمر احيانا بتنتهي سنين وانت مش شاعر يمكن احنا برا بتكون شاعر قديش، بس الي جوا كانه يوم بيوم بتبعوا .... هو بالنسبة الي سواء كمكان أو زمان هو تجربة هو عمر هو الام هو أحلام هو طموحات هو قتل هو كل هذه بعرفش إذا قدرت أوصل الفكرة" (ر.ذ، مقابلة خاصة بالرسالة)

هناك اختلاف في العمر داخل الأسر وخارجه، الإحساس بمرور الزمن ليس فقط بقياس سنوات العمر، بل بقياس وطأة الأيام على العمر، والشعور "بالكبر" أي بتجاوز عمرك الحقيقي داخل السجن، وقتل للكثير من المشاعر والطموحات، ونقيضها أي تجديد أحلام وطموحات مؤجلة بانتظار التحرر من الأسر.

الزمن يوصف أيضاً كحالة من المعايشة الاجتماعية داخل الأسر

"أنا بالنسبة إلي على الأقل خلينا نوخذ تقسيمات الزمان في المراحل الاعتقالية، هي صحيح موجودة، بس مش هي اللي إلها الأثر الأكبر، يعني أنا ما بشوف فترة التوقيف وفترة التحقيق وفترة الاعتقال هي فترات مختلفة زمنياً بشكل حاد. الصح إنو البشر إللي إنتا بتعيش معاهم هم بعبروا عن طبيعة الزمان اللي بتكون انتا موجود فيه، يعني أنا كنت في فترة في مجدو كنت موجود في غرفة، كان فيها بس حماس وجهاد إسلامي، هلا أنا كان لازم أعيش ضمن سياق معين أنا مش مقتنع فيه تماما، فالأفضل إلي أنام بالنهار وأصحى بالليل طبيبعة البشر الموجودين هم بحددوا آلية الزمان." (م.ع، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى أن التفاعل الاجتماعي مع بقية الأسرى يحدد سرعة مرور الوقت داخل الأسر، بالإضافة

إلى مرحلة الأسر من توقيف، تحقيق أو اعتقال.

تعريف الزمان في السجن مادياً وفلسفياً كنقيض لحالة الزمان في الخارج، أحد تعبيرات الأسرى نتيجة معايشة الأسر، ومحاولة فهم كافة قضاياه

"الزمان الي بمضي على الأسير في السجن بختلف جدا على الي بمضي برا ... لأنه ازا بدي افسر الزمان فش اله مفهوم هو اشي بوعي الإنسان لم بشوف حركة المادة فلما بشوف حركة المادة بتنتقل من حال على حال ومن شكل الى آخر فهو بعتقد أنه في دهر بمر عليها وهو صحيح هذا الاعتقاد لما بنعكس بجيه فكرة الزمان وبنميزها عن فكرة الوقت، بالتالي حركة المادة او الحياة الاجتماعية حولين الاسير بتختلف عن الحركة برا بالتالي بختلف برا عن جو لانه يا اما بكون عند الاسير مفهوم الزمان او الحركة الاجتماعية متحركة جدا او بطيأة جداً هذول متناقدين بس موجودين فعلا داخل السجن"

(و.ح، مقابلة خاصة بالرسالة)

ربط تعريف الزمان كعلاقة مع حركة المادة أو الحركة الاجتماعية، أو تفاعل الزمان مع حركة المادة، وبالتالي تعريفه من خلال الحركة، هذا يصبح أمراً صعباً داخل السجن بما أن الحركة الاجتماعية أو حركة المادة بطيئة جداًن وغير متغيرة بما يعني بالضرورة في علاقة تفاعلية أن الزمان يصبح بطيئاً، ولكن بنفس الوقت فأن الزمان كمحدد في ساعات وأيام وأشهر يمضي داخل السجن أيضاً، إذا أضيف عاملاً أخر إلى تعريف علاقة الزمان بالحركة، وهو علاقته بإحساس الفرد أو مجموع الأفراد به، ليتكسب الزمان معنى بطيئاً داخل السجن بعدم وجود حركة اجتماعية سريعة، ومضيه في ذات الوقت بالخارج بسرعة. لذا بمقاربة أخرى للزمن "فوق الزمن المعاش، الزمان المعقول. وهذا الزمان المعقول أشد إنطلاقاً، وأكثر حرية، وأيسر قطعاً ووصلاً" (باشلار، ١٩٩٢: ٣٠).

تصبح عملية التعامل مع الزمان من معايشة أمر واقع إلى محاولة تغيير بطء الزمن في السجن عبر استغلاله وملأ الحركة الاجتماعية بحركة فكرية مرتبطة بالقراءة والكتابة والمناظرة الفكرية وجلسات التوعية، حتى لا يتحول الأسير إلى شخص لا مبالي وصولاً إلى نسيان أصلاً سبب وجوده في السجن

"الأسرى بعتقدوا أنه الحركة بطيئة جدا وأي اشي بدي اقوم فيه ما اله جدوى وكذا بالتالي بتفرغ أي حركة حوليك وبركز على الحياة الاجتماعية وهون بتفرغها من مضمونها بالتالي الزمان هون فش اله هدف والحركة الاجتماعية والزمان طالما فش الهم هدف يبقى فش معنى للحياة انا مجرد انسان باكل وبشرب وبنام. بالنقيض اله ناس بعتقدوا عن الزمان أنه لأ أنا في الي هدف ورسالة داخل السجن الحركة داخل السجن الها معنى وجدوى ورسالة حتى أنا لو أنه كل الظرف الموضوع حولي لا مبالي انا بقدر اخلق من ذاتي شيء بحاول أقرأ أعلم أدرب حتى أفرض حالي على الخارج اكتب مقالات للجريدة اكتب شعر اذا بجيك تلفون مثلا بحاول احكي مع هون وهون الحركة داخل السجن وخارجه مكثفة فهون الزمان بكون مكثف جداً الي اكتر من الزمان لو اني عايشه برا." (و.ح، مقابلة خاصة بالرسالة).

الزمن هو الانتهاء أو هو لحظة الخروج، في تجاوز الفترة الزمنية التي سيقضيها الأسير في الأسر، هذا ما حدده أحد الأسرى المبحوثين

"السجن كوقت هو مصادرة الفترة الزمنية هاي من حياتك ونقول أن لها مؤثراتها المستقبلية. ١٠٠٪ أعرّف الزمان من حيث الجلاد. بالنسبة إلنا، أولاً أهم حاجة في الزمن أنه الزمن بالنسبة إلك هو محطة بدك تمر فيها فبتستعجل المرور فيها، يعني أنا إنسان بدو يقضي ٣ سنين- ما بعرف الشعور لحدا بدو يقضي مؤبد شو الزمان بالنسبة لإله. أنا الزمان بالنسبة لإلي إني أخلص الـ ٣ سنين، هذا الزمان بالنسبة إلي إني أخلص الليل عشان يجي النهار، لأ عشان يخلص النهار كمان بعديه يعني. هذا الزمان بالنسبة لإلي." (أ.أ، مقابلة خاصة بالرسالة)

مصادرة عدد من السنوات من عمر الأسير/ة، وهو زمن مرتبط بالجلاد، او مدى العقاب الممارس على الأسير أولاً من حيث وجوده في الأسر، ومن ثم باستمرار العقابات المختلفة على الأسير، ولكن هذا الأسير حدد زمان السجن بانتهاء المدة والانطلاق للحرية.

أسير يفسر سبب نقل الأسرى لنشاطاتهم إلى الليل وشعورهم بطول مدة الاعتقال، انتقالاً من قلة ساعات النوم وكثر السهر

"لأنه فترة انتظار فترة السجن بتكون أطول، هلا إنتا بتحاول تقلل فترة السجن من خلال إيش، ليش بيجوا كثير من الناس بتنقل نشاطاتها لليل فقديش ... بتقلل، لأنه شكل النشاط الأساسي في الحياتي بالنهار عنا، وبالتالي كل نشاطاتتك هاي موجودة بالنهار، عشان هيك أنا شخصيا بالسجون بشعرش بحالة ضغط في الشتوية، حتى وأنا بالدار أنا قاعد بغرفة يعني الحالة شوي متشابهة بشعر إنه السجن في الشتا أفضل من الصيف، هلا انتا بتنقل نشاطاتك لليل ليش؟ لأنه إنتا في النهار ممكن تتذكر إنه بدك تروح كذا، فبتحاول إنك تنقل نشاطاتك لليل وفي النهار بدك تنام، فعليا بطول الموضوع، لو إنتا قد ما بدك تنام بدك تنام للساعة ١٢ للساعة ١ وبتبقى نايم الساعة ٥ الساعة ٦، هاي فعليا قديش نمت؟ ٥-٦ ساعات، فبصفي اليوم حتى بالشيء الحسابي بالساعات أطول، وبحكم الانتظار، طويل، فبصفي يومك مش قابل يخلص، وكل ما قربت فترة الإفراج بصفي طول ما انتا كمان سهرك بطول وتفكيرك بالخارج بطول وانتقالك من حالة التعايش مع واقع السجن للتفكير ببرا، كل ما قربت فترة الافراج عنك كل ما انت ايش بتصفي؟ بتنقل حالك شوي شوي لبرا، وبالتالي بتبلش تعيش برا مش جوا، كيف بدي أروح وشو بدي أسوي، يعني من قبل ٧ زيارات ولا ٨ زيارات بتجهز أمورك لبرا من قبل شهرين ثلاث بتبلش تحكي لأهلك شو بدك تتغدى من أول ما تروح، إنتا بترتب حالك، يعني الأيام بتصفي، تفكيرك لبرا بزيد، سهرك بزيد نومك بقل وبتبلش تشعر إنه اليوم طويل وهو طويل فعلاً بحكم كل إشي، بحكم فترة الانتظار وبحكم فترة السهر الطويل اللي إنتا بعض المرات بتحسبهاش، بتحسبش إنك صاحي مرات لل٥-٦، وصاحي الساعة ١٢، يعني كل اللي نايمهن بتعدينش ٦ ساعات،

وصاحي تقريبا من ١٧-١٨ باليوم، يعني متوسط نوم المعتقلين أنا بقدّر هيك ما بين ١٢-١٥ ساعة قصدي صحيانهم، تقريبا أكثر من الفترة المطلوبة عشان هيك بشعروا بطول الزمن." (م.ع، مقابلة خاصة بالرسالة).

زمن التحقيق:

الإمساك بالقدرة على التفريق بين زمان وزمان، ارتباطاً بمعاصرة الزمان لمكان معين، وترافقه مع ظروف معينة، يبرز هذا داخل السجن في حالتين، الأولى هي فترة التحقيق، وهي الفترة الأولى التي يتم بها الضغط على الأسير من أجل نيل اعترافه، والحالة الثانية هي العزل، وتتم أحياناً لمعاقبة أسرى معينين للإمعان في عقابهم والضغط عليهم.

زمن التحقيق هو زمن مكثف لا يشعر الأسير به بالليل والنهار، أو حتى عدد الأيام التي قضاها، وأن كان شعوره أنها طويلة جداً

"الزمن الي في التحقيق ما بتعرف الدنيا نهار ولا ليل فش زمان لا تشعر بالساعات ولا بالايام لانه بتكون انت في وضع ما بعطيك فرصة انه تفكر في هذا الموضوع وبتبطل تعرف الايام يعني أنا قعدت في المسكوبية بالتحقيق ١١٢ يوم من أطول الفترات الي قعدها حدا بتحكي تقريبا عن ٤ شهور انا لولا لفيت بكله في شعري يوم ورا يوم لا بعرف لا قديش ولا شو الشهر ولا التاريخ بعد ما تنهي التحقيق على الأقل بتصير تتواصل شوي مع الناس ..نعم الزمان والمكان يتغير ولو قليلا ولكن هي أصعب فترة هي فترة التحقيق." (ر.ذ، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى من هذه الفقرة أن الشعور بالزمن فترة التحقيق بكونه طويلاً مستمراً وغير منقطع، بمعنى عدم وجود قواطع لحظية مثل فعل شيء ما، أو انتهاء النهار لمعرفة مرور يوم، فالزمن في التحقيق متواصل.

مقارنة الرجوع إلى الذاكرة بين الوقت في زنزانة التحقيق وغرفة الأسر تبدو جلية أكثر من

غيرها ارتباطاً بوجود أسرى وأسيرات ووجود برنامج، على عكس الزنزانة التي تكون فيها وحيداً بهدف النيل من أرادتك

"الوقت في الزنزانة أصعب من الوقت في الغرف، لأنك تكون لوحدك، ولا يوجد لديك سوى إرادتك وقوتك. ولكن في السجن يكون معك الرفاق، ويكون هناك برامج... أي أن هناك حياة كاملة في الغرف. الوقت في الزنزانة لا تميز النهار والليل، أما في الغرف العادية تلاحظ حلول الليل ولكن لا تحس بشكل جدي بالليل ولا تحس بوجود العتمة بشكل طبيعي ولا تشعر بالراحة بالنوم. فقط تعرف أن تميز الوقت من الساعة وليس مما تشاهده من ضوء أو عتمة." (س.ر، مقابلة خاصة بالرسالة)

ينطلق حتى بعض الأسرى في مراجعة ليل السجن كليل غير طبيعي، ارتباطاً بمشاعر السجن، كما نرى من الاقتباس السابق.

تمييز الليل والنهار داخل السجن بالاعتماد على عدد الوجبات إثناء فترة التحقيق طريقة للتعامل مع وضع ينشأ يرى فيه الأسير نفسه معزولاً عن البشر، بل وعن الطبيعة.

"أما الليل و النهار يختلف الوضع تماما إذا كنت داخل الزنزانة، والتي هي من أصعب الأشياء التي يمكن للأسير أن يواجهها، لأنه سيفتقد للزمن، فإذا كان داخل زنزانة معتمة فانه لن يعرف الليل من النهار، وإذا كانت الزنزانة مضاءة زيادة عن اللزوم فلن يميز الليل من النهار أيضا، لأنه لا يوجد لها منافذ على الخارج، فأنا شخصيا عندما كنت داخل الزنزانة كنت أميز الليل من النهار عن طريق وجبات الأكل. فإذا مر فترة طويلة ولم يحضروا الأكل كنت اعرف أننا في الليل، وإذا احضروا ٣ وجبات كنت اعرف أننا في النهار." (ع.ي، مقابلة خاصة بالرسالة).

لكن رغم هذا فأنه تم استخدام تقنيات حتى لعدم القدرة على التمييز الليل والنهار من عدد الوجبات أو من نوعها كما ورد في دليل التحقيق لوكالة الاستخبارات الامريكية ""المبدأ هو

التركيز جيداً على تصميم الجلسات بحيث تخل بقدرة الشخص على إدراك التسلسل الزمني... يمكن تنكيص بعض المستجوبين بواسطة التلاعب المتواصل بالزمن، من خلال تقديم الساعة وتأخيرها، وتقديم الوجبات في غير مواعيدها، أي بع عشر دقائق أو عشر ساعات من آخر موعد قدمت فيه، كما يتم الخلط بين الليل والنهار" (كلاين، ٢٠٠٩: ٦٤)، كما نرى في تجارب الأسرى أن بعض المحققين كانوا لا يرتدون الساعات، أو تلاعبوا فيها، بالإضافة إلى تغيير مواعيد ونوع الوجبات.

كثافة زمن التحقيق، وتنوعه، ووجود مراحل مختلفة داخله مهمة للاحتلال، وهو يشكل مدخلاً لكل فترة السجن اللاحقة

"الآن أين رست علي قضية؟ قاموا بالتناوب علي ثمانية من رجال المخابرات لم يدعوني أنم دقيقة واحدة، شحنوني إلى "بيتحتكفا" بعد ثلاثة أيام لم يخرجوا بنتيجة... فكر بأمرين أولاً؛ أنا متزوج من أسبوع وزوجتي موجودة، الأمر الآخر أنا لا يوجد عندي هذا الشيء الذي تتحدث به إطلاقاً كما أنني أعمل في مؤسسة غير حكومية وما الي بالقيادة الوطني الموحد؟ طبعاً إنتماءك الوطني يدفعك للعمل لكن أنا لا دخل لي بهذا الموضوع. بعدها سحبوني إلى بيتحتكفا ومكثت فيها ٢٦ يوماً نفس عملية الشبح على السطح أسفل الزنزانة على كرسي لا يوجد عليه خشبة، ليل نهار لا يدعونك تنام ولا تأكل ولا شيء، المهم ملوا مني لأنهم لم يخرجوا بنتيجة. حولوني على عسقلان عند "العصافير" هذه أكثر تجربة أتذكرها لأنها كانت مريرة. وصلت عسقلان أعطوني إداري لمدة عشر شهور، قرار إداري بعشرة شهور! إنسان غبي سيقول أنا ذاهب إلى النقب، ووضعوني في حافلة على أنني ذاهب إلى النقب ونحن في الطريق قال الجندي يجب أن نذهب لعسقلان ومن عسقلان يأخذونك للنقب، قلت حسناً لا يوجد مشكلة، لكن أنا مدرك أن اللعبة لم تنتهي بعد، أي كحيلة لم تنتهي لأنني مدرك للموضوع بهذه الطريقة، فوصلت عسقلان دخلت الغرفة وجدت شاباً جالساً في الغرفة يدخن "مالبورو" ويأكل – أنا كنت صداً أي تفرك عني الوسخ وينزل لم أكنت قد غسلت نفسي- أخطأ بحماقة وقال]ذكر اسماً[.

طبعاً]هذا الاسم[أنا أعرفه من النقب كان معي في السجن، قلت له أهلاً]يا فلان[ما رأيك أنا منهك وأريد النوع وقادم من بيتحتكفا، قال وأنا أتيت من الخليل ومعي قرار بعشر شهور –وأراني قرار كالذي أخذته- وأنتظر بوسطة كي أذهب، قلت له وها هو قراري أنا. وقلت له ما رأيك أن أستحم الأن وتصب الماء علي لاننا في غرفة كالزنزانة، أنا حاولت الدخول به لأني اكتشفت أنه جاسوس وأريد أن أنظف لأن العقاب قادم الأمر ليس بالسهل. وفعلاً استحميت بقي على فقط الملابس الداخليه وأخذت دشاً نظفت نفسي، كنت متسخاً جدا ٢٨ يوماً لم يلمسك الماء ولم تغسل وجهك ولا أي شيء. وبعدها جلست وبدأ بالتحدث إلي وقال أنا عندي سلاح ولم أعترف. قلت له أنت حر أما أنا أتكلم عن نفسي بصراحة أقسم لك إن أتى رجل المخابرات الآن لأقول له عنك، لماذا تقول لي هذه المعلومات أنا عندما تأتي المخابرات سأبلغها عنك أنك عندك سلاح، قال يا رجل، قلت له أنا رجل أعمل في مركز حقوق إنسان... علاقتي في هذا الموضوع، أنا لا دخل لي في السياسة ولا أتدخل في السياسة ولا في هذا الأمر وهذه قضايكم صديقي لن أعمل بها شيئاً فدعك من هذه القصة الفارغة وأنا ليس لي بها دعني أنام أريد أن أنام لنصف ساعة بعدها أستيقظ وأحدثك مرة أخرى. قال لي حسناً نام. نمت وشبعت نوماً نمت ما يقارب الساعتين وإذا بإثنين يأتون إلي يقولون نحن من غزة نحن جواسيس على المكشوف قالوها لأنهم عرفوا أني كشفت السابق بأنه جاسوس وهو جالس، قالوا للشخص الذي كان معي في البداية يجب أن تعترف يجب أن تقول، قال أنا عندي سلاح ومن هذا القبيل. أنا وقفت في زاوية كتلك قلت لهم يجب أن تعلموا أن من يقترب مني يا قاتل يا مقتول. أنا على اعلم أنهم جبناء وأنا فاهم للمعادلة لأنني قلت لك أن الصقلة الأولى البداية الأولى التربية الأولى في السجنة الأولى هي صقلة نوعية أعطتك دافعاً مهماً جداً جداً فهذه الصقلة الأولى هي التي عندي. وقفت في الزاوية وقلت لهم من يقترب مني سأقتله ليس هناك شيء أخاف عليه وأنا ليس عندي من الكلام التافه الذين تتفوهون به هذا. قالوا: لا أنت عندك وأنت تعمل وأنت قائد وأنت جزء من القيادة الموحدة. قلت لهم: من أين أتيتم بهذه المعلومات؟ معاهم في المخابرات؟ وإن كنتم جواسيس. فش إلهم عندي إشي المخابرات ما إلهم عندي إشي هذا الحكي مش صحيح، والمخابرات أنا قعدت ٢٧ يوم في بيتحتكفا

و ثلاث أيام في المسكوبية لو في اشي عندي كان قلته للمخابرات ليش اقلك اياه انت يا جاسوس ويا عرص ليش أقلكم اياه؟ وفعلاً شافوني وقفت هيك دقوا للجندي الباب طللعهم بعد ربع ساعة" (م.ح، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى من هذه تجربة أسير للمرة الثانية في التحقيق ونرى كيف تعامل الاحتلال مع مرحلة التحقيق، حيث يصف الأسير هذه المرحلة من حيث انعدام التواصل مع الزمن "يورد أحد دليلي الاستخبارات المركزية الأمريكية، شرحاً يتميز ببلاغته، جاء فيه: "ثمة فاصل –قد يكون قصيراً جداً- من تعليق للحركة؛ وهو نوع من الصدمة النفسية أو الشلل يأتي نتيجة لتجربة صادمة أو شبه صادمة، تنسف، بيطعة الحال، العالم المألوف للضحية، ونظرته إلى ذاته في ذلك العالم. ويتعرف المستجوبون، ذوو الخبرة، إلى هذا التأثير لدى ظهوره، ويدركون أنه في تلك اللحظة بالذات، يكون "مصدر المعلومات" أكثر قبولاً للإيحاءات، وأكثر استعداداً للامتثال، مما يكون عليه قبل تلقيه الصدمة" (كلاين، ٢٠٠٩، ٣٠)، كما أن كثافة التحقيق من خلال استخدام وسائل متعددة، ومنها "الشبح"، وهي الجلوس بطريقة معينة مؤلمة جداً من غير القدرة على الحركة على كرسي مخلوعة قاعدته، وبالتالي اعتمدت هذه الطريقة لانتزاع اعترافات الأسرى، جزء أخر من التحقيق هو الحبس في زنزانة يوهمونك انها زنزانة سجن مع "العصافير" وهم فلسطينيين متعاونين مع الاحتلال، يحاولون جعلك تعترف أو ينتزعون الاعتراف، كما نرى في التجربة السابقة.

فقدان آليات تحديد الزمن والوقت، كما التعبير عنها في العزل الحسي/ عزل الحواس من أجل خفظ الفعالية الفكرية (أنظر كلاين، ٢٠٠٩)، وهو جزء من أهداف الاحتلال في التحقيق كي يمنع تواصلك مع ماضيك من جهة، ويشوش على حاضرك

"أنا اعتقد نعم، أول شيء بفترة التحقيق يكون الشعور بالزمن مفقود كون انك توضع في ظروف لا

تستطيع فيها تحديد الزمن بمعنى آليات تحديد الزمن تكون مفقودة، أنت لا تستطيع أن ترى الشمس بحيث إنك تعرف الشمس طلعت أو غابت بتعرفش الدنيا نهار أو ليل انت ما بقدر انتا غير موجودة ساعة عشان تعرف الوقت حتى لو لقيت ساعة مش حتعرف انها ١٢ بالليل ولا ١٢ الصبح هو اليوم ١٢ يوم ثلاثاء ٢/١٢ ولا يوم اربعا ٢/٥ في الشهر.. هو شعور مفقود بالزمن انتا بتعيش فترة زمن مفتوح غير محدود وهذا بسبب الظروف اللي انتا بتكون موجود فيها. ممكن الواحد يكون عارف التاريخ اللي اعتقل فيه ولكن إذا نزل على محكمة ممكن يكتشف فيما بعد إنه امضى ٢٠ يوم وهو مفكر مدة اعتقاله ١٥ أو ١٤ أو حتى ٣٠ حسب حالة الضغط اللي بعيشها داخل التحقيق. يعني الشعور بالزمن قد يكون كبير وقد يكون قليل أنتا تشعر الزمن إنه ما بمشي أو إنه الزمن بمشي بسرعة. لكن آليات تحديد الزمن تكون معدومة هذه قضية." (ف.ج، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى أنه حتى يمكن أن يكون ضغط الزمن متسارعاً بما يعني عدم الشعور بأن الأيام التي قضيتها هي فعلياً أكثر مما شعرت به، أو أن تكون أقل لكثير مما شعرت به.

محدودية النظر ومحدودية الفكر هي من سمات زمن التحقيق، بحيث يصبح الأسير غير قادراً على التفكير بشكل مناسب أيضاً

"أصعب مرحلة أصعب مرحلة بالتحقيق ليش؟ لأنه بتشعر أن الزمن توقف. أول إشي هم بكونوا معنيين بعزلك بكونوا معنيين حتى إنك متسمعش صوت عربي، الأجواء اللي بتعيشها داخل في الزنزانة هي أجواء مغلقة بتصير عتمة مبتعرفش الليل من النهار. بصير عندك حالة إنو شو بدك تعمل، ومفش إشي كمان تعمله، فبتصير حاسس حالك إنو إحنا تحت رحمتهم، يا الله شو بدهم يساوو معي، شو بدهم يعملوا. مع الوقت، أنا في سجنتي الأولى ٤٠ يوم قعدت في التحقيق. وفترة طويلة من ال ٤٠ يوم مكنوش يحققوا معي، كانوا راميينني في الزنزانة، لو لسا بحققوا معي أهون... أنا بذكر في هذه الفترة كنت أحاول أرتب إنه هم شو بدهم مني إيش في بس بقدرش لأنه بصير كأنه الفكرة

كمان بتصير محدودة زي ما نظرك بشفش إشي كمان فكرك، بتحس حالك بنفس الدائرة بنفس الدائرة دودودودودودودو. صراحة كانت من أصعب اللحظات، يعني هذول الأربعين مظنش إنهم أربعين يوم بجوز أربعين سنة." (ع.ع، مقابلة خاصة بالرسالة، ٢٠٠٩/٢/١٠)

توقف الزمن هو إحساس عالي داخل غرفة الزنزانة في فترة التحقيق، مع عزلك التام عن أي أجواء تشعرك بالراحة، ووجود العتمة وعدم التعرف على الليل من النهار، بما يؤدي إلى السيطرة التامة على الأسير ووضعه في الأجواء المناسبة لانتزاع اعتراف، وما يساعد في ذلك عدم القدرة على التفكير نتيجة محدودية الرؤية، وهو ما عبرت عنه الأسيرة المحررة بالقول أنها شعرت بالأربعين يوماً مثل أربعين سنة في تجربة أسيرة اعتقلت أربعة مرات لمدة خمسة عشر عاماً.

زمن العزل:

يتم التعامل مع العزل كعقاب داخل عقاب، يستهدف أسر إنسان داخل الأسر، من خلال الحرمان من الحد الأدنى المتوفر في الاعتقال عقاباً على دور ما، أو عمل ما اداه داخل الأسر، وقد تتراوح فترات العزل لتصل إلى فترات طويلة جداً، وهناك أنواع من العزل تكون فيه مع أسير/ أسرى، وهناك نوع تكون فيه وحيداً

"يعني أنا عشت عدة فترات في العزل ومختلفة منها ٤ شهور منها ٣ شهور منها شهرين منها أيام عشرين يوم ٢٥ يوم ٤ أيام وزي هيك. انا اعتقد اني مريت في فترة عزل كانت عدة ايام كان أثرها ولها وقع كبير جدا على نفسي وكان الشعور بالزمن فيها ثقيل أكبر بكثير من الفترة اللي عشت فيها ٤ شهور بالعزل. في الفترة التي عشت فيها ٤ شهور بالعزل يمكن لأنها أجت في ظروف خاصة بمعنى أنها جاءت تقريبا بعد ٩ سنين من الاعتقال وكانت هذه الفترة هي فترة لأول مرة أشعر فيها بخصوصيتي، حالتي في السجن كانت خصوصية على الاطلاق، انتا بحالة احتكاك دائم وانكشاف

دائم على الآخرين، يعني الآخرين يطلعون على أدق تفاصيل حياتك لا يمكن أن تغيب عن أنظار الآخرين إلا اذا انت فتت على الحمام نص ساعة مثلا اقصى حد، فبهذه الحالة يعني يوم ما انا عشت فترة العزل او تجربة العزل في هذه اللحظة ممكن كانت تجربة كثير مفيدة كانت تجربة فيها حتى نوع كنت أنا بحاجة إلها أشعرتني بخصوصيتي لأول مرة أشعر أنا حاليا موجود بمكان أنا الوحيد موجود فيه ما حدا يطلع علي ما حدا براقبني ممكن أعمل اللي بدي اياه يعني هو المطلوب مش إنه الواحد أصلا ما في اشي الواحد ما بسويه، يعني في النهاية بدك تقرأ بدك تكتب بدك تمارس بعض التمارين الرياضية، هي الأمور اللي بتمارسها في السجن بشكل طبيعي ولكن انك تشعر للحظة أنك غير مراقب هو شيء مهم وأنك تشعر أنك تقدر مثلا أنه يمكنك تغيّر ملابسك في المكان اللي انتا موجود فيه بدون ما تكون مضطر انك تذهب لكمان لتتوارى كون أنه في آخرين بشوفوك، هذا كان شيء مهم الشعور بالخصوصية هذا كان شيء مهم. لذلك أنا ما بعتقد ان هذه الفترة بالنسبة الي شكلت شعور عميق أو ثقيل بالنسبة للزمن بل بالعكس الفترات أو وضع السجن الطيبيعي أو المعتقلات الطبيعية السجون الطبيعية اللي ممكن يكون فيها الفضاء أوسع ممكن يكون فيها حرية الحركة أكبر ممكن يكون فيها الاحتكاك بالآخرين مشاركة الآخرين حياتهم هو موجود ولكن كان ممكن يكون فيها الشعور بالزمن وثقل الأسر فيه أكبر بكثير وهذه قضية تختلف من واحد لواحد حسب التجربة. اعتقد انه لو فترة العزل امتدت لفترة أطول اعتقد راح يكون الشعور مختلف وهذا الكلام مثبت من خلال تجارب أخوة آخرين عانوا فترات أخرى طويلة في الأسر وفي العزل داخل الأسر وكانت تجربتهم مؤلمة جداً وتركت آثار عميقة في نفسياتهم وحتى في سلوكهم." (ف.ج، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى من تجربة هذا الأسير فرادة في الإحساس فيها، رغم أنها امتدت لأربعة شهور، مما يعني ابتعاده عن التواصل الاجتماعي واللفظي مع زملاءه لمدة طويلة، ولكنه عوض فيها الشعور بالحاجة إلى وحدة مؤقتة، وخصوصية الحركة دون مراقبة، والشعور بالخصوصية نفسها، مترافق مع القدرة على إجراء بعض الأنشطة، غير أن هذه التجربة لا يمكن تعميمها

بالكامل حتى مع تنويه المبحوث أن هناك تجارب عزل قاسية تركت آثاراً طويلة الأمد على الأسرى.

فصول السجن:

نقاش الفصول داخل السجن تبدو قضية بعيدة نسبياً عن هدف الدراسة، لذا استعرض هنا اقتباس طويل من مقابلة أسيرة سجنت لفترة خمسة سنوات بداية من عام ١٩٧٩، للتعرف أكثر على ظرف الحركة الأسيرة وعلاقتها مع فصول السنة، وفيها تقول

"طبعا مختلف عن خارجه، لأنك تتعرف على حياة روتينية، وتشعر بقسوة الشتاء، فبالسجن وخاصة في الفترة التي كنا فيها، كنا نشعر بالشتاء بشكل ثاني والصيف أيضا، وكنا نشعر بقسوة الشتاء، كونه سجن الرملة، وجو الرملة اقرب إلى الجو الصحراوي، جوها متأثر بالساحل، ولكن هي اقرب إلى جو الصحراء، فكنا نشعر بالبرد الشديد لعدم وجود الوسائل لاتقاء برد الشتاء، لأنه لم يكن مسموحا لنا أن ندخل الملابس الشتوية، فقد كنا نرتدي بلوزة عادية تعطينا إياها إدارة السجن، ولم يكن مسموحا أن ندخل الأحذية المغلقة فقد كنا نرتدي الأحذية المفتوحة، التي لا تصلح للشتاء، ولم يكن موجودا سوى مدفئة واحدة لأكثر من ٢٠ غرفة توضع في غرفة الأكل في بداية القسم، فكانت وسيلة التدفئة الوحيدة عندنا هي قِرَبْ الماء الساخن لمدة ساعة أو ساعتين بالأكثر، ثم تبرد المياه الساخنة فتعود الغرف والأسّرة إلى حالتها الطبيعية و تصبح باردة جدا.

وبسبب هذا الجو البارد كنا نملأ الكأس بالمياه الساخنة، ليس لشرب الشاي والنسكافيه، وإنما لمسكها بين راحتي اليدين، وبالتالي تعطي بعض التدفئة، وكنت في إحدى المقابلات على قناة الجزيرة بسبب البرد، قد طلبت كأسا من الماء الساخن لا شعوريا حتى امسكه و بالتالي يعطي بعض التدفئة، وأريد أن اذكر أن الأغطية لم تكن كافية، واذكر أن أكثر مشكلة كنت أواجهها شخصيا هي عندما المس الحديد، فقد كان باردا بشكل غير طبيعي، فإذا كنت نائما ولمست يدك الحديد، سوف تنهض من النوم، وكذلك كان الحائط باردا جدا. (ع.ي، مقابلة

خاصة بالرسالة).

وصف فصل الشتاء داخل السجن يكتسب معنىً إضافياً لما علق في ذاكرة الأسيرة لمدة تتجاوز الخمسة والعشرين عاماً، ولما لقسوة فصل الشتاء على الأسرى والأسيرات من عقاب "طبيعي".

زوجتي، حبيبتي!

لقد أطل الربيع في الخارج.

هناك وراء الجدران

انبثقت فجأة رائحة الأرض،

أصوات العصافير وغيرها

فوق البحار الجرداء.

الربيع حل في الخارج يا زوجتي

نعم: الربيع.

ألوان زاهية فوق النجاد الجرداء

وراء الجدران (حكمت، ١٩٨٩: ٢٧٢)

تستكمل الأسيرة المحررة بوصف فصل الصيف داخل السجن

"أما بالنسبة للصيف فهو قاس جدا بسبب الرطوبة العالية والحرارة العالية، فكانت تصل درجة الحرارة إلى ٤٠ درجة مئوية أو أكثر، وبنفس الوقت لا يوجد مكيفات ولا أي وسيلة لاتقاء حر الصيف، وكانت شبابيك الغرف صغيرة لا تدخل الهواء الكافي، ولم تكن تفتح بشكل كامل، فقد كان يفتح نصف الشباك فقط، وكنا ٦ أشخاص في الغرفة الواحدة وهي صغيرة جدا لا تتسع لنا فقد كانت

بطول ٣ أمتار وعرض ٢,٥ متر، وكانت الأسّرة فوق بعضها البعض، فعملية تغير الفصول داخل السجن لا تشعر بها كالإنسان العادي خارج السجن ولا تستمع بها. فأنت تشعر بقساوة هذه الفصول داخل السجن. (مقابلة خاصة بالرسالة)

فالصيف يعمل على خنق الأسرى في غرفهم نتيجة الحرارة وعدم وجود هواء كافي، والاكتظاظ الموجود.

دورة الحياة من خلال فصول السنة، وعدد السنين، والحياة الاجتماعية للناس من خلال الزواج والولادة والوفاة تختلف داخل السجن، وتحديداً في حالة الأسرى اللذين أمضوا فترات طويلة داخل الأسر

"نعم هو بلا شك أول شيء الأسير هو انسان تم عزله عن الحياة وعندما تنعزل عن الحياة يعني دورة الحياة تغيب عنك، يعني اذا أخذناها بموضوع فصول وموضوع الزراعة يعني مثلا انت تعرف انو موسم الفاكهة الفلانية أو المزروع الفلاني وهذا شيء انت تشاهده كونك انت موجود بتشوف السهول شو مزروعة بتشوف الثمار الموجودة في السوق، فانت بتحكي عن دورة الحياة الطبيعية. في دورة الحياة التي تتعلق بالانسان بتشوف الطفل يوم ولد وبتشوفه يوم صار عمره سنة وسنتين وثلاث وكبر ودخل المدرسة وحاليا صار توجيهي وبعدين دخل الجامعة، هاي دورة الحياة يوم تشوفها على الذكر وتشوفها على الأنثى تشوف الانسان اللي كيف قاعد بختير وكيف قاعد بهرم وكيف قاعد بتوفى فانت هذه الأمور قاعد بتشوفها وبتعيشها، هذه الامور غير موجودة داخل السجن أنت لا تستطيع أن تحياها داخل السجن أنت محصور مع اشخاص محددين كون انك في حالة تواصل دائم معهم هم لا يغيبوا عن أنظارك أنت لا تستطيع أن تلمس بشخصهم دورة الحياة ودورة الزمن انتا ما بتقدر تلاحظ كيف هم قاعدين بكبروا ما بتقدر تشوف الشيب اللي قاعد بتزايد في راسه كونك ما بتقدر تعدهن شيبة شيبة ما بتقدر تشوف التجاعيد اللي قاعدة تظهر على وجهه. ولكن في حالة إنو الواحد غاب عن أحد الأشخاص ورجع بعد بعد سنتين ثلاث والتقى فيه بسجن آخر عشان هيك بكون في اهتمام بموضوع

العمر، إنو أنا مبين عليّ إنه أنا عمري كذا أو مش مبين عليّ عمري كذا، فدائما بتلقى الناس بسألوا بعض بالذات بعد ما بغيبوا عن بعض لفترات طويلة الواحد ما بسأل الناس اللي حوليه وقاعد معهم وعايش معهم لأنهم ما بقدروا يجاوبوه بشكل حقيقي. فأحد الأخوة بغيب عنك سنة سنتين ثلاث بنتقل لسجن آخر وبرتجع بتلتقي إنتا وياه في أحد السجون فأول سؤال بسألوه لبعض كيف شايفني... لا والله كبران لأ والله زي ما انت. فهذه قضية فيها اهتمام كبير كون أن دورة الحياة هي أصلاً غير موجودة حتى الوفاة، في ناس كثير انتقلوا الى رحمة الله بس انت ما شفته لما توفى ويمكن انسان مرض في لحظة من اللحظات أطلعته انت حتى... سلمته انت عالباب حتى يشوفوه ويفحصوه ويعالجوه فانت بعدها بلغت إنو توفى هذا الانسان فوفاته يعني ما بعطيك شعور أو انطباع حقيقي بدورة الحياة وكأنه انسان انتقل من سجن لسجن آخر وكأنه كان انسان موجود عندك وانتقل بس هذا هو الشعور." (ف.ج، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى أنه في حالة أسير من قرية في جنين، أنه حتى ارتباط الفصول والمواسم بالإنتاج الزراعي وبعض الفواكه ينقطع عنه الأسير داخل الأسر، وهو ما يزال يحاول تحديده بمعنى أنه انقطاع عن بيئته الطبيعية. وتحديد أخر للانقطاع عن الزمن الاجتماعي داخل الأسر في عدم وجود حالات زواج، وتخرج مدرسي أو جامعي، ووفاة وما شابه تحدد منها وجود فترة زمنية مرت عليك، لأنه في السجن أنت مع أسرى يعيشون حياة داخل الأسر لا توجد فيها متغيرات، وللسخرية المبكية هنا أن حتى الوفاة تمر على الأسرى مثل الانتقال إلى سجن أخر بالنسبة للأسرى، لأن الأسير لا يرى المتوفى أو يشارك في جنازته، وكذلك حتى علامات التقدم بالسن غالباً ما يتم تجاهلها بحكم تذكيرها لواقع قاسي للأسرى، وهي مرور السنوات عليهم داخل الأسر، أو عدم قدرتهم على ملاحظة التفاصيل مثل الشيب وظهور التجاعيد بحكم المعايشة لحظة بلحظة.

المرحلة التاريخية للحركة الوطنية / التفاوت في الشعور بالزمان داخل الأسر:

الأسرى الذين أمضوا فترات طويلة داخل الأسر، وتحديداً تلك التي تتراوح بين خمس سنوات إلى عشرين عاماً، قسموا فترات الأسرى، والشعور بالزمان، حسب إنجازات شخصية حققوها، او حتى مراحل تاريخية مرتبطة بتطور وتراجع الحركة الوطنية والقضية الفلسطينية.

اعتمد هنا سرداً لمقابلة أسير أمضى حوالي ستة عشر عاماً داخل الأسر، وقام بتقسيم فترة أسره إلى مراحل زمنية مختلفة، المرحلة الأولى فترة أسره الأولى وارتباطها مع توقيع اتفاقية أوسلو

"أنا اعتقد ان الامور في نوع من التشعب وتعتمد على أكثر من عامل منها العامل العام الموجود في البلد ومنها العمر الذي يلعب دور كبير في البلد ومنها الشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين عندما يعني تكون مسؤول عن الآخرين ومنها لحظات التقرب والقرب من لحظة الصفر، فإذا قسمت الفترة إلى ٣ فترات، تكون الفترة الأولى بالنسبة إلى تزامنت مع فترة كان فيها مستجدات دراماتيكية وعميقة جداً على المستوى السياسي وعلى المستوى الاجتماعي إحنا كفلسطينيين بحيث بعد ٦ شهور من الاعتقالي حسب اتفاقية أوسلو وبدأ التغير الجذري على مستوى موضوع الانتفاضة والمقاومة والانتقال من مرحلة الحرب والمقاومة والعداء مع "إسرائيل" إلى مرحلة وكأنه في صلح وكأنه في هناك سلام وهذا يستدعي تغيير حاد في المفاهيم وحتى في السلوك. هذا الموضوع خلق جو وترك انطباعاته على المستوى النفسي وأنه إحنا حاليا إنو احنا مفروض أنهينا دورنا وأنهينا رسالتنا ويجب أن نقطف ثمرة الحرية.. والمفروض الحرية يجب أن تكون أولى ثمرات هذا الاتفاق وهذا التغيّر العميق على مستوى الصراع العربي "الاسرائيلي". ولكن كون هاي الحرية لم تأتي ولم تحدث وكانت في هناك وعود واتضح أنها وعود كاذبة وكانت هناك عمليات إفراج ولكن كانت تستثنى قطاع هام من الأسرى خاصة الذين قاموا بعمليات وقاموا بدور من المقاومة استهدف الجندي الاسرائيلي والمستوطن الاسرائيلي وأوقع خسائر بالأعداء في الطرف الاسرائيلي. فهؤلاء تم استثناءهم. فكان هناك شعور بالغبن بالظلم وكان هناك شعور بأن القضية قد تم حلها وأنتهت وانت ليس لك حصة كبيرة من هذه

الكعكة الكبيرة التي توزع على الآخرين، وللأسف الشديد الآخرون الذين لا يستحقون هم الذين حصلوا على النصيب الأكبر من هذه الكعكة. وأنت عملياً كان هناك نوع من الانتظار كان هناك آمال كبيرة أن ممكن يحدث تغيّر. من هذا الجانب كان هناك شعورين متناقضين في هذه اللحظة وفي هذه الفترة الزمنية. أنك كشب صغير في بداية عمرك مش كثير سائل عن موضوع السجن ومش شاعر حالك أنك بمشكلة كبيرة، عدا عن ذلك لم يكن هناك توقع أو قناعة أنك من الممكن سوف تقضي في السجن ١٦ سنة هذه قضية ال ١٦ سنة هي قضية وهم هي قضية حكم محكمي جائر غير قابل للتطبيق وغير قابل للتنفيذ أنا حريتي سأنالها في أقرب فرصة ممكنة وبنفس الوقت عندما حانت لحظة الصفر في موضوع الحرية وجدت نفسك أنك تهمّش وتستثنى من الحرية، فمن هذا الباب أنا اعتقد أنه في الفترة الأولى كان هناك شعور متناقض....." (ف.ج، مقابلة خاصة بالرسالة)

ربط هذا الأسير التفاوت في الشعور بالزمن داخل الأسر ثلاثة عوامل هي:

١. عمر الأسير عند الدخول، سواء كبيراً أو صغيراً.
٢. الظرف العام السائد في فترة زمنية معينة.
٣. المسؤولية عن أفراد آخرين، بمعنى وجود مراتبية معينة تضعك في موقع المسؤولية، وتملي عليك تصرفات محددة.
٤. الاقتراب من لحظة الصفر بمعنى وجود أحساس بقرب الإفراج نتيجة صفقة أو توقيع اتفاقية أو لحظة الإفراج.

نسترجع فكرة الأسير في فترة أوسلو والشعور بأن لحظة الحرية قد اقتربت، وأن التضحيات التي قدمت من أجل القضية الوطنية سوف تأتي ثمارها، وبالتالي الأسير ينتظر هنا الإفراج رغم أنه لم يمضي فترة طويلة بعد في الأسر من فترة حكمه الطويلة، ومن ثم استثناء الأسرى الذين عملوا بشكل كفاحي، ومنح أسرى آخرين الحرية.

يترافق هذا مع شعورين الأول أن الأسير ما زال صغيراً (تسعة عشر عاماً) وبالتالي لا خوف من التقدم بالسن، وأن على قناعة أن لن تقضي فترة الحكم، ثم يجيء الواقع أنك مستثنى من الحرية والإفراج.

هذه فترة أساسية في حياة الحركة الأسيرة خصوصًا أنها انطوت على توقيع اتفاقية أوسلو بما عنيت حينها من تحول أساسي في شكل الصراع مع الاحتلال، وبالتالي توقع كافة الأسرى أنهم سيفرج عنهم، ولكن يتم الإفراج عن أسرى معينين، أما بقية الأسرى أما نتيجة لمقاومتهم الكفاحية ضد الاحتلال و/أو انضمامهم لأحزاب فلسطينية رفضت اتفاقية أوسلو وجدوا أنفسهم خارج إطار الإفراج، وهم بالأساس أسرى محكومتيهم عالية. ونجد هذا الوصف في مجال فلسفة الزمن واضحاً "فمن شأن نكسة جوهرية ان تكسر الوجود. أن تطقع صيرورته المتضافرة كلياً مع الوجود. إذا يجب أن تبقى النكسبة جزئية، سطحية، قابلة للتصويب. ولا يجوز لها أن تحول دون النجاح العميق والمتواصل للوجود" (باشلار، ١٩٩٢: ١٧)، إن هذا الوجود الإنساني يتعاطى مع فكرة وجوده بتحقيق النجاحات اللازمة لذاته، لذلك يجب أن يصوب أهدافه ويتكيف من أجل استمرار وجوده كما في حالة جماعة الأسر.

الفترة الزمنية الثانية نجد أنها انتقلت من ربط الأسير بالوضع العام إلى فهم أكثر ذاتي وتصالحي مع الذات

"القسم الثاني اللي هو الفترة الوسطى وهي الفترة التي تجذر فيها المفهوم على اتجاهين، الاتجاه الأول أنه أن أنا تم استثنائي وانتهى الموضوع عشان هيك أنا لازم أقبل بالأمر الواقع بمعنى أنه فكرة ال١٦ سنة هي فكرة واقعية يعنى صرنا نفكر بأكثر واقعية وإنو أنا راح أمضي ال ١٦ سنة عشان هيك بلش العمل على الاعداد والتهيئة كيف إني بدي أمضي ال ١٦ سنة كيف إني أستفيد من هاي الفترة وكيف إني أعمل على إعداد وتطوير نفسي وأهيئ نفسي للحرية بعد ١٦ سنة يعني انتظار اللحظة إنتهى كون أنه صار في واقعية أكبر في التفكير وففي فهم الواقع، الثانية إنو بدأ التفكير بمشاريع مختلفة وكان من أهم هذه المشاريع مشروع الدراسة في الجامعة كون إنه اعتقدنا أن هاي الفكرة هي التي سوف

توصلني إلى الباسبورت اللي ممكن أدخل فيه عالم الحرية بقوة ودون الشعور بفجوة عميقة بيني وبين سائر المجتمع ودون شعور إنه لا امتلك المؤهل الذي سوف يعطيني القيمة الاجتماعية اللي تنافسني/ تنفذني كون موضوع الأسر له قيمة اجتماعية محترمة وهي قيمة تخف وتتضاءل وتخفت مع الزمن ويبقى موضوع الشهادة والمؤهل الأكاديمي هو الأبرز في الاحتكاك والتعامل مع المجتمع." (ف.ج، مقابلة خاصة بالرسالة).

"الفترة الأخيرة والقسم الثالث من فترة الأسر هو كمان كان له خصوصيته كون إنه تزامن مع اندلاع الانتفاضة الثانية وبهذه اللحظة كان هناك تغيّر جذري بالواقع السياسي، ووفود أعداد ضخمة جداّ من الأسرى إلى السجون طبعاً إحنا في الفترة الوسطى قل عددنا إلى درجة كبيرة جداً حيث إنو تقريباً عدد المعتقلين الفلسطينيين في السجون الاحتلال كان يقارب ٧٠٠– ٧٥٠ موزعة على ٣ مواقع كنا نحتك بشكل دائم مع بعض بسبب التنقلات الدائمة وكنا جميعا نعرف بعض وكنا نعيش كأسرة حتى أن الفوارق السياسية والحزبية والتنظيمية تلاشت إلى حد كبير وكان الهم هم واحد وكان الشعور بالغبن والظلم إنك أنت استثنيت وأنه ما في حدا سائل فيك وحتى أن مش سلطتك وتنظيماتك ما قامت بالواجب تجاهك في إنجاز موضوع حريتك." (ف.ج، مقابلة خاصة بالرسالة)، نجد هنا أن تقبل فكرة الأسر، وامضاء فترة الأسر كاملة أدت لفهم أنه يجب التعامل معها واستثمارها، فكان أن الأسير توجه للجامعة العبرية المفتوحة وأنهى درجة البكالوريوس لأنه شعر أن قيمة الأسر سوف تتناقص قيمتها داخل المجتمع مع مرور الوقت، فكان التعليم هي القيمة الثابتة لفهم الاندماج في المجتمع.

الفترة الثالثة جاءت للأسرى بعد سكون أوسلو، واندلاع الانتفاضة الثانية بما عنى من دخول أعداد كبيرة من الأسرى مرة أخرى، وإعادة الأسرى لدائرة الضوء "هذا الموضوع في الفترة الوسطى أما الفترة ٣ وهي الفترة الأخيرة مع اندلاع الانتفاضة كان هناك شعور آخر مختلف إنه هاي الانتفاضة تجددت مسيرة المقاومة انطلقت وبدأت تواكب من الأسرى بأعداد ضخمة وبالآلاف تعود إلى السجون

وهذا ترتب عليه مسؤولية كبيرة بسبب الأسرى الجدد الذين هم بحاجة ماسة إلى الرعاية بحاجة ماسة إلى الاحتضان وبحاجة ماسة إلى التوعية كانت هناك مشكلة في الأسرى القادمين الجدد إنه كانت ثقافتهم قليلة جداً، كان وعيهم السياسي قليل جداً، كان وعيهم الفكري قليل جداً كانت مفاهيمهم الوطنية فيها تشويه كبير. كنا نشعر أن كثير من الأخوة المعتقلين الجدد مع الرغم إنه جاي على عمليات بطولية كبيرة قد يكون غير فاهم لماذا هو سجن كأنه تعامل مع الانتفاضة كشيء من الاندفاع العاطفي أو كشيء من العمل الموضة أو كشيء من عمل ممكن يعطيه نوع من السلطة نوع من المكانة الاجتماعية بالذات هذه الظاهرة كثر من الأخوة الذين تطاردوا وهم بمستويات أكاديمية منخفضة جدا وكثير منهم أميين أو أنهم فاشلين وغير ناجحين في حياتهم." (ف.ج، مقابلة خاصة بالرسالة)

نجد أن ارتفاع وتيرة النضال الخارجي يعني تصدر قضية الأسرى لتصدر الأولويات، وإعادة الأسرى لدور القيادة سواء داخل السجون أو خارجها، وهذا يعني وجود مسؤولية وطنية تجاه الأسرى الجدد الأقل وعياً وإدراكاً للسجن وتأثيراته.

لحظة الصفر، مع أنها قدمت كأحد العوامل الزمنية المرتبطة بالشعور بالوقت، لا أنها مرحلة بحد ذاتها للأسير في التعامل مع الزمان، وقد تطول أو تقصر قياساً بطول فترة الأسر

"ولكن هناك عامل مهم جدا في هذه الفترة وهو عامل القرب من لحظة الصفر، فكل ما اقترب من لحظة الصفر، كل ما اقترب من لحظة الحرية تمتلكه مشاعر مختلفة ومتداخلة منها الشعور بالفرحة إنه أنا قربت للحرية يعني أنا حاليا بتقدم نحو لحرية، وهذا هو الحلم الأول والاخير لكل انسان فاقد لحريته، بعتبر الانسان مجرد ما حقق هذا الهدف وهذا الحلم الكبير هو عملياً لا يوجد لديه مشاكل مطلقا. السجين يقول أنا أعطني حريتي ولا أريد منك شيئا أنا مستعد أن أعيش على الكفاف مستعد أن آكل الحشيش والتراب مستعد أن أعيش في مغارة مستعد أعيش في أي مكان مستعد أعيش شحاد، كانت تقال أحيانا على سبيل النكتة وأحيانا على سبيل الجد مستعد أروح واعيش عريان أو أروح

واشتغل حراث أو زبال أو غيره، يعني هذا حلم كبير جدا وهو الحلم الأول والأخير لأي انسان فاقد لحرية. كل ما اقتربنا من هذه اللحظة كل ما زاد الشعور بهذا الحلم وبجدية تطبيق أو تحقيق هذا الحلم بحيث أنه يصبح واقع ولكن في نفس الوقت كان في هناك شعور دائم هل أنا هذا الحلم ممكن إنه هناك نوع من الشك هل حقيقة من ناحية عملية هناك اقتراب من الحرية ولكن كان هناك شك هل هذا ممكن فعليا أنه يحدث هذا سؤال كان يراود الانسان في آخر فترته، والقضية الأخرى إنه هؤلاء الناس اللي انا عشت معهم أفضل سنوات عمري أو أطول فترات عمري باعتبار أنا انسجنت وعمري ١٩ سنة إذا بدنا نستثني فترة الطفولة لحد ٥ سنين فأنا بقول إنو الفترة اللي كان فيها وعيي سواء مكتمل أو غير مكتمل لكن آي الحياة فيها بصورة مختلفة يعتني هي الفترة الوحيدة فترة الأسر فهذه الفترة التي عشت فيها هاي الظروف وعشت مع هؤلاء الناس وعشت معهم زهرة شبابي وكل تجربتي معهم وكل ثقافتي معهم وكل خبرتي من خلالهم كيف بدي أتركهم هون وكان هناك شعور آخر وهو شعور الخوف الكبير جدا من المجهول في الحرية بمعنى أنا أريد الحرية هي طموح هي حلم هي أمل ولكن كيف ستكون هذه الحرية، هذا شعور الكبير في هذا المجهول كان هاجس كبير وحقيقة هذا كان شعور صحيح وبلا شك أنها شيء جميل ولا يمكن أن يوصف ولكن ليس بالشيء السهل، يعني معها معاناتها ومعها آلامها." (ف.ج، مقابلة خاصة بالرسالة)

أن الأسير يستعد للخروج، وهو مستعد مقابل نيل حريته أن يعيش أي ظرف قاسي خارج الأسر، يترافق هذا مع وجود شك بتطبيق حلم الحرية، خوفاً من وقوع أمر يعطل الحرية المنشودة بعد طول انتظار.

القضية الأساسية الأخرى هي الشعور بالفقدان، فقدان بيئة وأصدقاء وواقع معين تشكل فيه وعي فرد، كما في حالة هذا الأسير الذي قضى جل حياته كبالغ داخل السجن، مقابل الوضع الخارجي غير المدرك من قبل أسير قضى حوالي نصف عمره في الأسر، وبالتالي هناك أمور لا يعرفها عن الحياة في الخارج، ارتباطاً بالزمن الذي قضاه بالداخل، ولكن هذا

سنتعرض له في قسم خاص بالدارسة.

هناك اختلاف في الإحساس بالزمن والطاقة التي يملكها الأسير لوضعها في العمل داخل الأسر

"يعني أنت في الداخل اكثر صفاء واكثر معرفة ومراقبة لما يجري بينما ماخدته مشاغل الحياة بس في السجن بيكون هذا همك الوحيد وموضوع السياسة الي انت من اجله في السجن. في فرق بين ما انت تفوت اولها وبكل طاقتك وبين ما الزمن والسنين تبدا تاكل بعمرك وجسمك من حياتك اكيد تبدا تاخذ انا لا اتحدث عن الفكر يمكن بالفكر صار عنده فكر اكبر واكتر بس العمر اله دور انت بتصير تتطلع على حالك أنه عم تكبر بالسجن بقدر اقول كمان الي ما تزوجوا وما عنده اسره والي عنده اسره بيصير يفكر فيها والي ما تزوج امتى وكيف وشو هون اكتر على السجينات لانه في عمر محدد بعدين راحت عليها بس ممكن الرجل أي فترة بيطلع حتى لو كان كبير بيكون اسرة وبخلف بينما المناضلات لا وفي كتير منهم وهمة زيهم زي أي حدا تاني عنده حلم انه يكون اسره ولكن انحرم منها ومن حقها كانسانة انه يكون الها رفيق درب وشريك" (ر.ذ، مقابلة خاصة بالرسالة)

حرمان المرأة من اتخاذ شريك لها نتيجة مرور السنوات عليها داخل الأسر، ووجود عمر محدد لدى المجتمع مقبول لارتباط المرأة بالزواج، نجد ان يشكل هاجساً كبيراً للأسيرات بإحساسهن بالزمن، وكذلك التغيرات التي تطرأ على الجسد داخل السجن من أمراض وتعب.

حركة الزمان داخل السجن:

استثمار الوقت داخل السجن أمر يتم التعاطي معه من زاويتين، الأولى فهم الأسير لموضوع الزمان وحكمه، والتعامل معه بما يفيد أو لا، والزاوية الثانية قدرة الحركة الأسيرة على استثمار الوقت لصالح أعضائها، "الزمان يسافر بخطوات متباينة بقدر تباين الأشخاص. وسأخبرك مع من يمشي الزمان رهوا، ومع من يسير الزمان خببا، ومع من يجري الزمان ركضاً، ومع من يقف بلا حراك" (ولسون، ١٩٩٢: ٤١):

"أنا بعد ما تخلصت من أول ٥، ٦ شهور قدرت افهم الزمان بطريقة مكثفة أدركت بعد ما انحكمت ٥ سنين يا اما بقعد ٥ سنين وبطلع ناصح ومش فاهم يا اما بقعد ٥ سنين وما بعمل اشي ما بضل مكاني انا بتراجع، او الخيار التاني اشتغل على حالي وفعلا صار الزمان بكثافته كل شوي يتدرج ويكبر صار ايام كتيرة تيجي علي ما يكفيني اليوم بدي اليوم يكون اطول وهذا شي كاريكاتوري بالسجن، انبسط كتير لما اخذ اجازتي كأنه أنا بالشغل حاولت انه انجز، درست جامعة كاملة اتعلمت لغة عبرية بعدين دخلت الجامعة كتابة مقالات في الجرايد كتبت كتاب، بس هذا الحال ممكن يكون نادر حتى ما انبالغش وبتكون هذه تجربة سعيدة بعدين لأنه في ناس آخرين عايشين معك هون الهم استحقاقات وانت الك استحقاقات منهم فهذه تجربة سعيدة في اللحظة الي كل الي حوليك نفس الاشي.

(و.ح، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى كيفية استثمار هذا الأسير لوقته بقناعة شخصية من خلال تعلم لغة، وإنهاء دراسة البكالوريوس في العلوم السياسية، وكتابة المقالات، بمعنى الاستفادة القصوى من الوقت المتاح، ورغم اعترافه في جزء أخر من الاقتباس أنه هذه حالة سعيدة مقارنة بغيره إلا أنها موجودة، ولكن حتى نفس هذا الأسير مر بفترة زمنية حتى قدر أن يأخذ قراراً كهذا

"أنا حكيت ٦ شهور بشكل اعتباطي بس بقصد انه الست شهور أنا عرفت فيها شو السجن وشو حكمي وفكرت بيني وبين حالي وتأثرت بناس آخرين بعدين شعرت بدوري وأنا شو لازم أسوي فممكن هذه

الفترة الي هي كانت في التحقيق وبعديها في الزنزين واول السجن ممكن تكون ٤ أو ٥ شهور، أنا نفسي مش قادر احدد انا اليوم مش قادر احط الزمان هيك بس هي فترة ما بتتجاوز الـ ٥،٦ شهور عبين ما تأقلمت بالسجن ليش لأنه قبليها كنت بس أضل نايم كنت اطلع اكزدر برا العب رياضة مرات بس احضر تلفزيون فما كان يعني مستثمرتهاش هذه الفترة. (و.ح، مقابلة خاصة بالرسالة)

هذا الوقت للتأقلم والتكيف مع واقع الأسر الجديد، واتخاذ قرار باستغلاله بأقصى صورة ممكنة. الشعور بفترات الأسر قد يختلف عند بداية الفترة أو وسطها أو عند نهايتها، وغالباً ما يرتبط هذا الشعور كذلك بطول مدة الاعتقال والأسر

"هذا يعتمد على عدد سنوات الحكم التي سيقضيها الإنسان داخل السجون، فمن خلال تجربتي كنت أرى أن من يحكم عليه سنوات عالية، يكون الأمر لديهم أسهل ممكن يحكم عليهم مدة قليلة حتى لو كانت شهور، لان من يحكم بالأشهر أو مدة قليلة سوف يعدها بالدقيقة، أما من يحكم حكم عالي و تحديدا من ١٠ سنوات وأكثر، يرى انه لا جدوى من عد الأيام المتبقية، فمن الممكن أن يعد كم مضى عليه في الأسر، وليس كم متبقي من السنوات، أو ينتظر حدوث معجزة، مثل عملية تبادل أو حل سياسي لذوي الأحكام العالية، فكنت أرى ذوي الأحكام البسيطة وخاصة في آخر لياليهم في السجن لا ينامون تلك الليالي منتظرين لحظة الخروج، فكانت الساعة يوما أو لربما أكثر. ولكن أصحاب السنوات الطويلة لا يرون جدوى من عد السنوات المتبقية." (ع.ي، مقابلة خاصة بالرسالة)

الأحكام العالية تتعاطى مع موضوع الزمن بانسيابية أعلى نتيجة طول المدة، وعدم جدوى عد الأيام، بعكس أصحاب الأحكام القليلة نسبياً، والذي يصبح موضوع عد الأيام الشغل الشاغل لهم.

زمن الحرمان العلمي:

لم يكن مخططاً أصلاً ضمن هذه الرسالة تناول هذا الجانب من معالجة موضوع السجن كزمان، ولم يكن وارداً أصلاً تحليل علاقة السجن بالتأثير على مستقبل الأسير بما لا يقبل التصحيح من وجهة نظره مقارنة بزملائه خارج السجن، ونرى رغم أن بعض الأسرى قد أنهوا درجات جامعية داخل السجن، وتعلموا لغات، إلا أن البعض الأخر حرم تماماً مما كان يخطط لمستقبله العلمي والمهني

"انا مثلا الزمان كنت حاب أصير طبيب كزمان وتأثير، لكن أصدقائي الاطباء الي درسوا معي هذيك الفترة أنا مش زيهم أنا وضعي أحسن منهم أنا بقيسه كفترة، انا دخلت الحياة المجتمع المجتمع المدني، المجتمع العام اشتغلت مع المجتمع، بشوف حالي يعني مش بس مكرس شغلي بس مصاري وفلوس، لا انا بشوف اني بفيد المجتمع اكثر من اني أكون طبيب، بجوز أكون طبيب ناجح وبجوز أكون طبيب فاشل وبجوز أكون طبيب زي الدكتور]طبيب معروف[أسوي مؤسسة أو أعمل إشي أو كنت بحب أعمل مع المجتمع او بجوز أكون طبيب عندي مستشفى ومليارديز وعايش حياتي، لكن بقول إنو الواحد مش لازم يوقف عند نقطة محددة انه الحياة انا بعتبرها مراحل، وصلت مرحلة وشفت الطريق سكرت قدامي يعني انا بقلك يعني شفت بعد المحكمة تأثير يعني سلبي جحيم إني أنا الي بقولوا عنه الدكتور الي كل الناس بتقول دكتور إنه بطل بده يصير دكتور خلص راحت واشتغلت في البناء وشعرت بسلبياتها،" (م.ح، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى هنا أن خطه العام ورغبته في كونه طبيباً قد تعطلت تماماً بحكم اعتقاله أولاً ومن ثم منعه من السفر لمدة عشرة سنوات رغم إنهائه سنتين ونصف من دراسة الطب في الخارج، ومن ثم اضطراره لدراسة تخصص أخرى في جامعة فلسطينية، ونرى انه يقارن نفسه مع زملائه حتى لو ظهرت بروح إيجابية لكنها ما تزال تتفاعل معه رغم انقضاء أكثر من ثمانية وعشرين عاماً على انقطاعه عن دراسة الطب.

القدرة على الإنجاز الأكاديمي تتأثر نتيجة الظروف النضالية والاعتقال بما يؤثر على حجم الإنجاز المتوقع من الفرد لنفسه

"نعم تأثرت بالزمن والسجن أنا وحدة زيي كان لازم يكون معها دكتوراة ولا بروفيسورا تصير أنا أخدت البكالوريوس بـ ٢٥ سنة الي تؤخذ احيانا بـ ٣ سنين او ٤ انا اخدتها بـ ٢٥ سنة هذه من التأثيرات الي ممكن انا في فترة كنت ٧ سنين جامعه ولكن وعيش شهادة أنا في مادتين كنت قاطعة شوط تقريبا انتهو وصارت الدنيا استمروا ١٠ سنين عمليا معيش شهادة وانا معي ٧ سنين جامعة فكملتهم والحمد لله مرات بتقول انه الشهادة مش كل شي وفي ناس كتير عم ترجع وعم تكمل ماجستير" (ر.ذ، مقابلة خاصة بالرسالة)

ونرى هنا ان المقارنة واضحة أمام الزملاء والزميلات من هذه الأسيرة في حجم الإنجاز الأكاديمي وتأثير السجن عليه، كزمان ضائع ومعطل ضمن فهم الإنجاز.

زمن الانتظار:

زمن الانتظار هو الزمن الذي يقضيه الأسير بانتظار حدث ما، وهو يختلف عن لحظة الافراج بسبب أنها تقطع زمن السجن المتواصل من خلال حدث معين، وهنا نجد أن زمن الانتظار هو زمن الزيارات العائلية للأسير

"موضوع الانتظار، يعني يوم تكون زيارات منتظمة والزيارات هناك كل أسبوعين، حسب... يعني في زيارات كل شهر حسب السجن في السجن المركزي كل أسبوعين، يعني قد يتكون شعور عند الانسان إنو أنا يومي هو ١٥ يوم مش ٢٤ ساعة، ليش؟ لأن في هناك روتين، خلال ١٥ يوم في روتين دائم ثابت غير متغير. يعني انت بتصحى الساعة الفلانية بتفطر أو بتمارس رياضة بتفطر بتتحمم بتقعد تدرس حسب البرنامج اللي انت حاطه لنفسك، بتنتظم في البرنامج حتى نهاية اليوم.. وبتمارس نفس البرنامج ثاني يوم وثالث يوم ورابع يوم، كإنك انت بتعيش بنفس اليوم ولكن بشكل متكرر. الاشي الوحيد اللي بكسر هذا الروتين هو الزيارة، هو جديد في فاصل بين كل يوم أي كل ١٥

يوم هو الأهل هو زيارة الأهل بتطلع على ناس جديد، بتطلع على الزيارة بتشوف ناس آخرين أشكالهم مختلفة حتى حديثهم مختلف، بتشوف أطفال وهذا وكأنك بتشوف كائن لأول مرة بتشوفه، بتشوف نساء يعني بتشعر حالك انك بتشوف كائن أيضاً لأول مرة بتشوفه بتشعر إنك في الزيارة بحكوك بلغة مختلفة، لما امك تحكيلك حبيبي أو تتعاطف معك أو انها تبكي عليك، وتسألك أسألة المفروض انها بديهيات، بتوكل.... بتتدفى... في هناك انسان مهتم بتفاصيل حياتك مهتم في همومك في آلامك في أحزانك في ايش بنقصك هاي الحالة هي التي تكسر الروتين وتجعل فاصل ما بين اليوم الأول واليوم الثاني اللي هو ١٥ يوم." (ف.ج، مقابلة خاصة بالرسالة)

إذا تعاملنا مع الزمن العادي الروتيني كيوم مكرر كتعبير الأسير المبحوث، فأن وقت الزيارة الذي يفصل بين اليوم الأول المكرر واليوم الثاني المكرر، والفرق هو وجود زيارة الأهل والمشاعر المختلفة التي تنتاب الأسير نتيجة تعامله مع بشر من عالم الخارج، تهتم بمشاعره واحتياجاته التي لا يهتم بها أحد داخل السجن.

فترة الانتظار قد تكون طويلة كما في حالة أسير بقي لمدة ثمانية عشر شهراً بانتظار صدور الحكم

"آه طبعاً، أنا كنت سنة ونص موقوف بدون محاكم، السنة ونص هذول مش بدون محاكم، كانت تتأجل، هذول مجهول فيهن الزمن لأن الزمن تعريفه هو يبتدأ وينتهي في... مكنش هو معروف من وين إبتدأ من تاريخ اعتقالي، بنتهي وين مش معروف لأنه فش حكم منطوق فيه، فبالتالي كان هو أطول ومشوش أكثر. بعد الحكم لأ كان عندك زمن بده ينتهي." (أ.أ، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى هنا أن التشوش في فهم الزمن نتيجة عدم وجود محطات زمنية تفصل في ذهن الأسير المرحلة السابقة من اللاحقة، ووجود مدة انتظار طويلة تحدد لاحقاً المدة النهائية للأسر "أن تناسق زماننا مكون من توافق اختياراتنا، وقائم على النظام الذي يوثق مفضلاتنا" (باشلار،

١٩٩٢: ٣١)، لذا غياب التناسق للزمان، يعني من هذه الزاوية غياب التناسق مع غياب تدقيق الاختيارات بسبب وجود قسرية تملي النظام" اللانظام. وبما يتقاطع مع دور القضاة والمحاكم كجزء من العملية الاستعمارية، بحيث يمثل القانون الطبيعة العنيفة غير المباشرة للاستعمار، وبكون القضاة أنفسهم مستعمرين يمكن أن يشاركوا بشكل مباشر في قمع المجتمع تحت الاحتلال من خلال عملهم كجنود، مع وحدة مصالحهم مع الاستعمار، والمورثات الثقافية والأيديولوجية (سيمار في فرو، ٢٠٠٧: ٢٠٩).

لحظة الحرية:

السعي للحرية هو هدف إنساني، والشعب الفلسطيني جزء من هذا المسعى الإنساني، والأسرى الفلسطينيين يحلمون بلحظة الحرية والتحرر من الأسر والقضبان والجدران، ولكن التقاط هذه اللحظة بين الأسر والحرية يبدو صعباً، زمن الحرية اللاحق وكافة الأحلام تقف متأهبة في تلك اللحظة مقيدة بسوار فترة الأسر

"أنا بدي أحكي بس عن اللحظة الفاصلة بين حالة الأسر وحالة الحرية، هذه لحظة هي مهمة جداً ومعقدة جداً. احنا نتكلم عن انسان يعيش حالة اسر منذ ١٦ عام الحرية عنده هي حلم كبير في لحظة من اللحظات تصبح واقع أمامك، المشكلة وين، المشكلة إنه في يوم من الأيام انت بتكون واقف في المكان اللي راح يطلق سراحك منه، بتكون متشكك هل انا صحيح ممكن ان يتم اطلاق سراحي من هذا الوضع وهذا الظرف إلى الأبد، يعني انا نسيت كيف ممكن أعيش حياتي الطبيعية! انا دورة المجتمع والحياة الطبيعية شيء مش حاضر في حياتي، يعني هي بالنسبة إلي ذكريات تقريبا زي حلم الواحد حلمه أو فلم عاشه، فما في فهم حقيقي إلها أو مشاعر حقيقية تجاهها فوين بتصير قضية، بتصير عندما تلحظ في لحظة من اللحظات إنه هذا الواقع سوف ينتهي ويتحول لواقع آخر، هذا الكلام يتكون مشاعر مختلفة وهي مشاعر حادة جدا في نفس اللحظة فمن الصعب جدا أن تقول أن شعوري كذا، أنت تكون فرح لأبعد حد لأنك انت بدك تنول حريتك وبتكون تشعر إنك حزين لأنك بدك تترك

أصحابك وأخوانك وأصدقاءك وزملاءك إللي أمضيت معهم زهرة شبابك وكل ذكرياتك وكل تجربتك وكمان قيمة الاجتماعية بتتركها." (ف.ج، مقابلة خاصة بالرسالة).

حجم المشاعر الكبيرة التي تحتملها تلك اللحظة المنتظرة "لحظة الحرية"، ترك الماضي الذي أصبح جزءاً كبيراً منك، والبدء في مستقبل مجهول غير معلوم

"انا بذكر انو وقفت البوسطة على كلٍ في اللحظة اللي كنت انا فيها موجود داخل البوسطة ووقفت البوسطة وبدأوا ينادوا على الأسماء للحرية انا بنتظر انهم يندوا على اسم واحد ثاني وأقول أنا هاظ، يعني حسيت اني مش راح أروح زي ما حكيت انا مش راح أروح، لحد ما نادوا اسمي آخر واحد. يوم نزلت حكالي مد ايديك فك الكلابشات من ايدي وفك الكلابشات من اجري، أنا وقفت قال لي هاي أماناتك تفضل أنا وقفت حكالي روح، حكالي اياها بالعبري، "ليخ" يعني إذهب فأنا وقفت محلي وين شو أروح حكالي امشي امشي روح قلتله وين أروح حكالي روح خلص هناك روح هاي اللحظة انو شو روح أنا الي ١٦ سنة عايش في الأسر هسا بتقلي روح خلص يعني خلص أخذت حريتي يعني. في لا منطق في هذه اللحظة يعني انا مش معقول اني أكون عايش في الأسر ١٦ سنة وفي لحظة بتقلي روح. فهاي كانت الصحيح لحظات هي مؤلمة وهي سعيدة وهي محزنة وهي كل المشاعر الموجودة وبشكل حاد جداً إنك أسعد انسان في الدنيا أكثر انسان حزين وأكثر انسان خايف من الدنيا. فهو بقلي روح فمشيت باتجاه الشارع اللي بلف من خلف معبر الظاهرية هو شارع فاضي فش في حدا يعني هيك ضيق مرقت عن أكم واحد أكم شخص واقفين في الشارع فأنا حكيت السلام عليكم مبين عليّ إني أنا أهبل واضح لابس شبشب وترينج وبلوزة نص كم- عشان أنا لما طلعت ما أخذت أغراضي من السجن- ومشيت لحد ما اني قطعت عنهم وقفت، شعرت إني مش قادر أمشي وقفت صرت أطلع حوليي شفت الفضاء الواسع شفت الجبال شفت وديان أنا في هذيك اللحظة ما استطعت اني أستمر فشعرت اني اجري مش قادرات يحملينني فقعدت بنص الطريق وأجشهت بالبكاء فانا لحد ما استطعت اتمالك نفسي وصرت اطلع اذا في حدا شافني ولا فش حدا شافني وبعدين مشيت."

(ف.ج، مقابلة خاصة بالرسالة)

الوصف الدقيق لهذه اللحظة من قبل أسير محرر يعطي معنىً أعمق للأسر عبر فحص وتحليل لحظات الحرية التي يمكن الإمساك بها، هذه اللحظة ما قبل لحظة الحرية، التي قال بها حارس المعتقل أنه يمكن الذهاب بحرية خارج السجن، ووقوف الأسير مذهولاً، تعبير مكثف عن تفاعل الزمن داخل الأسر وتأثيره العميق على الأسير كانسان أولاً.

لحظة انتظار الحرية قد تمتد شهوراً طويلة لبعض الأسرى، بما يغير من نمط حياتهم وبرنامجهم داخل الأسر على اعتبار أن لحظة الحرية قريبة، ويتم وضع مخططات كثيرة لما بعد اللحظة الأولى للحرية

"الزمان هان بجوز إنه مثلاً والله لأ إنتا بتروح، بتكتشف إنه روحت من النقب أو من الخليل، وتعبت وصرت بدك تنام من بعد أول ٢ أو ٣ بيجوا يسلموا عليك، بالرغم إنه كان ممكن انك تنتقل من الفارعة على النقب وتسهر هذيك الليلة للساعة ٤ الصبح، وما يجيك نوم وتكون عارف. بس هو مجرد ما تنتقل إنتا من السجن بتشعر إنه واجباتك ومهماتك مختلفة، والأشياء إللي عليك مختلفة، هلا بكون في عندك تصورات لبرا، عارف شو أفضل إشي إنك لما تروح، يعني أنا واحد من الناس لما بروح شو بكون في مخيلتي؟ أصحى الساعة ٧ الصبح أقعد على البرندة عنا أشرب فنجان قهوة وأنا قاعد برا عالبرندة، هذا أهم حلم بكون أحلم فيه وأنا في السجن، هذا أهم حلم على الإطلاق، هسا بس أروح مباشرة بسوي الموضوع هذا، يعني بس يجي الصبح بشعر إنه علي مهمات، بتروح إنتا وإنتا باني إشي، الناس ما بتروح بدون ما تكّون، يعني حتى لو كان الفرصة اللي أعطوك إياها أو بلغوك إياها بالإفراج يوم واحد، إنتا بتبني برنامج كامل، هذا البرنامج بحكم إنه بكون عندك شغف لإله، مباشرة بشكل آلية عمل لإلك لما تطلع، عشان هيك بقلك لا يمكن إنك تتصور إنك تكون تعد وتكون تمطر ودنيا، لأ بصرش هذا الحديث، لأنك بتبقى مروح وعندك بارز في مخيلتك برنامج كامل بدك تساويه، وهذا البرنامج يعني بتفترض إنه أفضل برنامج على الإطلاق." (م.ع، مقابلة خاصة بالرسالة)

هنا الأسير يضع مخططات لما بعد لحظة الحرية من أجل تجاوز فترة الأسر، والسعي للاندماج ثانيةً في الحياة العادية.

القسم الثالث: الأسيرات والاعتقال:

تجربة الحركة الأسيرة منذ عام ١٩٦٧ كانت بمعظمها متركزة بين الذكور أكثر من الإناث بحكم مشاركة غالبيتهم في الحركة الوطنية، ولكن هذا لم يمنع مشاركة قطاعات واسعة من النساء في الحركة الوطنية، ومع المشاركة الفاعلة بدأت الاعتقالات في صفوف المناضلات، وفتحت سجون وأقسام خاصة بالنساء.

الرسالة في استعراضها للعلاقة بين الأسر والنساء لا تقيم وزناً نظرياً خاصاً لهذ المجال، بل تحاول استكشاف علاقة غيبت ضمن عمومية الحركة الوطنية الفلسطينية إجمالاً، والحركة الأسيرة خاصةً، بحيث تلقي الضوء على علاقة الأسيرات بمكان وزمان السجن، لذا عمدت خلال الدراسة إلى مقابلة عدد من الأسيرات، من مختلف التوجهات السياسية، ومن اللواتي قضين فترات محكومية متفاوتة وصلت إلى أحد عشر عاماً، في فترات زمنية مختلفة، لمحاولة استكشاف علاقة النساء الفلسطينيات بالأسر الاستعماري.

الاستعمار له دور كبير في خلخلة البنى الاجتماعية، حتى تلك التي كانت تعمل لمصلحة المرأة، حيث أن خلق مجتمع اللجوء على سبيل المثال خلخل دور المرأة الاقتصادي في داخل مدن الساحل، وكذلك في الريف. كما أن الاستعمار قلص إمكانية تطور نظام قضائي مجتمعي مما أفضى إلى أضطرار المرأة بالقبول بحكم "مخاتير" سيحكمون غالباً ضدها لمصلحة استمرار العلاقات الاجتماعية السائدة (غوتييه في فرو، ٢٠٠٧).

تقول أسيرة محررة

"هناك تجربة خاصة للأسيرات، أولاً عدد الأسيرات قليل وليس كعدد الأسرى الذكور الذين هم بالآلاف، فنحن تقريبا مائة أسيرة فقط. عدد الأسيرات يبقى محدود وتجربتهم بسيطة في السجن وليست غنيّة. كون

الأسيرات أمهات لهم معاناة مضاعفة، مثل الولادة بالسجن وعيش أبنائهن داخل السجن وحرمانه من أهله في الخارج من أبوه وأخوته، هذه معاناة للأم. وأن الأم لا تستطيع ضم ابنها إلى صدرها من خلال الشبك ولا تستطيع التسليم عليه. أمر آخر، تعامل السجانين مع الأسيرات، يحدث بعض الأحيان تحرش حيث لا تحدث هذه الأمور مع الأسرى الذكور. (س.ر، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى من خلال هذه المقولة أن عدد الأسيرات يبقى قليلاً، وفي أحيان كثيرة لم يتجاوز ٣٥ أسيرة، وتزيد المعاناة مع استفراد السجانين والسجانات بالأسيرات، ومما ذكر موضوع التحرش بهن.

نقاش حالة الأسيرات الأمهات، اللواتي ولدن داخل المعتقل، أو اللواتي أحتضن أبنائهن لمدة سنتين، ومن ثم أجبرن على تركهم، أو اللواتي تركن أطفالهن في الخارج يضيف بعداً إنسانياً عميقاً إلى هذه التجربة، فنرى قدرة السجن على المس بعلاقة الأمومة، وضربها بقوة عبر فصل الأم عن أطفالها بقوة السجن.

المجتمع أيضاً شكل نوعاً من التخويف للنساء المناضلات اللواتي قضين فترة في الأسر، وعند استعراض تجربة أسيرة قضت خمس سنين في الفترة بين ١٩٧٩-١٩٨٤، نرى ذلك جلياً

"أولا نظرة المجتمع للمرأة السجينة، وتفكيرهم الأولي بأنه تم اغتصابها داخل السجن، وهذه النظرة من الممكن أن تقتل معنويات الأسيرة بعد خروجها من السجن، فمن الممكن أن تؤدي إلى عدم زواجها، أو تكون غير مقبولة في البيئة التي تعيش فيها، أو من الممكن أنها تنعزل اجتماعياً، أو لا تجد وظيفة لاحقا. وممكن أن يكون العكس عند الفئات المتنورة قليلا. فمثلاً جاء أحدهم يطلب الزواج مني ويبلغ من العمر ٦٥ عاماً وأنا ابنة ٢٧ عاماً، فسألته: لماذا تريد الزواج مني؟ هل أستطيع أن أفهم؟ فأجاب: أنا أريد أن أستر عليكَ، فرددت عليه بأنني لم أفضح لتستر عليّ، فهذه النظرة موجودة. (ع.ي، مقابلة خاصة بالرسالة).

تعبر أسيرة بشكل واضح عن العلاقة بين الأسر والأسيرة في فترات النضال الأولى في نهايات السبعينيات وبداية الثمانينيات، وذلك ان الأسيرة في أول زيارة لأهلها لها بعد اعتقالها تكون خائفة منهم أكثر من خوفها من المحقق في جولات التحقيق

"لا حتى وقتنا كانت اول زيارة الوحدة تكون خايفة من أهلها اكتر من المحقق، كانت تبذل جهد غير عادي باول زيارة لانه ازا مرت على خير بتمشي الأمور، احنا مجتمع شرقي كتير من الاخوات بس طلعوا زوجوهم وخلص. على وقتنا كان عدد قليل من الفتيات" (ر.ذ، مقابلة خاصة بالرسالة)

حتى أن التخلص من "مشكلة" الأسيرة بتزويجها بعد خروجها من الأسر، لأنه اعتبر في وقت ما ان الأسر للفتاة يشكل "عيباً" للأسرة.

التحول الذي طرأ على المجتمع وفهمه لدور المرأة النضالي، واستيعاب فكرة أنها أسيرة أخذ منحاً إيجابياً مع تقدم الزمن

"مهما كان الأهل، برأي، عندما يعرفوا ابنتهم أسيرة، ضربت مولوتوف، ضربت حجر، طعنت جندي، هذا العمل مفخرة للأهل، فلا يعاقبوها اجتماعياً، الناس تخاف من سجن البنت ولكن الآن هناك فخر واعتزاز من قبل المجتمع بالأسيرات." (س.ر، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى أن هناك غياباً لعقاب الأهل والمجتمع للفتاة لأنها أسرت، نتيجة القيمة الوطنية للسجن، في تحول اجتماعي عن السابق، ورفض للنظرة الاستعمارية التي تحصر دور المرأة في المقاومة كمستغلة من قبل المجتمع لا كفاعلة "يستمر التأكيد على الصورة التي تم رسمها لمشاركة النساء الفلسطينيات في المقاومة بالتركيز على أدوراهن الإنجابية وأجسادهن كأسلحة للمقاومة مع التأكيد على أنهن في هذه الأدوار يكن مقموعات مستغلات في تربية الأطفال وفي مشاركتهن في المعارك" (سلمي، ٢٠٠٧: ١٢١).

ولكن تبقى حالات كثيرة حررت من أسر الاحتلال لتدخل إلى أسر العائلة

"بس بضل النظر تجاه المرأة، يعني في بنات عانو كثير بعد ما طلعوا، إنتا معني كمان بعد ما طلعوا، كمان على صعيد الأهل يعني ما كانوا يستوعبوا إنه إلهم بنت أسيرة، إلا إللي عندهم شوية وعي وعارفين أبناءهم، بس كثير من البنات، يعني أنا بعرف كثير من البنات اللي بعد ما طلعوا عملولهم حظر تجول، ممنوع تحكي مع حد وممنوع تروح وممنوع وممنوع، عامليلهم مراقب طلعوا من السجن لسجن عائلي. الأسير او الشباب ما بحكوا على هاي النقطة،" (ع.ع، مقابلة خاصة بالرسالة).

علاقة المرأة الأسيرة بالزواج والمجتمع ملتبسة ضمن نظرة تقليدية ذكورية في بعض الأحيان للمرأة، ونراها في تجربة هذه الأسيرة من خلال عرض الزواج وكأن الأسر ينتقص منها كامرأة، وبالتالي عدم توفير دعم مجتمعي للمرأة خلال تلك الحقبة التي شهدت أول حالات الأسر للنساء.

الاحتلال من جانبه يستغل نظرة المجتمع في محاولة للضغط على المرأة الأسيرة، والنيل من عزيمتها وقدرتها على الصمود ضمن بيئة السجن

"ولكن فترة السجن يوجد متطلبات جسدية للمرأة، التي لا يمر بها الرجال، فممكن أن تستغل ضد المرأة، ولأكون صريحة، مثلا تحتاج المرأة إلى الفوط أثناء الدورة الشهرية وهي في التحقيق، فكانوا أحيانا يستغلون ويبتزون الأسيرة في هذه اللحظة، أي إحضار الفوط مقابل عمل شيء معين، و لكن انأ شخصيا كنت أقول لهم "خلي الكرسي تبعك يتوسّخ"، لا أريد شيء، لا أريدك أن تدخل لي الملابس، حيث أن أهلي كانوا قد أحضروا لي بعض الملابس وهي موجودة بالخارج، وأراد أن يبتزني "أدخل لك الملابس إذا قلتي كذا"، و لكني رفضت ذلك، وقلت له أن يشتم الرائحة مثل ما يريد. وبعدها سمحوا لي بالاستحمام بعد ١٨ يوم، لان الشرطيات اضربوا عن دخول غرفتي بسبب الرائحة الكريهة،

فطلبوا من ضابط التحقيق السماح لي بالحمام، بسبب الدورة الشهرية، وعدم توفر الماء الكافي، وعدم وجود الأوعية اللازمة للاغتسال، وعدم وجود الملابس الكافية. فهذه المتطلبات الجسدية التي يمكن استغلال المرأة من خلالها تعاني منها الأسيرة بشكل كبير، وفي مجتمعنا يتزوج الرجل وهو كبير في السن بعكس المرأة، لأن فترة المرأة للزواج محدودة. وهذه واحدة مما تعاني منه الأسيرة المحررة."

(ع.ي، مقابلة خاصة بالرسالة).

هذه النظرة الاحتلالية للأدوار التقليدية للمرأة الفلسطينية التي تأتي من سياقات أوسع استعمارية "الهوس الاستعماري بأدوار النساء الفلسطينيات المستعمَرات في المقاومة يقوم على الخطر الذي يراه الاستعمار متمثلاً في النساء الفلسطينيات، الصورة التي يتم رسمها وإسقاطها على مشاركة النساء الفلسطينيات في المقاومة، نابعة من التهديد الذي يراه الغرب الاستعماري في النساء المستعمَرات" (سلمي، ٢٠٠٧: ١٢٤-١٢٥).

العطف على قدرة المرأة الفلسطينية على الصمود ضمن تجربة السجن أثبتت إمكانية عملها في أي مكان نضالي، حتى لو كانت بيئة قاسية مثل السجن، وخلال فترتها الأقسى وهي التحقيق، وتعود المبحوثة لذكر موضوع الزواج وعلاقته بعمر المرأة في فترة معينة، حيث أن قضاءها فترة الأسر لا يعني وجود نظرة نمطية لها، بل يعني أيضاً كذلك تجاوزها "عمر" الزواج، وهو ما يؤدي إلى إضافة عقاب إضافي لها على مشاركتها في النضال.

مكان الأسيرات:

مكان الاعتقال للأسيرات مختلف عن الأسرى، بحكم عدم تعدد السجون، وعدد الأسيرات محدود، ونرى كذلك تأثيرات العلاقات الاجتماعية بين النساء الأسيرات

"بالنسبة للأسيرات هو كان سجن واحد ممكن اليوم في قسم بتلموند للاخوات بس هو كان سجن

واحد كل كذا شهر بجوز بالصيف كانوا يجوا أكثر سجينات هو سجن منعزل فش تواصل مع العالم ولا زيارة وعند أي فرصة بلغوا الزيارة أو بمنعوها وبالتالي محصور ومحدود بينما بالنسبة للأخوة المعتقلين باستمرار في تنقل من سجن لسجن وبالتالي في حيوية في حركة في معلومات جديدة وتواصل جديد مش زي ما يضل نفسه على مدار سنوات طويلة بيجيك حدا جديد بيصير في علاقة اجتماعية جديدة تنظيمية جديدة علاقة بالوعي ممكن هذا الشاب لسه صغير بعطيك حيوية اكتر بدك تعلمه توعيه. بالنسبة للمناضلات هو محدود والعدد محدود وفش تواصل يا أما مع المحامي او الأهل بس ما بتقدر تحكي كل الي بدك اياه ولا بتقدر اصلا بالتالي حتى السجون بتواصلوا بالرسائل كمان عنا ما كان في" (ر.ذ، مقابلة خاصة بالرسالة)

نجد أن الحراك والتنقل في السجون، وعدد الأسرى يؤثر إيجاباً على موضوع الوعي، والعلاقات الاجتماعية للأسرى بعكس الأسيرات التي تبقى علاقاتهن محصورة بعدد معين.

نجد أن بسبب وجود قسم واحد بداخل سجن واحد فقط للنساء في فترة معينة، وجود اختلاط في المكان بين الأسيرات الفلسطينيات والسجينات المدنيات، بمعنى وجود أقسام متقابلة للسجينات المدنيات والأسيرات الفلسطينيات

"لأ يعني احنا محل ما كنت سجن الرملة للنساء بتفوت من الشارع الخارجي على مبنى الإدارة ومنه بتفوت من باب بعد الإجراءات بتخرج من باب على ساحة هون كانت تتم الزيارات بتوصلك على شارع بعدين على قسم بالأول قسم السجينات اليهوديات على قتل وحشيش على مخدرات كافة القضايا الأخلاقية طبعا كله طرق وشبك ومفاتيح منه بعد ما تنهي الشارع بتنتقل على قسم العربيات الي بينا وبينهم في شبك وبعدين قسم الفلسطينيات الفدائيات وبرضه في قسم العربيات بضلوا حاطين بعض اليهوديات لأنه بدهم عين تضل علينا ممكن أي زائر من الخارج بتطلع على السجن بقولك شو هالمنتزة الي همه فيه طبعا عاملين حدائق وورد وكذا ولكن ليس هذا هو المهم بقدر قضية التعامل في

طبعا اماكن للشغل في مخيطة في كذا ممكن يطلعوا الناس عليه" (ر.ذ، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى أن فترة الثمانينات بسبب وجود عدد قليل من الأسيرات كن يضعن مع السجينات المدنيات، ومع ما يعانيه هذا في تغيرات في شكل المكان من زراعة وورد ووجود ساحات كبيرة، طبعاً بسبب وجود حقوق معينة للسجينات المدنيات.

قسم الأسيرات الفلسطينيات مختلف عن اقسام السجون للأسرى من حيث ترتيبه المكاني تبعاً لوجود كما ذكرنا السجينات المدنيات

"لأ مفتوح كرادور فيه غرف مفتوح على بعض، كانوا يطلعوا المناضلات على الشغل اشي على المطبخ اشي على المخيطة الساعة ٢ ٢:٣٠ برجعوا وبتغدوا وبعدها بضل مفتوح إلا إذا صار في مشكلة أو احتكاك وقت حرب لبنان واجتياح لبنان صار وقتها احتكاك وضرب وأي عملية بالخارج بخافوا كمان يصير احتكاكات ولا لما حدا يطالب باطلاق سراح السجينات بصير وقتها علينا ضغط اكتر ومحاولة انه نضل بالغرف وبسكروا علينا" (ر.ذ، مقابلة خاصة بالرسالة)

نجد أن القسم بداخله ممر طويل والغرف داخل القسم مفتوح على بعضها، طبعاً هذا في فترة الثمانينات، وبالتالي التقسيم الهندسي له مختلف عن السجون الأخرى للأسرى، بحكم وجود اختلاط.

تقارب الوعي بين الأسيرات نتيجة قلة الخبرة والسن، تساهم في عدم سيطرة الأسيرات، رغم أن هذا اختلف خلال الأعوام القليلة الماضية نتيجة وجود أسيرات قضين فترات طويلة نسبياً مما ساهم في تعزيز سيطرتهن على الأسيرات الأخريات

"يجب أن تأخذ بعين الاعتبار أن تجربة الأسيرات نتيجة لقلة العدد، تختلف عن تجربة الأسرى،

فدرجة الوعي لدى الأسيرات متقاربة، ولا يوجد فرق في الوعي، ولا بالعمر، حتى يسيطر احدهم على الآخر، فكان تأتي الأسيرات وهن صغار، وتخرج من السجن أقوى من قبل، وتكون من أفضل الكوادر التنظيمية لاحقا." (ع،ي، مقابلة خاصة بالرسالة).

وفرت للحركة الأسيرة بعض الامتيازات، وجاء جزء منها نتيجة نضال طويل للحركة الأسيرة، وجزء منها تسهيلات من إدارة السجون الاحتلالية لخدمة أجندتها، ومنها توفير أجهزة الهاتف المحمول

"لا، الأسيرات لم يكن لديهم بلفونات، حيث بالنسبة للأسيرات لا يوجد مجال للتهريب، حتى الأسرى يمكنهم تهريب البلفونات فقط في السجون التي فيها خيم، أما الغرف فلا يمكنهم تهريبها بحسب ما أعرف." (س.ر، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى أن هذه الامتيازات لم تمس الأسيرات، وبالتالي هامش التواصل مع العائلة والأصدقاء بقي محدوداً بالزيارات (إن سمح بذلك) عكس الأسرى الذكور الذين استطاعوا لفترات طويلة التواصل اليومي مع أسرهم عبر الهاتف المحمول.

زمان الأسيرات:

تفاعل زمن الأسر مع الاسيرات له ظروفه الخاصة حتى عندما تتكرر تجربة الاعتقال للأسيرة نفسها

"أنا في سجنتي الأولى قضيت ٤ سنوات في العزل، لحالي، بس صدقا لأنو كان في هدف لتنمية شخصيتي كان في تركيبة برنامج تطويري مكنتش حاسة بالوقت، كنت أحس إنو بدي زمن كنت أحسن إنه مفش وقت كنت أقرأ يعني كنت باليوم أخلص كتابين، فهذا محسسنيش بعبء العامل الزمني. في السجن الأخيرة بالذات وهاي كمان كان مفهومي، في السجنة الأولى كنت صبية يعني ٢٤-٢٥ سنة ولسا الواحد ....في السجنة الأخير كان في تأثير كثير صعب عليّ أنا أم كنت تاركة

بنتي سنة وشهرين، فكانت هاي عوامل الأمومة، فلما دخلت بنتي عالروضة لما أضربت ودخلت بنتي عالروضة حسيت الوقت عم بزيد أكثر." (ع.ع، مقابلة خاصة بالرسالة)

ارتباط الأسر بأمومة طفلة صغيرة أدى إلى الشعور أن وطأة الزمن والأسر تزداد على الأسيرة لأن الأسيرة ترى الزمن من خلال أولادها في فترة السجن هذه، مقارنة بنفس تجربة الأسيرة في الأسر والعزل في مرات أسبق للاعتقال.

التمثيل الاعتقالي للأسيرات:

تجربة الأسيرات مختلفة في عدة نواحي عن تجربة الأسرى، من حيث قلة العدد، وعدم وجود أسيرات في فترات معينة مثل عام ١٩٩٧ حينما أفرج عن كافة الأسيرات، وهذا ما جعل هناك انقطاع في التجربة، وأحد الجوانب المختلفة هو "التمثيل الاعتقالي" وهو وجود أسير/ة ممثل للسجن أمام إدارة السجن لإيصال وتحقيق مطالب الأسرى، ويتم اختياره من قبل الأسرى بالتعيين أو الانتخاب، وغالباً ما يكون تعيينه بيد التنظيم الأكثر عدداً داخل السجن

"الشيء الجميل إنه الواحد أنا بعتبره شخصيا إنجاز قصة وجود ممثل المعتقل، ممثل المعتقل بعطي فرصة أقل للاحتكاك مع الإدارة، ما قبل ذلك لما كانوا رافضين يكون في ممثل، كان في اصطدام دائم مع السجينة والسجّان لأنه كان عندهم حالة استبداد دائمة لقضية إنهم يتخلقوا للأخوات، كان في حالة عصبية دائمة، مرات الواحد كان عنده تفكير إني بدي أقتل بدي أعمل، يعني أنا مثلاً إحدى القضايا في السجنة الأولى صارت معي ومع إحدى الأخوات إنه اتهمنا بمحاول خنق سجانة، هذه السجانة مثلا سبت وغلطت لما ينطلب منها إشي، يعني إحنا بزنازين، كان في حينها بالرملة جنائيات يهوديات وعربيات، ترد عليهم بسرعة، إحنا لأ عملية استبداد دائم. فبهذه المرحلة إنت بتنتظم حتى جسدياً. بعد ما صار في التمثيل، صار أقل احتكاك وكأنه صار اتفاقية غير مكتوبة فأنتو بدكم إيانا نكون هادبين فإنتو كمان ما تتدخلوا، فصار كل الطلبات بتكون عبر الممثلة. هاي سهلت علينا خروجنا، يعني صار

الواحد ميشعرش إنه بحالة توتر لما يطلع برا." (ع.ع، مقابلة خاصة بالرسالة)

الاحتكاك المباشر مع السجانات دون وجود ممثلة للأسيرات ساهم في زيادة حجم العقاب المفروض عليهن بزيادة الاحتكاك الفردي بين الأسيرات والسجانات، ولكن وصول الحركة الأسيرة للأسيرات إلى مرحلة فرض وجود ممثلة اعتقالية لهن ساهم في تحقيق مطالبهن والتخفيف من الاحتكاك، وخصوصاً عند الخروج "للفورة".

تضامن الاسيرات:

تتضامن الاسيرات بحكم وجود التفاعل المباشر واليومي بين كل الأسيرات، حكماً لوجودهن في مكان واحد، ويتمثل هذا في قضية الإفراج عنهن

"من ال ٩٣ للـ ٩٧ كان المفروض يطلعوا بس مش كلهم طلعوا. إحنا مثلاً كأسيرات طلعنا، تقريباً ٣٠ أخت، طلعنا بس كيف طلعنا يعني؟ كانوا بدهم يطلعوا كل الأخوات ما عدا ٥، ٣ من فتح ١ من الشعبية وأنا من الجهاد، خمسة ما بدهم يطلعوهم كثار، جميع الأسيرات رفضوا إلا نطلع جميعا وقعدوا على أحكامهم سنة ونص لغاية ما طلعنا كلنا، فكمان هاي أنا بعتبر الأسيرات في هاي الفترة قررت (ع.ع، مقابلة خاصة بالرسالة).

القسم الرابع: تأثيرات السجن:

سرى اعتقاد شائع لدى المجتمع الفلسطيني بأن السجن "مدرسة للرجال"، بمعنى أنها تخرج أشخاصاً أقوياء معافين ومناضلين، ومع استمرار الأسر، ثبت خطأً هذه المقولة من ناحيتين، الأولى تبين مساهمة النساء في الحركة الأسيرة مثلما ساهمن في الحركة الوطنية، والثانية أن للسجن تأثيرات مختلفة إيجابية وسلبية، جزء منها يبقى داخل السجن، وجزء أخر يبقى مع الأسير لفترة طويلة، أن لم يبقى طوال حياته.

البحث في هذه التأثيرات ليس تحليلاً نفسياً لقدرة الأفراد على احتمال مكان مصمم فقط لتدميرهم، بل يأتي:

أولاً لبيان هذه الآثار المختلفة للتعامل معها مجتمعياً، وتحديداً من قبل المؤسسات التي تعني بالأسرى، ومن قبل الأسرى أنفسهم وأسرهم.

ثانياً لتوضيح قدرة السجن على التأثير، سواء وعي الأسير لذلك أم لا، بما معناه أن هناك قضايا يجب أن تعالج علمياً ومجتمعياً.

ثالثاً للإضاءة على بعض الجوانب الإنسانية في حياة الأسرى، وكيفية معايشتهم للواقع "الطبيعي" بعد خروجهم من السجن.

وإن كان الدخول في هذا الجانب من الدراسة له مخاطره، بحكم إمكانية ووجود سوء تفسير لبعض القضايا، إلا أن اهتمامي العلمي، والوطني هو ما دفعني للبحث أكثر في هذا الجانب بما يعكس –وبعبارات الأسرى أنفسهم- جملة من القضايا المسكوت عنها في فضاء البحث المختص بقضايانا الوطنية بشكل عام، والبحث المتعلق بالأسرى بشكل خاص – رغم محدوديته-، وازددت إصراراً مع الرغبة الصادقة للأسرى للإضاءة على جوانب مسكوت عنها في تجربتهم.

الوعي المسجون:

كتب كثيراً عن السجن "كجامعة للمناضلين، ومدرسة ثورية"، وتبقى هذه المقولات راسخة في التراث الوطني، وفي مقولات الحركة الأسيرة حتى لو انحصرت الحركة الوطنية، وتنعكس هذه المقولات في دور السجن في رفد الحركة الوطنية بكوادر وطنية مناضلة تتمتع بالوعي

"تأثير جذري وامتد معاي بعد السجن وصقل شخصية صعب كتير انها تتغير حتى لو انحبست كمان مرة، الشخصيه هذه بجوز تتعزز مش تتغير، انتقلت من حياة لحياة اخرى من وعي لوعي آخر من مفهومي للسياسة والفرد والناس والدين وكل هذه الأشياء، واشي صرت مقتنع فيها اشياء كنت اعملها قبل السجن ما كنت أفهم ليش بسويها هي جزء من الاشي الي حولي بعد السجن قدرت احلل وصقلت اشي كبير في شخصيتي وفهمتني ليش الي دور وفي بيتي والحارة والبلد كلها والفصيل الي انا في واعرفت فعلا شو دوري وبجوز لو ما انحبست أنا عمري ما امتلكته هذا الاشي، كتير مبسوط من الاشي الي صار عندي." (و.ح، مقابلة خاصة بالرسالة)

التحول في وعي الأسير إلى أكثر تنظيماً واقتناعاً بالعمل الوطني، له علاقة بالجهد الذي يبذل بشكل فردي وجماعي على كل أسير، والمساحة الثقافية والفكرية التي تعطى.

عمل السجن كمصفاة للأشخاص والسلوكيات من قبل الأسرى هو أيضاً جزء من تأثيرات السجن

"السجن هو مجتمع مصغر وفي كمان الطبيعة الي بتحمي الفكر، وبالتالي نعم تؤثر في السجن بتصقل شخصيتك اكتر بتبين ازا في خلل بشخصيتك وين في عاداتك في تقاليدك في بعض الأمور الي انت بتتصرفها بالسجن بظهر مين هو الأناني مين الي بحب حاله، الذات بتظهر هون في مجهر فش اشي يغطيني مثلا حبة تفاح وصلت بتكنش موجودة ببين كيف انت بتتعامل معها كيف ممكن تشاركها مع كل الموجودين وكيف ممكن تاكلها لحالك هذا بوضح بشكل جلي وبظهر انه حدا اشتغل شي بالصدفة

وهو مش متوقع هذا الشي نعم هو يصقل شخصيتك يوضح وين الثغرات الموجودة والي عنده مبدأ شخصيته بضل نفسها ما بجروش التيار" (ر.ذ، مقابلة خاصة بالرسالة)

التفاصيل الصغيرة المذكورة مثل مشاركة حبة تفاح تظهر انكشاف العلاقة داخل السجن من حيث وجود للجماعة بشكل قوي ومؤثر، بحيث يحدد موقع الفرد دوره وعلاقته مع الجماعة، وتصرفاته تجاه هذه الجماعة، لذا نرى أسرى بعد تجربتهم توثقت علاقتهم مع الآخرين أو قلت، كما تتظمهر قدرة الأفراد على التعامل مع التجربة انطلاقاً من أنها واعية أم مصادفة، ومن هنا القول بصقل التجربة والوعي خلال فترة الاعتقال.

يتعلق جزء من الأثر بمدة الفترة الزمنية التي قضاها الأسير/ة في الأسر، وكذلك المرحلة التاريخية للأسر، بحكم وجود تحولات داخل بنية الحركة الأسيرة، وظروف الاعتقال، وحجم المعتقلين. هناك تأثيرات سلوكية ولغوية تأتي نتيجة معايشة جماعة لفترة طويلة، بحيث تنشأ نوعاً من العادات غير الواعية، وهذا ما نلحظه في تجربة أسيرة محررة

"أنا قياسا بغيري، فالفترة التي قضيتها وهي أقل من ٥ سنوات بقليل ولم تترك ذاك الأثر الكبير. أي مكان مغلق يقتصر على جنس واحد من البشر يخلق نوع من السلوك التابع لذلك الجنس، سواء كانوا رجالاً أم نساءً، بحيث انه من الممكن أن يحدث مشاكل لاحقا عندما يخرج الأسير، لأنه تعود أن يتعامل مع جنس محدد، فمن الممكن أن تقوم المرأة المحررة بمخاطبة المذكر على انه مؤنث، وكذلك الرجال، فكنت انأ شخصيا بعد خروجي من السجن افعل حركات لا تليق أمام الرجال لأني تعودت عليها داخل السجن، أو أن أتلفظ ببعض الكلمات التي تكون فقط بين النساء،" (ع.ي، مقابلة خاصة بالرسالة)

نلاحظ هنا حتى أن التأثيرات المختلفة طالت طبيعة الحركة والإشارات الجسدية المختلفة بحكم وجود هذه الأسيرة في مجتمع مغلق للنساء لمدة خمس سنين، وطالت من جملة تأثيراتها لغة الخطاب.

تأثير السجن كمكان هو من الأسئلة المراد الإجابة عليها من خلال هذه الرسالة، فنراه في هذا الجزء من مقابلة الأسيرة

"ومن العادات التي بقيت معي حتى الآن التدخين، وكذلك الميل إلى العزلة، يمكن للسجين أيضا بعد خروجه من السجن أن لا يحب الجلوس لوحده، ولكن أنا بالعكس كنت أحب الجلوس لوحدي، ومن المشاكل التي أواجهها الآن وجود الأطفال والضجة، ولا استطيع تحمل الأصوات العالية، لأننا تعودنا داخل السجن على وجود جلسات تنظيمية أو جلسات تثقيفية والقراءة وغيرها التي تحتاج إلى الهدوء، والآن وبعد مرور ما يزيد على ٢٥ سنة عند تجمع العائلة وأطفالهم اشعر بصداع في الرأس، واكره الذهاب إلى الأعراس، والمهرجانات، بسبب الأصوات العالية واستخدام مكبرات الصوت التي تصدر هذه الأصوات،" (ع.ي، مقابلة خاصة بالرسالة)

يمكن تحديد حجم التأثيرات من خلال ممارسة التدخين، ويمكن أن تنشأ هذه العادة كعادة اجتماعية وللتكيف مع الأقران إذا كانوا مدخنين، أو للتنفيس عن مشاعر معينة بحكم الأسر، وقد بقيت هذه الأسيرة تدخن حتى تاريخ إجراء هذه المقابلة.

الأسر والاعتقال يهدف كما تم نقاشه في أكثر من مكان إلى إشعار الأسير أنه لوحده أمام جبروت الاحتلال، لذا يتم الميل للعزل خلال التحقيق، وفي فترات أخرى، بمعنى العزل المكاني والاجتماعي عن بيئة الأسرى، وفي هذه الحالة الميل للعزلة والجلوس بوحدة يأتي ضمن هذا السياق، فيتكيف الأسير بسرعة مع واقع العزلة، غير أنه ما يلبث أن يصبح جزءاً من شخصيته وتكوينه النفسي والاجتماعي بعد تحرره. وتأتي بالعادة مع العزلة السكون، أو العزل الخارجي عن المحيط وعزل الأصوات، بحيث لا يتواصل الأسير من خلال الأصوات مع ما يدور حوله، ويبقى وحيداً يفكر في ما سيحل به، لذا نجد الميل للهدوء وعدم القدرة على تحمل الضجيج والأصوات العالية جزءاً من تأثيرات السجن بمفهوميه الزمان والمكان، رغم

أن التأثير أصبح مستداماً الآن.

لكن ليس معظم التأثيرات على الأسرى بمختلف أشكالها وأنواعها وقوة درجاتها تأتي من مخطط الاحتلال داخل السجن، فمنها من يأتي من خلال بنية الحركة الأسيرة، والتي في فترة تاريخية كانت الجلسات التنظيمية وجلسات القراءة جزءاً أساسياً من أدوات عملها، فعلمت الأسرى الصمت والهدوء، في معنى مقارب للعزل، ولكنه عزل وظيفي بمعنى أداء المهمة المطلوبة بشكل هادئ، وهو ما أدى إلى نفس اتجاه تأثيرات العزل من قبل إدارة السجن، وأن كان ليس بنفس الهدف.

العزل الاجتماعي عن المحيط السابق من أفراد العائلة والأصدقاء والأقارب والزملاء، وأعضاء التنظيم، جزء من عقاب السجن، بحيث يلجأ الأسير أو الأسيرة إلى تكوين علاقات اجتماعية بديلة مع محيطه المباشر – في هذه الحالة الأسيرات- وبالتالي يتفاعل معهم في شتى الجوانب

"ويبقى عند الأسير المحرر نوع من الألم، فلا يستطيع الأسير تكوين الذكريات مع الأقرباء كونه موجود داخل السجن، لذلك فلن يستطيع الانسجام معهم بعد خروجه من السجن، ويبقى إحساس الغربة بينه وبين أقاربه، وأصبح من عاش معي داخل السجن اقرب حتى من إخوتي، واستطيع التفاهم معهم أكثر من الأهل، فمثلاً بعض من أخواتي قد تزوجن ولم أذهب لأعراسهن، فلذلك يجبر السجين على بيئة معينة لا يختارها بنفسه، فانا أجبرت الذهاب للأردن لفترة ١١ سنة، حيث قلت وشبهتها لبعض أفراد المخابرات الأردنية بمن يتزوج امرأة ليست بسيئة ولكنه يحب امرأة أخرى فلا يستطيع أن يحبها، أي أن الأردن وشعبها ليسا بسيئين، ولكنك مجبر أن تعيش فيها. وأنه في بعض الأحيان عندما كنا نذهب إلى البحر الميت وبضع كيلومترات تفصلك عن بلدك الأم وموطنك وفي نفس الوقت لا تستطيع الوصول إليها وليس الأمر باختيارك، فمن يسافر باختياره يمكنه الرجوع في أي لحظة، أما من يجبر على العيش في بلد معين، وستمر عليك لحظات سيئة لأنك لا تستطيع الرجوع إلى

بلدك. وكانت أيضا تمر علينا داخل السجن لحظات قاسية جدا وخاصة عند وفاة احد أقرباء إحدى الأسيرات لأننا بعيدين عن الحدث وعن المكان الذي يجب التواجد فيه ومواساة الأقارب، فكنا نحن نقوم بمواساتها." (ع.ي، مقابلة خاصة بالرسالة).

الفجة بين الأهل والأسيرة تزداد، فهم يريدون (بعضهم) رجوعها إلى الامتثال، وهي وقد أزدادت تجربة تريد أن تأخذ استقلالية معينة، بما يعنى وجود صراع اجتماعي بين الأهل والأسيرة.

التأثير يمتد ليشمل بعض القضايا النفسية والتي هي ليست مدار الدراسة، ولكني أقدمها رغم ذلك لأهمية الموضوع

"التأثيرات السلبية من السجن، تغيرت عندما خرجت.. كان أسبابها التعب النفسي وعدم القدرة على العمل... داخل السجن كان عندي مشاكل كثيرة، أريد العمل ولكن لا أستطيع، أريد الاستفادة من برنامج على التلفاز لا أستطيع ولكن عندما خرجت تغيرت جميع الأمور، ارتحت نفسياً، رأيت نفسي بين أهلي حيث أن فترة السجن تركتني بعيدة عن أهلي، ولكن عندما خرجت عدت للعيش معهم. شفت المناضلين الحقيقيين داخل السجن، هذا لا يعني أن من خارج السجن ليسوا بمناضلين حقيقيين، عشت فترة السجن ضمن إطار]اسم حزب[والرفاق، خارج السجن التقيت بأشخاص تحمل نفس أفكاري ومبادئي وهذا حسن من نفسيتي. (س.ر، مقابلة خاصة بالرسالة)

نميز من هنا أن الشعور بالعجز وعدم القدرة قد شل الأسيرة، ليمنعها عن التفاعل والعمل والفعل داخل الأسر، ورغم ان بعض المسببات غير واضحة، غير أن قضاء أحد عشر عاماً في السجن يوفر الكثير من عناء التفسير.

القدرة على التعبير والابتسام يتأثر أيضاً وفق تعبير أسير سابق

"أنا شخصيا مش شخص سوي، أنا شخصياً بقدرش أعبر عن حالي بشكل صحيح، بقدرش أفرح صح وبقدرش أحزن صح، لدرجة إنه في أسوأ أحوالي ممكن تطلع علي ما تشعرش إنه عندي مشكلة، وأكثر الأوقات فرحا بتشعر إنه مش قادر أرسم بسمة على وجهي، هلا هذا كله نتيجة فعل السجن، يعني هناك في تعابير محددة إنتا لازم تتحلى فيها، إذا ما تحليت فيها مشكلة، ومع الفترة بتصفي جزء من شخصيتك بتقدرش حتى لو بدك لاحقا، حتى لو اكتشفت إنها جزء من إشكاليات الموضوع لاحقاً وجزء من تبعاته، ما بتقدرش تتخلى عنها بتصفي جزء منك عشان هيك بحكيلك أثار السجن جزء منك بتقدرش تتخلى عنها. هلا السؤال أو مثلا هذا صح أو كيف شايف الأمور، ما دام الموضوع صفى جزء مني ما راح أتنكر له لو شو ما كان. يعني إذا تجربة السجن جزء مني وجزء من تجربتي، فأنا بحترمها بكل إيجابياتها وسلبياتها بغض النظر شو موضوعها وبتنكرش إلها ولا يوم من الأيام. مع كل المساوء اللي بحكيلك فيها، أنا بحكيلك إنها تجربة مليحة في الحياة، أعطتني أشياء سلبية كثير وأعطتني أشياء إيجابية. بس بالأساس في أشياء كثير أنا بتضرر منها في هذا الموضوع، بعلاقاتي مع الآخرين بطبيعة تعاملاتي مع الآخرين بهذه القضايا، أنا مش شخص قادر إني أعبّر عن حاله صح." (م.ع، مقابلة خاصة بالرسالة).

العزل الاجتماعي عن المحيط السابق يتبلور بأكثر من طريقة للأسرى

"أحس أنني معزولة عن العالم الخارجي، فمثلاً لدي ابن لم أكن أراه، رأيته ممكن مرة واحدة، وهذا أفقدني الأمومة لم أعد أشعر كما في الخارج تجاه ابني، لظروف معينة غير عدم توفر تصاريح زيارة منعتي من رؤية ابني، هذا تأثيرها عليّ. حاولت التعويض بطفل ولدته أمه داخل السجن، كنت أحس أنه ابني فعلاً لكن عندما غادر غادرت المشاعر، ومشاعري تجاه ابني فترت لعدم وجود تواصل. وعندما خرجت تفاجئت أنه لا يوجد لدي مشاعر تجاه ابني، أول مرة أتى فيها انفعلت بكيت حضنته، ولكن لم أحس فيه كما كنت أحس قبل أن أسجن، لم أشعر بتلك اللهفة القوية، يوجد لهفة ولكن كل

شخص يعرف نفسه ويعرف مشاعره، ليس بالقدر الكافي التي تعبّر عن مشاعر الأمومة." (س،ر، مقابلة خاصة بالرسالة)

أمتد التأثير ليشمل عاطفة الأمومة، والعلاقة مع الطفل، حيث تم عزل الأسيرة عن عائلتها وطفلها، ولم يكن هناك تبادل للزيارات، ورغم محاولتها التعويض إلا أن العاطفة بقيت مرتبطة بوجود مادي لطفل أخر، والمفاجأة بعدم الشعور بقوة عاطفة الأمومة بعد عمر من الأسر تجاه طفلها، هذا ما يمكن للسجن أن يفعله، أن يفرق بين الأم وأبنها، وأن يغير من قوة مشاعرها تجاهه، حتى لم تشعر بلهفة لقاءه.

التحول في بعض القناعات الفكرية والإيديولوجية جزء من تأثيرات السجن، أما بتعزيزها أو النكوص عنها "الشرف المثالي الذي يسند إلى عمال منحون الأوسمة بعد خسمين عاماً أنفقوها في القيام بخدمات طيبة مستقيمة... هذه الأشكال الجمالية لاحترام النظام القائم تخلق حول المستغل جواً من الخضوع والامتنان يخففان عبء قوى الأمن تخفيفاً كبيراً أننا نرى في البلاد الرأسمالية طائفة كبيرة من أساتذة الأخلاق، والموجهين، "والمصلحين" تقف حائلاً بين المستغَل والسلطة الحاكمة" (فانون، ١٩٨٥: ٢١)

"ممكن عبرة، دخلت ٢٨ وخرجت ٤٠، لكنه أعطاني أمور كثيرة لم أكن أعرفها خارج السجن ولم أكن أفكر بها. مثلا قبل السجن لم أكن أعتبر أن كل اليهود هم صهاينة، هكذا كنت مقتنعة، أو ليس كلهم مخابرات. أما الآن فأنا مقتنعة قناعة تامة أنه إن لم يكن معظم فكل اليهود أو أن ١٪ منهم فقط ليسوا بصهاينة أو مخابرات، لماذا؟ لأنني عشت في سجن مدني ولأن الأسيرات في السجن المدني هم حثالة المجتمع، ومع ذلك يقمن بدور المخابرات علينا نحن الأسيرات الأمنيات، فهذا مفهوم تغير عما قبل السجن. وأيضاً تعلمت الصبر داخل السجن، حيث لم أكن صبورة خارجه، كل شيء كنت أريده بسرعة، ولكن لا يوجد شيء يأتي بسرعة داخل السجن، فمثلاً لو أردت شراء علبة سجائر يجب أن تنتظر مدة أسبوع حتى تقوم الكنتينا بجلبه." (س.ر، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى أن تعزيز القناعات تجاه المجتمع "الإسرائيلي" ودوره في تعزيز الاحتلال تعزز من خلال قضاء الأسر مع سجينات يهوديات مدنيات، لكنهن تعاملن مع الأسيرات الفلسطينيات من منطق الاحتلال نفسه، مما أدى إلى تعزيز القناعة بقلة عدد الأشخاص داخل المجتمع "الإسرائيلي" الذين لا ينتمون للمشروع الصهيوني.

تعلم الصبر والهدوء والتفكير قبل التصرف جزء من تقييم الأسرى لتجربتهم داخل الأسر

"أكيد هيك وهيك يعني، أنا كنت من الشغلات الايجابية إني أنا كنت بصباي عصبية جدا صرت أكثر هدوء، مثلا كنت.. يعني كيف، متعصبة كمان لفكرتي "لا أريكم النمارة"، وكأنه معنديش قدرة إني أستوعب الرأي الآخر، بالسجن لأ صار عندي أكثر، قبل لأ كان عندي أكثر إني أنا أنظّر بس بالسجن صار عندي أكثر إنو أسمع. لأنه هناك في السجن قضية إنه، مثلا أنا تجربتي الأولى في داخل السجن قبل ما أطلع حكيتلك يعني أنا أخذت زادت على عشر سنوات في السجن على خنقة السجانة، لأني متحملتهاش، إيدي والهواة كاينة، بس فيما بعد لأ. صرت أنظر إنه ما لازم أعطيهم فرصة إنه يتحكموا فينا بشكل روتيني، لأ أنا أوصل اللي بدي إياه. فهاي الشغلات وشعورك إنه إنت بخضم بتصادم دائم بصير عندك سعة إدراك أكثر إنه شو بده، يعني هو بسب عليّ، هو شغلته بس يسب عليّ؟ ولا يخلق نوع من الإهانة ونوع من الـ... أنا بعطيك مثل فيما بعد من تجربتي داخل السجن أنا حسيتها." (ع.ع، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى أن حجم الضغط الهائل في الأسر يؤدي إلى تصرفات سريعة وعصبية ما تلبث قضاء المدة داخل الأسر أن تغير من بعض الصفات الشخصية لدى الأسير.

الاهتمام بالتفاصيل الصغيرة والقدرة على فهم البشر العميق نتيجة معايشة عدد محدود من البشر لفترات طويلة

"هلا الجوانب السلبية إنه الواحد ممكن يكون حساس أكثر لكل التفاصيل الصغيرة، وهاي واجهتها برا، تفاصيل الحياة الداخلية داخل السجن ممكن تحكي عن أشياء بسيطة بس ما بتشكلك إشي، يعني عندك اشي محصور ومساحة محصورة مثلا كنا نجيب عصفور صغير نربيه نتعامل معاه ننبسط نكيف، الواحد لو سمع خبر حتى لو كان كثير بسيط على الزيارة ينسط عليه يكيف يتعامل معاه، يمكن لو برة كان يمكن ميتطلعش على الموضوع هذا. صرت أكثر أهتم بالتفاصيل وبالأمور الصغيرة فيها وصار عندي قدرة أفهم البشر وكيف بفكروا وكيف بتعاطوا مع الأمور من خلال نقاشك معهم، هاي هي يمكن خسرتها داخل السجن، يعني ممكن أنا أكثر واحد صار بركز على التفاصيل ومثل ما حكيتلك أنا هاي برا واجهتها انو الناس برا مش كثير التفاصيل بتهمهم." (ه.ج، مقابلة خاصة بالرسالة).

رفضوية الالتزام بالقانون، ومنها الوقوف، جزء أساسي من رفض الأسير لاستمرار أسره بالخارج كمدخل واعي لفهم وتحليل فترة الأسر

"انا بقدرش اعيش في محل مسكر انا قبل ما اطلع في الباص انا بشعر اني انا بتحرك فيه وفي البوسطة لما كانوا يوخذوني من محل لمحل في الاعتقال، عشان هيك انا صممت بس أطلع اتعلم سواقة عشان اروح وين ما بدي يعني انا بقرر ومرات بكون سايق بوقف في الشارع يعني انا بحدد حركتي في المكان مش حد بحدد لياروح من مكان لمكان، امرار بقطع رمزور احمر عشات ما أوقفش عليه وباخذ المخالفة، مرة في التست في السواقة كان الكف موقفتش على الكف فرجعني التستري بحكيلي ارجع ايش هذا فلتله هذا كف قلي ليش موقفتش عليه قلتله بديش أوقف فش حد في الشارع، هو مش فاهم ايش انا بعمل بس أنا فاهم انا واعي اني بديش اوقف عليه يعني بديش ألتزم في القانون، يعني مرة التستري بحكيلي وقف هان فأنا وقفت بعد ب ٥ متر قالي انت بتردش علي زي ما بحكيلك، وسقطت بالتست وسقطت بأكتر من تست لان أنا بديش ألتزوم في الاشي الي بحكولي اياه، يعني انا لما روحت رحت على الداخليه عشان أجدد الهوية انا الوحيد الي صار معي هيك، قالولي اوك بس

بدنا نعمل فحص امني سحبت الهوية من عندهم قلتلهم انا بديش تعملوا علي فحص امني انا روحت من السجن ولو في علي اشي الشاباك بخلينيش أروح ومش مسموحلكم تعملوا فحص امني وصارت مشكلة وطلعوني برا بالقوة وكذا. فأنا رحت لمحامي وانا رفضت ينعملي فحص امني ودفعت ١٠٠٠ شيكل وانا بقدر ما ادفعش ١٠٠٠ شيكل بس انا مش قادر استوعب انه يحكيلي اعمل هيك،" (ي.غ، مقابلة خاصة بالرسالة).

هنا يمكن التدليل على مصطلح التكيف المقاوم، وهو التعامل مع الواقع من أجل تغيير شروطه بمختلف الوسائل والأشكال، وتحدده المبادئ الوطنية والقيم (كاترين، ٢٠١٠).

تعويض الحرمان:

هناك إدراك كبير لدى الأسرى من خلال النصوص الخاصة بهم، أو من خلال الاحتكاك بهم، وكذلك المقابلات الخاصة بالرسالة، أن السجن هو حالة من الحرمان، وبالتالي الأسير المحرر سيحاول تعويض هذا الحرمان الذي مر به، جزء من هذا استخدام مكثف للأمور الأكثر حرماناً، وقد تكون لها علاقة بقضايا صغيرة وثانوية.

المنع والحرمان تجلى في الكثير من تفاصيل الحياة اليومية داخل الأسر بما يفيد تقييد الروح والوعي والجسد، مقابل هذا نجد أن بعض الأسرى عوض هذا عند خروجه من السجن

"شعور عدم الاستشعار بأي شيء، يعني أنا بشعر بشعور رائع جداً لما أحط ايدي على اسكرة الباب وبفتحها يعني اني انا حاليا بفتح الباب وبطلع هاي قمة المتعة بالنسبة الي. بفتح باب الثلاجة بقول أنا هلا بدي أقلي بيضتين، بدي أوكل بيضتين، صحيح إنو هذه أكثر أكله بنوكلها بالسجن لكن الآن هذه الأكلة أنا اللي اخترتها وأنا اللي عملتها وسويتها وأكلتها بإرادتي مش لأنها فرضت علي. انا حاليا قاعد بحتك في أمور أنا بمسكها ويستمتع وأنا بمسكها، بمسك السكينة بقطع حبة بندورة بستمتع فيها،

يعني إلى ١٦ سنة مش ماسك سكينة فهذه قمة المتعة، يعني أنا بولع الغاز بمسك كبريته، بمسكها بولعها يمكن أمسكها أولع عشرين شو اسمو (أعواد) وأنا اتفرج عليها ومستمتع بها، بوكل لبنة من اللي امي بتعملها بوكل جبنة بعرفش ايش، يعني هو استشعار المتعة في أصغر الأمور في أدق الأمور، ليس شرط انو استشعر المتعة في أغلى اشي في أفخم اشي، يعني ممكن تستشعر المتعة في أصغر الأمور وأدناها لكن انت كنت محروم منها حتى." (ف.ج، مقابلة خاصة بالرسالة)

نجد أن ممارسة عادات يومية بالنسبة للإنسان خارج الأسر تختلف عن الأسير المحرر والذي قضى فترة معينة داخل الأسر، فنرى أن مجرد فتح الباب، أو فتح باب الثلاجة أو الإمساك بسكينة تعطي شعوراً بالراحة والمتعة لأن الأسير حرم منها، وبالتالي هو يشعر بالحاجة إلى التعويض.

لكن ليس دائماً القضايا التي يتم تعويضها هي قضايا ثانوية، بل كثير من الأحيان هي قضايا واحتياجات إنسانية رئيسة مثل الحاجة للجنس والزواج ومشاركة الحياة مع الأخر

"أنا كنت أريد الزواج وأكون أسرة وأنجب الأولاد. فانا خرجت من السجن بعمر ٢٧ سنة، وتزوجت بعد خروجي بسنة، فلم أتسرع كثيرا، ولكن كان في تفكيري أنني سأتزوج، ولم أكن تحت ضغط يجبرني على الزواج فلم أكن أريد الزواج من أي شخص مثل ما حصل مع بعض الشباب والشابات، والذين فشلوا في النهاية. وكنت أريد أن أنجب، والآن لدي ولدين، قبل وصولي سن ٣٥ سنة لأنه يوجد خطورة، فلذلك كنت أحاول استغلال الزمن." (ع.ي، مقابلة خاصة بالرسالة)

هناك ضغط حتى على الأسير/ة من أجل الزواج لتكوين أسرة، وهو في حالة المرأة أعلى بكثير نتيجة وجود عمر محدد للزواج، علماً بأن تجربة هذه الأسيرة كانت في الثمانينات، تلك الفترة التي ما زال معظم المجتمع يزوج النساء بسن صغيرة، فهي تحت حالة ضغط "طبيعية"

تتمثل في تكوين أسرة قبل الوصول لسن معينة، يصبح صعباً بعدها الإنجاب، ورغم أنها قضت سنة بعد الأسر حتى تزوجت، فأنها تشير إلى حالات أسرى آخرين تزوجوا بسرعة تحت ظروف مختلفة، وفشل هذا الزواج.

جزء من التعويض لنمط حياة اقتصادية – اجتماعية مرتبطة بتعويض القدرة على تكوين عمل مستقل ذو عائد مادي

"يعني أنا بموضوع الزمان أنا بعتبر حالي مش انو انا كنت بمرحلة ... على الصعيد الشخصي أنا عملت شغلات كثيرة، بس على صعيد الحياة اليومية ومتطلبات الحياة بالمقارنة مع غيري مش كثير، بحاول قدر الإمكان يعني اعمل جهد مضاعف مشان أكون نفسي، مش بسابق الزمن بس بحاول قدر الإمكان أعمل شي على الأقل في بيتي، حياتي في مجالات مثل مجال عملي، مجال الاستثمار في مجال محدد، بحاول قدر الإمكان إني أكون إنسان عامل، إلي عيش هاي المرحلة بتعاطوا مع الموضوع بشكل روتيني، بحاول اتجاوز الزمن إلي أنا عشته من خلال تركيزي على هذه المواضيع، لأنو هاي أساسيات الحياة، أنا عندي بيت أنا عندي أسرة لازم أكون فعال في هذا الجانب، هيك عم بطلع لموضوع الزمن إني بحاول قدر الإمكان إني أتجاوز هذه المرحلة، السابقة ومن خلال تركيزي، إلي هي بتشكل حماية وضمانة لأسرتي وبيتي لأنو فش إمكانية ابعد عنها التزامات بعتبرها التزامات أساسية وضرورية ونضالية، ونركز على حماية الأسرة من خلال استثمار معين." (ه.ج، مقابلة خاصة بالرسالة).

التأثيرات الاجتماعية – التربوية:

رغم إدراك وجود حنينية لفترة معينة في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية تجلت فيها قوة هذه الحركة، مع ما اعتبره البعض فترة ذهبية للحركة امتدت من السبعينيات إلى نهاية الثمانينات، إلا أنها شكلت مرحلة تسترجع كمقياس لبعض القضايا المهمة داخل المجتمع الفلسطيني،

ومنها الأسرى، ونرى أن هذا تجلى في العلاقات داخل السجن بين الفصائل المختلفة، ونوع الفهم من قبل الأسرى لدورهم النضالي

"أنه كيف تبني الصداقات وكيف تبني العلاقات، وكانت هي العلاقات فعلاً التي ظلت مستمرة حتى اليوم رغم الانقطاع الطويل، وبالرغم من أنني سجنت وأنا شاب صغير واحد وعشرون عام كان عمري في تلك الفترة إلا أنه لليوم جميع أصدقائي يلاقوني يقولون لي "كيف حالك أركاداش"، اسم لا ينسى وكان أيضاً كلغة حفظوها وكتاريخ مررت به معهم، كانت فعلاً ولا تزال مصقولة في ذاكرتي. فهذه كانت تجربة أنا اعتبرها هذا البعد هو البعد التربوي السليم الذي قمت بتعلمه في تلك الفترة، فلم يكن بعد تربوي فقط في تلك الفترة، بل كان تربوي صقل وطني، أي منه أنا بقيت أفدي وطني وأحاول عكس هذه التربية على أولادي وأعلمهم وطنياً بغض النظر عن انتمائي السياسي، لا أحاول أن أقول لهم اذهبوا إلى اتجاه معين، أحاول تربيتهم وطنياً أن فلسطين أعلى منا جميعاً هذه هي التربية التي تلقيتها في السجن وهذه كانت هي الأساس، أن الوطن للجميع بغض النظر عن الاختلاف، الاختلاف لا يفسد للود قضية، وكانت هذه تجربة تعلمتها كثيراً من هؤلاء الناس الذين اختلطت معهم في بداية حياتي، لهذا السبب فعلاً فعلاً أنا قمت بتربية أولادي فقط بهذه الطريقة، أني لا أسأل ابني أنت لمن سوف تكون، أنا يهمني القضية الأولى بأن تكون فلسطين هي الهدف، وإذا كانت فلسطين هي الهدف انتهت القضية بالنسبة لي. ولغاية اليوم في عملي حتى في المؤسسة التي أعمل بها، نفس التربية ونفس العقلية مع نظرتي للموظف عندما يأتي وأنا صاحب قرار في المؤسسة أن هذا من اتجاه معين أو اتجاه محدد أو أو .... أنا آتي حسب المعايير وحسب الكراتيريا وأقول أن هذا يستحق الوظيفة ومثقف بالدرجة الأولى وإنتماؤه للوطن والمؤسسة، وبناء عليه أنا آخذه للعمل، حتى لا أنظر ولم أفكر بعمري أن أنظر لإنتماءه السياسي، بعد فترة من أكتشف أنه (س، ص، ع) يعني لهذا السبب هم جميعهم بواربوا في العمل، واسأل أنت اليوم وقل في مركز أبحاث بالتحديد وأسأل أتشعر أنت أن هذا (س أو ص أو ع) هذه التربية معدومة لأننا نحن كفكرة كمجموعة تكوننا خرجنا من السجن أن هذه الفكرة بدأنا بها المؤسسة بأن تكون لخدمة المجتمع والوطن بغض النظر عن الانتماء السياسي. فكان

هذا البعد الذي أنا أكبر بعد أستطيع التأكيد والتركيز عليه، هو البعد الوطني أكثر من البعد الفئوي، فأنا ركزت على البعد الوطني بالتحديد وهذه التربية تعلمتها فعلاً من السجن." (م.ح، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى أن هذه الفترة امتازت بالتربية الوطنية والعلاقات الاجتماعية والوطنية المنفتحة على خيارات الآخرين وقناعاتهم، لذا بقيت هذه السمات تعمل مع شخصيات الأسرى في الخارج حتى الآن.

قوة الشخصية، والقدرة على التعامل مع كافة أنواع الضغوطات في الحياة الخارجية بصبر وهدوء نتيجة المواجهة المستمرة داخل الأسر والظروف التي يمر بها الأسير جزء من فرادة تجربة الأسر، ويدلل على القدرة على التكيف المقاوم الذي يتعامل مع الظروف المحيطة من أجل تجاوزها، وتغيير شروطها، أو تحقيق أهدافه

"طبعا يوجد تأثيرات ايجابية وأخرى سلبية، ..... ومن التأثيرات الايجابية انك نتيجة الصعوبات التي تواجهها تصبح قادرا على مواجهات صعوبات تكبر منها، والقدرة على التعامل مع هذه الصعوبات، لأننا كنا نتعامل مع تحقيق، زنزانة وتعذيب، ولا نستطيع تمييز الليل من النهار حيث كان يتم عزل أحدانا لمدة ٢٣ ساعة في عزل انفرادي. لذلك يصبح السجين قادر على التعامل مع الحياة بشكل ناجح، بسبب وجود تجربة له داخل السجن، وتتبلور له شخصية قوية متماسكة وقادرة على اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب، حيث أن السجين يكون في مواجهة يومية، حتى بعد انتهاء التعذيب والتحقيق. لان الأسير يضرب عن الطعام مثلا في سبيل الحصول على قطعة خبز صغيرة، أو تغيير الأكل أو أي مطلب صغير وعادل. فعندما كنت في السجن حاولنا مدة ٥ سنين لتغيير الطعام يوم السبت وهو عبارة عن فاصوليا بيضاء، ولكننا لم نستطيع ذلك." (ع.ي، مقابلة خاصة بالرسالة).

تضادية الحركة/ وحدة الهدف:

تحليل مقابلات الأسرى والأسيرات من خلال النظر لبنية الأسر والسجن والاحتلال كمحاولات مستمرة ومنهجية لتطويع الأسرى وقمع وعيهم، وصولاً إلى حالة من العزوف السلبي عن العمل النضالي أحدى الاستنتاجات الرئيسة في الرسالة، تواجه هذه الحالة من القمع حالة من التنظيم الذاتي عبر الفصائل الوطنية التي تعمل برامجاً لمواجهة ومقاومة مخططات الاحتلال.

مقابلة أحد الأسرى الذين أمضواً أعواماً طويلة ضمن أحد التنظيمات، رأت في أن البنية المضادة تعمل بحركة مضادة، ولكن تخدم نفس الهدف من حيث التأثير على الأسرى

"هلا كمان تقسيمة السجن في داخل السجن هي بتحدد كيف الناس بتستغل وقتها، يعني معظم التنظيمات بتقسم وقتها، هلا هذا ممكن يكون جزء من آلية تنظيم حال في داخل السجن، ممكن تكون مقنعة للآخرين ممكن تكون مش مقنعة، أنا شخصيا ما كانت مقنعة بالمطلق لأنه كنت من الناس اللي بأيدوا إنه الناس تعيش بطبيعتها، زي ما هي عايشة في الخارج، الاحتلال وظيفته إنه يبينلك ويعطيك آلية محددة للعمل والنظام والصحيان والنوم، إنتو كتنظيمات داخل السجن بتساهم إنها تروج لهذا الموضوع من خلال برامج معدة. بخصوص البرامج أو حتى السلوك، في ناس بتبتعد عن واقعها، هدف الاعتقال الأساسي هو إبعاد الشخص عن واقعه وإنه يعيشه بحالة خاصة لفترة محددة هاي الحالة حجم المعاناة وحجم الضغوط اللي فيها تكن عالية، غير إنه بعيد عن المحيط الطبيعي اللي هو موجود فيه.

التنظيمات كان المفروض يكون دورها في السجن إنها تحاول تكسر هاي الحالة بحيث إنه المعتقل ما يشعر بالحد الأقصى من الطموح اللي كان يطمحه الاحتلال انه يشعره اياه. بالعكس، التنظيمات شو بتساوي، التنظيمات بتعيش الناس في حالة اغتراب شديد عن واقعهم يعني مثلا]اسم حزب[، أنا بشوف ناس طول النهار بتصلي وبتقرأ قرآن وما بتتفرج عالتلفزيون إلا غير وهو محطوط اسم

الجلالة عليه، وهذا الحديث مش صحيح أنا بشغلي بدخل على دور الناس كلهم وبشوفش اللهاي الموجودة على التلفزيون وبشوفش حاطط برامج مثل هالبرامج زيه زي هالناس، وبشوفهمش بسمعوا قرآن. هلا انتا بتدخل السجن وبتبلش حياتك تنتقل من واقع لواقع جديد، هلا إنتا فعليا إيش؟ إنتا فعليا أسست للفكرة كانت موجودة فيه خليته يغترب كمان بزيادة عن واقعه اللي كان قائم، مزبوط ألهيته بإشي، صحيح إنتا عملتله برنامج يحد من وقت الفراغ اللي هو بكون عايش فيه، لكن هو بقدرش يحدد فيه، وما قعدت وأخذت رأي الناس في البرامج التنظيمية اللي احنا بنطرحها، هذا بنطبق على كل التنظيمات يعني، محدش بسأل عن تنظيمه وبحكيله شو رأيكم بالبرامج التنظيمية ولا الثقافية ولا الاجتماعية اللي احنا بنقوم فيها، شو رأيكم نغير جزء من النظام، هذا نظام موجود في السجن بدك تيجي بدك تلتزم فيه. بناسبك أو ما بناسبك بدك تلتزم فيه، سواء كنت جزء من هذا الموضوع أو مكنتش، يعني في ناس كثير حالات كفاحية ما إلهاش دخل بالثقافة وما كان عندها أي تصور إنها ممكن تدخل حالها بالثقافة في أي يوم من الأيام ولا في التنظيم ولا في أي اشي، أنا جزء من حالة كفاح موجودة وانا بدي انضم إلها بديش أتعلم إشي، بصفي في السجن، عدا عن الأشياك والجنود، في أشخاص رقيبين على الذوق على التصرف على السلوك على كل اشي في رقابة على الأكل على الشرب على النوم على الصحيان على التلفزيون على كل اشي بصفي فيه رقابة. الاحتلال صفى بس قادر يحطلك رقابة حولين الخيمة يحطلك جندي باب الخيمة بس جوا الخيمة ما يقدر وما عنده الحق يتدخل فيك، هلا تنظيمات حلت مكان الإدارة في إنها شؤون من برا واحنا من جوا.

بنفس البرنامج اللي بقمع طبيعة الفرد، عفويته، وبالتالي بسمحولوش أنه يعبر عن حاله بشكل صحيح، حتى إنتا كشخص كبني آدم ممكن في لحظة تضعف، ممكن تنزل دمعتك، ممكن دنيا، مش مسموح في السجن، إنتا رجل ومناضل وبالتالي هذا ما بجوز فيك وبالتالي المفروض إنك تبلش تقمع عفويتك في الجاني الإنساني على أساس تقدر تتماشى مع الجو الموجود. إذا ما كان عندك هذه الخصال بدك تطورها، شئت أم أبيت أو بتصفي شخص منبوذ في السجن، شخص مش مؤهل يكون موجود- والله غريب يمكن معتقلينك بالغلط- وكإنه الاعتقال بالغلط صار موضوعه إدانة، يعني إنتا جاي بالغلط

وإنتا مش مناضل.

هلا في معايير للمناضل، وفي معايير للقائد وفي معايير لـ.. كل شخص في إله معيار، وبالتالي إما إنتا بتتدرج في هذه المعايير بين التنظيمات أو بتصفي شخص خارج عن الموضوع وهذا جزء من الأشياء الأساسية للسجن، يعني إنتا صفّيت مش الشخص اللي انسجن، عشان هيك في ناس كثير لما يطلع ابنه بحكي هذا مش ابني. هلا في فعليا ما اتطلعش قديش ابنه بعاني جوا عشان يغير طبيعته، ما اتطلعش قديش عفويته انقمعت، قديش انسانيته انقمعت في كثير من الأحيان، قديش شخصيته نمطه الخاص قديش انقمع، قديش كان لازم يتماهى مع الجماعة لدرجة إنه يذوب ويفقد شخصيته نهائياً وإلا بصفي شاذ عن المجموع.

هلا هذا كله بساهم في إيش؟ بساهم إنه الشخص يغترب عن واقعه هو، يغترب عن مفاهيمه عن حياته. مرة من المرات أجى عنا شاب- في حالة كفاح انضملها- كل شي تمام، مش أكثر من نوع، إله مفاهيمه في الحياة بطبيعته بعفويته، بس راعي، وعنده إشي بناضل أكثر من كل اللي في السجن، بس معندوش استعداد يفتح كتاب ويقرأ. هلا ما ناسب التنظيمات إنه يظل هيك بعفويته، ما دام إنتا ابن تنظيم معناها بدك تلتزم بهذا التنظيم، هلا يتناسب معك ولا ما يتناسب معك، هذا الموضوع، قضية إنك تقرر بتنتفي تماماً بالسجن، وبتصفي إنتا أداة لازم تتحرك من هان لهان حسب ما بده الموضوع وهان المشكلة، جملة الأنظمة والقوانين مش جملة ثابتة ومحددة لكل البشر، وبتراعي كل الظروف، لأ هي جملة بحددها القائد أو بحددها المسؤول التنظيمي أو بحددها قيادة المنظمة، أو بحددها الشرطي س في]اسم تنظيم[أو بحددها سكرتير]اسم تنظيم[، وهو عنده حرية يتصرف إللي بده إياه، والآخرين بدهم يلتزموا بالإشي. يعني إذا إنتا بتسمع مثلاً هاني شاكر بتصفي إنتا صاحب بيت وضيع، طيب وإذا بتسمع حكيم إنتا شخص مش مؤهل إنك تكون مناضل، ليش بتسمع حكيم؟!! وكإنه مثلاً إذا كنت مناضل وعندك معيار ١، ٢، ٣، ٤ لازم تمر فيهن واختبارات، وإذا فشلت فيهن... إذا بتسمعش مثلاً للشيخ إمام ولا بتسمع لفيروز ولا بتسمع لأم كلثوم ولا بتسمع لحدا، معناها إنتا جاي عالنضال طفرة، وكل مشاعرك النضالية، وكله كفاحك هذا بطيخ، شو بتسمع؟ بتسمع مثلا هيفا وهبي، هيك إنتا بتكون

حطمت كل معايير النضال في الوطن، هذا المشكلة، وكإنه المفروض إنه يكون في واحد رقيب على ذوقك، هسا شعبان عبد الرحيم بسمعوه ملايين، فنه هابط، خليه يكون هابط، بسمعوه ملايين، هسا إذا بتحترمش ذوق الملايين هذول وبتعتبر إنه هذا الذوق ذوق واطي، معندكش الحق تحكي باسم الملايين اللي بسمعوه، هلا لما تكون قائد لازم يكون عندك قدرة تستوعب الناس، ومش بس تحدد معايير النضال ومعايير الثقافة ومعايير الذوق ومعايير... وإذا أجى أي واحد بتخلف عن هاي المعايير يصنف خارج السرب، وما إلوش دخل بالنضال، هيك بتمارس التنظيمات، أنا مش هجمة التنظيمات، بسهيك بتمارس التنظيمات وهيك بتخطئ التنظيمات وبتحول البشر من ثائرين إلى أحجار شطرنج، وهان بتتقاطع مع الهدف الأساسي للسجن إنه تحول الناس من ثوار بطبيعتهم، بثوروا على الظلم والاضطهاد وعلى القانون وعلى وعلى... الخ وفي أشخاص عندهم استعداد يتقبلوا القانون حتى اللي بقمعوا ذاتهم، وبالتالي كيف بده مهو بكرا بدك تقمعه ويقمعوا الاحتلال فكيف بدك إياه يرجع يناضل كمان مرة؟ مهو تعود على القمع، مهو إنتا قمعت عفويته بالأصل، مهو بحب يسمع وإنتا مسمعتوش إياه، هلا تعود ميسمعوش، تعود يسمع اللي بدك إياه." (م.ع، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى أن الأسير حدد كيف أن الحركة الوطنية الأسيرة تعمل على الأسير من أجل تطويعه لنظام غير "طبيعي" مقاومة للسجن غير "الطبيعي" مما يولد برأيه اغتراباً لدى الأسير عن واقعه، ذلك الواقع الذي اعتاد أن يعيشه، مترافقة مع وجود رقابة مكثفة من التنظيمات على اعضائها في كافة تفاصيل حياتهم بما يستكمل رقابة الأسر داخل الخيم، وبالتالي يجب العيش على أساس اصطفاف تنظيمي ينظم سلوكيات الحياة داخل الأسر، ويضع معاييرً للنضال، ومن يتجاوزها يصبح منبوذاً أو بتعبير أخر غير مقبول داخل "الجماعة" الأم، بما يحول الأسير إلى جزء متماهي تماماً مع تلك الجماعة ويفقده قدراً كبيراً من شخصيته ودوافعه من أجل التكيف للتصرف وفق قوانين الحركة الأسيرة، ولإخفاء الضعف الإنساني أمام العدو منعاً لاستغلال هذا الضعف. قمع ذات الأسير وتحويله من قبل التنظيمات إلى أداة متكيفة مسيرة

وفق أرادتها ووفق جملة من القوانين المتغيرة وفق أمزجة معينة هي حالة من قمع وعي الأسير وثوريته وصولا إلى جعله يتصرف بانضباط معين يخالف أساساً ثوريته النضالية التي تهدف إلى الثورة.

كما أن تمثيلات القوة والسيطرة لدى التنظيمات السياسية تعكس تخوفاً فلسطينياً من السلطة "أن مجيئ سلطة تحتكر العنف يرعب جيلاً تتمثل لديه القوة في صورة الاحتلال الإسرائيلي غير الشرعي" (بوكاي، ٢٠٠٦: ٦٦)، فكرة السلطة والقوة التي عمل ضدها الفلسطينيين على أعتبار أنها مصدر لواقعهم تحت الاحتلال، لا يمكن أن تتمثل قبولاً دائماً لأي سسلطة ستفرض عليهم داخل السجن أو خارجه.

تكثيف هذا في نقاش البرنامج السياسي للتنظيمات الفلسطينية "جدل النظرية والممارسة قانون عام، وجدل الثقافة السياسية مع السلوك السياسي، واحد من تجليات هذا القانون. فإذ تُغَذِّي الثقافةُ السياسية السلوكَ السياسي بقيمها، فإن السلوك السياسي يُجَسِّدُ الثقافة السياسية، ويُغْنيها بممارسته، ويتفاعل معها (تأثيراً وتأثراً) داخل التنظيم السياسي الذي يولد تلبية لمصالح مجموعات اجتماعية بعينها، والتي تُحَدِّدُ بدورها مضمون البرنامج الإجتماعي الاقتصادي لهذا التنظيم. وفي حالة حركات التحرر الوطني يَتعَيَّن هذا البرنامج بقيم التحرر وثقافة الحرية. وبغير ذلك، فإن برامج حركات التحرر الوطني لا تعدو كونها استعمالا زائفا لثقافة الحرية، وتنتج تنظيما سياسيا بائسا لهذه الثقافة، وتَحْضُنُ نقيض الحرية بحوامل ادعائها، وتفضي لاغتراب (alienation) جهود مناضلي الحرية عن قيمها وهدفها." (جرادات، د.ت).

التربية الحزبية والوطنية الفلسطينية عملت على تشكيل وترسيم حدود الهوية والإنتماء، وفرضت حتى حداً قمعياً من الإبعاد/ الاستثناء بناء على الامتثال لهذه الحدود، وأحد

هذه الأمثلة في فترة تاريخية ما هي الاعتراف في التحقيق، حيث يعزل تلقائياً من الحياة الاجتماعية داخل الأسر "ديناميات الظروف المادية وإنتاج المعنى تلعب دوراً رئيسياً في ليس فقط في تشكيل نصوص الأسر، بل تصمم حدوداً للقضايا الإدراج/ الاستبعاد في مجتمع الأسر". (Nashif, ٢٠٠٨).

لذا نرى هناك تصميماً للعقاب من الحركة الأسيرة نفسها على أفرادها وفقاً "للخطأ" المرتكب من قبلهم، أقسى هذه العقوبات في فترات زمنية سابقة وضع حد لحياة أسير تعاون مع الاحتلال، إلى عقوبات أخرى متعددة، منها الحرمان، والمقاطعة الاجتماعية، وطلب نقله، طبعاً مع اختلاف نوع العقوبة من تنظيم لأخر، وفقاً للسيطرة الكاملة لكل تنظيم على الحياة داخل الأسر لعناصره.

التمايزات الحزبية بين التنظيمات الفلسطينية داخل سجون الاحتلال، انعكست في البرنامج التنظيمي والقيم التي يحملها كل تنظيم، لذا نرى أن هناك تفاوت لفترة ما في شخصية كل أسير والقيم التي يحملها بناء على إنتماءه لتنظيم معين، مما يعني قدرة التنظيمات على السيطرة حتى على التربية بالمعنى الواسع للكلمة لأفرادها، ومن يعتبر معياراً مقبولاً للتصرف والسلوك اليومي.

التأثيرات المكانية:

تقول أسيرة في هذا المجال، نعم هناك تأثيرات من السجن تتعلق بطبيعة المكان

"لا أغلق الباب، طريقة ترتيب التخت في الغرفة، لا أعرف النوم إلا إذا كان شكله كما بالسجن بجانب الحائط، هذا الموضوع شعرت أنه لا زال موجود من تأثيرات السجن." (س.ر، مقابلة خاصة بالرسالة)

جزء من التأثيرات الكبيرة على حالة هذه الأسيرة بالذات نتيجة ظروف مرت بها داخل السجن، مع تأثيراتها في الخارج، نجد أنها موجودة فبعد أن قضت فترة أحد عشر عاماً في الأسر وخرجت فهي حتى الآن لا تغلق باب، وترتب السرير بنفس طريقة ترتيبه داخل السجن، وتنام وفقاً للطريقة التي تعودت أن تنام داخل السجن.

تختلف حدية وحجم الآثار التي تركها السجن كمكان على الأسير، ففي تجربة أسير محرر نجد انها آثار قوية، ولكنه مدرك لها

"يعني أنا... ما بقدر اقول انو عندي حاليا شعور في... خلينا نقولها كالتالي: نقاش صار بيني وبين أخوي ممكن يعطي انطباع عن هذا الموضوع.... تم الحديث على انو انا اتوجه لرام الله اشتغل أو أدرس ماجستير كان مشروع بيرزيت قائم وأبو ديس أيضاً، وكان لازم اني أسكن في رام الله كوني حتى الآن مش مرتبط وبدي أسكن كفرد، فكان أول اقتراح طرح علي إنو احنا بنعرف ناس وشباب محترمين ممكن تعيش معهم. فكان انا عندي ردة فعل مباشرة وقد انو فهموها انو فيها نوع من الحدية شوي لأ ما حدا الو دخل بالموضوع ما راح اعيش مع حدا انا لن اقبل ان أرجع واعيش مع الآخرين في فضاء واحد أنا يجب أن أعيش في فضاء إلي ومستقل بذاتي وهذا اعتقد بتعلق بموضوع الخصوصية، ولكن انو هل انا بشعر نفسي انو لو أنا بمكان وحدي بكون مقيد، هذا الشعور بشعره وأنا في الأصنصيل، فهذا بشعرني كأني في البوسطة. لأنه اعتقد ما في أماكن أو في أماكن مختلفة مثل الأماكن التي تترك ألم زي غرفة الانتظار في السجن مؤلمة جداً مقرفة جداً زي الحمام زي ساحة الفورة المردوان بين الغرف، الغرف اللي فيها ابراش وحمام وفيها خزانة للمطبخ بلاطة للمطبخة هذه التقسيمات أنا ما بقارن حياتي اللي بعيشها هون مع الحياة اللي كنت عايشها إني أشوف كان اقول اني زي المكان اللي كنت موجود فيه أو انو لسبب ما انكشفت على واقع أو شكل من أشكال الحياة التي كانت موجودة في السجن." (ف.ج، مقابلة خاصة بالرسالة)

تعكس هذه التجربة عمق تأثير السجن على الأسرى فيما يخص موضوع المكان، ونستجلي من هذه التجربة ما يلي:

- رفض مشاركة الآخرين في نفس الفضاء بعد تجربة الأسر، والرغبة في وجود مكان مستقل وذاتي لا يوجد به أحد.
- استمرار الشعور بالقيد في أماكن محددة تعيد تجربة السجن والمشاعر المترافقة، مثل الشعور بكون الأسير مقيداً عندما يستخدم المصعد لما له مواصفات محددة وضيقة، مثل "البوسطة" وهي سيارة نقل ضيقة للأسرى من سجن إلى أخر.
- وجود تشابهات مكانية مؤلمة بين أماكن في الخارج وأماكن من السجن مثل غرفة الانتظار، الحمام، بعض الساحات، التي يترجع فيها الأسير تجربته بألم في السجن.
- وجود وعي للمقارنة، ولكن المشاعر التي تنتاب الأسير بوجوده في أماكن محددة تعيد له ذكريات السجن، أمر قوي ويترك آثره عليه.

التعامل مع الحيز/ المكان كعنصر خامل، بحيث يصبح خشبة المسرح التي تدور عليها الأحداث فقط، ولكنها لا تترك أي نوع من الأثر على الإنسان كفرد أو على المجتمع ككل، يصبح إدعاء خاطئ (بشير، ٢٠٠٤)، حيث نرى عمق تأثيرات المكان على شخصيات الأسرى.

تأثير السجن كمكان يرتبط أحياناً بالمدة الزمنية التي قضاها الأسير في السجن، وفي تجربة أسير رأى أن مدة ثلاث سنوات "صغيرة" للتأثر بالسجن، توضح لنا ذلك

"يمكن لفترات طويلة آه، للفترات الطويلة أنا متأكد إنه آه، للفترات القصيرة لأ، أنا لأ بحسش فيه. أنا برجّع مفهومي للإشي من وين أنا عشت مش من السجن، أنا بحب الجبل لأني أنا من الجبل بحب المكان الصعب لأني أنا عشت بمكان صعب بحب البيت المفتوح لأني أنا بقرية، هاي الأشياء أنا

بعزيها دايما... يعني أنا صممت بيتي وين أنا المكان إللي عشت فيه مش وين السجن. أحد الأشياء إللي إلها أحقية في تجربتي." (أ.أ، مقابلة خاصة بالرسالة)

نجد أن هناك فهم لبعض تأثيرات السجن كمكان ارتباطاً بالمدة الزمنية للأسر، وكذلك تأثيراتها المستقبلية، بحيث أن هذا الأسير بقي مرتبطاً بالأساس بما هو عادة له قبل الأسر لا بعده.

الهروب من قسوة مكان السجن إلى دفء الأم، من خلال فهم الأم "كمكان أمن" بالنسبة لأسير سجن وهو طفل

"بعد سنة ونص من الاعتقال سمحولنا إنو ندخل أطفال دون سن سنتين عنا، فكانت إمي جاي تزورني ومعها بنت أخوي عمرها سنة فلما فتحوا الباب عشان تسلم علي رمت بنت أخوي عالأرض وحضنتني. يعني هي كانت من أقصى التجارب لما إمي حطت البنت عالأرض وحضنتني فكأني خرجت من المكان لصالح إنها تحملني في مرة ثانية، فهي من الأشياء اللي بقيت عليها في الجيش صعوبة الإشي إنو نزيّف الإشي ونقول عنه صعب لأ هو صعب وهو اشي قاسي مطلوب إنه نتعامل معه بمفردات إنه صعب وقاسي فترة عقوبة، عقوبة ظالمة يعني إحنا بناضل عشان قضية عادلة، صعوبته إذا إحنا اعترفنا بيها واعترفنا بعدادتها بنقدر نتصالح معها. فأنا من إحدى المؤشرات اللي اللي بقول قديش هي كانت صعبة أتصالح معها إنو أنا مشتاق، وقديش إنو اشتياقي إنو إمي حملت فيي مرة ثانية، يعني هاي الإشي اللي أنا دايما بحكي عنو إنو المصالحة والسلم الداخلي." (أ.أ، مقابلة خاصة بالرسالة)

الشعور بأن الأم "حملت" به ثانية تعبيراً عن الاشتياق، والرغبة في مكان آمن يعطي معنىً إضافياً لقسوة السجن على الأسرى وتحديداً الأطفال الذين انتزعوا من بين أحضان عائلاتهم ليزج بهم في مكان غريب وموحش. الدعوة إلى المصالحة تعني بالأساس التعامل مع التجربة بحمولتها العاطفية والمعرفية والسلوكية سلباً وإيجاباً.

الهروب إلى العزلة، ومن ثم الرجوع إلى صخب الحياة كآلية توفيقية بين حياتين لأسير قضى سبعة عشر عاماً في الأسر

"المكان بحب أحيانا اقعد لحالي، يعني هاي .. بشعر في إرهاق في الحياة لأني مش متعود على الحركة بالمستوى وبشعر إني بحاجة اقعد لحالي ساعات أو يوم أفكر اصفي دماغي وبنفس الوقت بحب الاختلاط والحركة يعني هاي الفترة إلي بقعدها مشان اصفي ذهني فيها والعزلة ما بحبها، يعني بالعكس بالسجن في .... بس انا مش كتير بحب الابواب المغلقة بحب الخلا بحب اطلع وأتحرك بس بيجي وقت بدي اقعد لحالي، بديش اتصل مع حدا يعني." (ه.ج، مقابلة خاصة بالرسالة)

رفض إغلاق الأبواب رغم أن الأسرى انفسهم كانوا يصرون على إغلاق الأبواب داخل السجن مقارنة أخرى توضح وحشية تأثيرات الأسر.

التأكيد على نفس التجربة السابقة من زاوية الأبواب والشعور بالأماكن المغلقة

"لهسا في اشي انا بعاني منو انو صحابي تكرر معهم، يعني انا في السجن متعود بسكرش باب، فبس أطلع من الدار بوصل تحت للسيارة بفكر انا سكرت الباب ولا مسكرتش الباب مع انو المفتاح في جيبتي لهسا بعاني منها وبرضو لما أطلع على الدار بس أوصل فوق برجع بنزل بتأكد انا سكرت السيارة ولا ما سكرت السيارة. هسا زوجتي ملاحظة الشغلة هاي صارت هي تسكر الباب تقلي ها هيو مسكر باب السيارة. هادي المسألة لانه انا مش متعود أسكر الباب حتى هي بعد مرحلة صارت زيي تتصرف يعني أنا مش نتعود اسكر الباب بصراحة، وفي ناس بفكروا اني مش سائل بس هاذي حقيقة، يعني في السجن لما كنا ندخل من الفورة على الغرف تكون مفتوحة نصير احنا نسكرهن ما نخليش الباب مفتوح علينا يعني هسا انا من الجانب السلوكي بقدرش أقعد في محل مسكر بقدرش بنضغط ولازم اطلع من المكان ولا بعمل اشي بس ما بقدر اضل في محل مسكر بطلع حتى لو بعملش اشي بس بقدرش أضل بحس حالي مقيد، لو بالوظيفة بكون بقدرش اضلني في مكان مسكر،

في الدار بقدرش اضل يعني بس فترة نومي بضل قاعد في الدار انا دائماً بضل أتنقل." (ي.غ، مقابلة خاصة بالرسالة)

الهروب من الفضاءات والأماكن المغلقة والتنقل المستمر، وعدم القدرة على البقاء في مكان واحد لأنه يجلب الضيق تأثيرات مستمرة للأسر لفترة طويلة

التأثيرات الزمانية:

تقول أسيرة:

"وأنا حتى الآن استيقظ عند السادسة صباحا، حتى لو نمت متأخرة. وبدون استخدام المنبه، لأننا تعودنا على هذا النمط داخل السجن. حيث يصبح الدماغ مبرمجاً." (ع.ي، مقابلة خاصة بالرسالة)

رغم مرور سنين طويلة ما تزال هناك تأثيرات من عادات السجن، ومنها الالتزام بوقت محدد دائماً للاستيقاظ صباحاً، وهذا ما نراه في حالة الأسيرة المحررة، وكما رأينا في "عزل الحواس" لخلق تأثيرات دائمة ومستدامة لدى الأسرى.

وكذلك أسيرة سابقة التي ما زالت تستيقظ حتى الآن على الساعة السادسة

"كل شيء كان على الساعة في تنظيم الوقت، من مواعيد وغيرها، مثل النهوض من النوم، ولغاية الآن أنا أستيقظ الساعة السادسة كما كنت داخل السجن." (س.ر، مقابلة خاصة بالرسالة) ترتيب المواعيد والحياة مثلما كان يحدث في الأسر، وموعد الاستيقاظ من النوم.

الإصرار على موعد النوم والاستيقاظ بحكم اعتيادية الأسير عليه، يصبح جزءاً من نشاطه في الخارج

"بالنسبة للنوم أنا عندي حالة قبل السجن، أنا بنام قبل الأوان عشرة ١١ بس بصحى عالستة، هسا بالسجن العدد الصباحي بيجي الساعة ٦، ٦:٠٥ فأنا بكون صاحي عادي وكنت بمارس الرياضة وكن أطلع ألعب رياضة عادي وكانت حياتي تبلش من الساعة ٦ تقريباً، هلا نفس الإشي الساعة ٦ يوم شغل يوم عطلة الساعة ٦ وببلش حياتي، وكي التحضيرات للعمل وبطلع عالشغل. وهذا كان الاشي الإيجابي، هلا في قرار تنظيمي داخلي إنه الساعة ٧ نكون صاحيين في السجن، وتبلش حياتنا، هسا الناس اللي كانت تحب النوم سوت مشاكل كثير بالسجن، بس أنا كان دايما بكون اشي ايجابي عندي، أنا إلي حياتي أصلاً فأجا منسجم، حتى أيام الجمعة اللي فيها عطلة ومكنش في رياضة، بس أنا نفس الاشي كنت أصحى الساعة ٦ وأصير أقرأ يعنين مكنش في مجال أغير في موضوع النوم،" (ي.غ، مقابلة خاصة بالرسالة).

السجن يؤثر ارتباطاً بمدة الأسر، وتفاعل الأسير مع الأسر، ونرى هنا حالة لأسيرة استطاعت التأقلم في بداية الأسر، ولكنها بعد ذلك لم تستطع مما أنعكس سلباً على تكيفها داخل السجن

"نعم كان هناك اختلاف بالنسبة إليّ، في بدايته لا أقول أنه من الممكن العيش فيه ولكن أستطع أن أعيش فيه. أما بعد فترة من الزمن السجن كان له أثر نفسي عليّ ليس لأنني لم أستطع العيش في ظروف صعبة، ولكن لأنني تعاملت مع أناس متعاونين مع الاحتلال وكان من الصعب عليّ التعامل مع مثل هؤلاء الأشخاص، حيث أن أهدافهم هو تدميري، لست وحدي، ولكن تدمير جميع الأسيرات الموجودات هنا." (س.ر، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى أن جزء من ارتباط المدة الزمنية للأسر بمعايشة أشخاص من نفس البيئة على مقدار التكيف داخل السجن، فطوال فترة سجنها البالغة أحد عشر عاماً واجهت مشاكل نفسية، وجزء منها نتيجة معايشتها لمتعاونات مع الاحتلال في الأسر.

بعض الأسرى حددوا المرحلة بين مرحلة الأسر ومرحلة الحرية كلحظة فاصلة بحيث يمكن ان تتغير عادات مارستها بشكل طويل، وتجربة أسير لمدة ستة عشر عاماً في ساعة الاستيقاظ

"لأ ما بقدر أقول انه صار فيه، كنت اتوقع انو انا ممكن بعض السلوكيات او بعض الأمور اللي كنت أسلكها أو متعود عليها وكانت تحدث معي بشكل متكرر وتلقائي ودائم انها تبقى معي، مثلاً العدد في عدد هذا العدد على مدار ١٦ سنة الساعة ٦ الصبح كل يوم لازم يكون في عدد، يعني مرات كنت أقوم على العدد وأرجع أنام من دون ما أكون أعرف إني قمت على العدد بتصير قضية تلقائية، في هناك ساعة بيولوجية بتحكيلك انو هلا لازم تصحي، هذه القضية ما صارت معاي. أنا بعتقد انو اللحظة الفاصلة بين الأسر وبين الحرية هي لحظة غريبة عجيبة بلا أدنى شك." (ف.ج، مقابلة خاصة بالرسالة)

مقدار تأثير هذه اللحظة التي حلم بها الأسير طويلاً، وخطط لها مراراً بما تشكله من خط فاصل في التجربة، بما يمكنه من التخلص من عادات السجن الطويلة أو على الأقل جزءاً منها.

التعامل مع الزمن بعد الخروج من السجن يصبح فيه استعجالاً بالتعويض عن الفترة "المفقودة" في حياة الأسير داخل السجن

"يصبح الزمان غير مهم أحيانا، كل شيء داخل السجن يمكن أن يحمل النقيضين، فنتيجة شعورك بهدر زمنك ووقتك، ستفكر في استغلال الباقي من زمنك، فيكفي ما ضاع من عمرك، وهذه كان عند الكثير من الشباب المحررين، ففور خروجه من السجن يتزوج، وفور زواجه يريد أن ينجب الأبناء، وخصوصا من مكث مدة طويلة من ١٠ -١٥ سنة. وبنفس الوقت كان من المظاهر الواضحة على الرجال الذين خرجوا من السجن، أنهم قد نسوا السنين التي مكثوها داخل السجن، فتعاملوا مع أعمارهم بعد خروجهم من السجن كما كان عليه الحال قبل دخولهم السجن، ولهذا كان العلاقات الزوجية الفاشلة أكثر من العلاقات الناجحة، لأنه مسح من ذاكرته السنوات التي قضاها داخل السجن، وهذا شيء علمي، أي أن الإنسان ينسى الشيء الذي يرغب بنسيانه." (ع.ي، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى أن بالذات موضوع الزواج وتكوين أسرة للأسرى الذين قضوا فترات طويلة، ودخلوا السجن من غير زواج تصبح على قائمة أولويات الأسرى، وما يعنيه هذا الاستعجال من وجود

أخطاء في العلاقات تفشل في النهاية الزواج، وقدرة الأسير على إعادة الاندماج داخل المجتمع تحددها أحياناً معايير المجتمع ذاته، وهو ما يعني تجاوز خبرة سنوات الأسر، والتعامل كأنها لم تكن، بمعنى الرجوع إلى الحالة الأولى العمرية قبل الأسر بشكل غير متناسب مع العمر الحقيقي.

الاغتراب عن المجتمع وعاداته ومفاهيمه، والبعد عن قضاياه الرئيسة، وعدم القدرة على التعامل مع بعض الأحداث التي تمتاز بصلتها بمتغيرات اجتماعية نتيجة وجود فجوة زمانية بين إدراك الأسير لمجتمعه قبل الأسر، والتحولات التي طرأت على المجتمع خلال فترة أسره، ولم يتعرض لها

"هو الانفصال والغياب عن المجتمع فترة طويلة جدا يفقدك القدرة على التواصل مع المجتمع في تفاصيله، يعني انت عايش في مجتمع مختلف مع نوع من الناس مختلف تماما يحملوا شكل من أشكال الثقافة وبنوع من المثاليات العالية من المفاهيم الوطنية كل نقاشاتهم في السياسة في الفكر في كتاب قرأوه في برنامج حضروه في التلفزيون وهناك طبعا جوانب ترفيهية وأحديث طبيعية وكلام زي النسوان... هذا الواقع اللي عشت فيه وترك أثره في شخصيتك، لكن عندما تحكي عن تفاصيل الحياة فيها تنوع أكبر وفيها تفاصيل أكثر وفيها نمط وقالب معين بقيدك بدك تتعامل مع هذا القالب عشان ما تسقط من عين الناس وحتى توصل رسالة وبدك تفيد، هذا شيء دائم انك صاحب رسالة وعندك دور وطني وحتى تقوم بهذا الدور لازم تكون كلمتك مسموعة وحتى تكون كلمتك مسموعة لازم تكون كلمتك محترمة وحتى تكون كلمتك محترمة يجب أن يكون شخصكم محترم وحتى يكون شخصك محترم لازم تكون بصورة مثالية مثل ما هو وضعوها إلك وانت ما وضعتها لنفسك وهي صورة نمطية ممكن تكون أكبر منك وأكبر من حجمك لكن انت ما بتستطيع تغيرها لأنك مش انت اللي وضعتها بل الآخرين. في هذه الحالة انت قبل الحرية انت تعرف نظريا ان هناك مجتمع يختلف ومجتمع طرأ عليه تحولات كبيرة وعميقة وجذرية وانت قد تعرف نظرياً بعض هذه التحولات وأشكالها في السلوك اللغة

العادات التقاليد المفاهيم نظريا، فممكن ان حاليا تكون انتقلت من الواقع الذي كنت تعيش فيه مع هذه التحولات ومع هذا الواقع اللي انت عشت فيه وكنت تعرفه وهذه المعلومات إلى واقع جديد مختلف تماما مع الواقع اللي كنت تعرفه وبدك تعيش فيه ضمن مفاهيم هذا الواقع مش ضمن مفاهيمك، وهذا يحتاج إلى جهد كبير، إعادة برمجت نفسك بما يتناسب مع هذا الواقع، وحتى تعيد برمجت نفسك يعني أنا شخصياً قعدت شهر لا اتكلم، أسمع، اتكلم اذا حدا سألني سؤال أجاوب في إطار معلومات، يعني اذا سؤلت شو رأيك بالموضوع الفلاني موضوع اجتماعي انا ما عندي رأي متأسف ما بعرف، لأني كنت ما كنت استطيع ان اعطي رأيي ضمن المفاهيم الجديدة التي انا ما استوعبتها وما عندي قدرة اني احاكم الأمور على اساسها، فاذا بدي أحاكم الموضوع حسب معرفتي وحسب مفاهيمي بدها تظهر الفجوة الواسعة بيني وبين الآخرين وهذا قد يعرضني لنوع من السخرة والاستهزاء، فأول شهر كنت أسمع ولا اتكلم." (ف.ج، مقابلة خاصة بالرسالة).

الانفصال عن المجتمع وتفاصيله لفترة طويلة، والعيش في مجتمع صغير يحمل مضامين مختلفة، وعادات مختلفة، وآليات تعايش مختلفة، يضع الأسير في حالة اغتراب عند خروجه إلى الحرية، ومحاولة استكشاف المجتمع مرة أخرى للتكيف والاندماج.

قولبة "الأسير" في صورة نمطية معينة من قبل المجتمع المحلي والعائلة، بحيث يصبح متوقعاً من الأسير أن يتصرف بطريقة مختلفة قد لا تكون طريقته، وهذا ما يضعه تحت ضغط عالي وتنازع بين الشخصية التي تكونت لديه على مر السنين، وبين الصورة المقولبة للأسير المحرر التي تضع أعباءً كبيرة على كاهله، وحتى أن هذه الصورة والدور المتوقع منه قد يفوق طاقاته وقدرته، ولكن يجب عليه أن يكون حذراً في تخييب آمال المحيطين به.

الخوف من الفشل أمام العائلة والمحيطين والمجتمع المحلي جزء من مخاوف الأسرى الذين قضوا فترات طويلة في الأسر، من نوع أن هناك توقع بمعرفة وحكمة في كافة القضايا من

قبل الأسير، وبالتالي هناك حذر من قبله في الإجابة خوفاً من السقوط أمام المجتمع المحيط بإجابة غير مناسبة، والتعبير المكثف المناسب هو أن هذا الأسير لم يتحدث لمدة شهر بل استمع تحضيراً للتفاعل الاجتماعي مع المحيط.

لحظة الامان للأسير تختلف حسب تجربة الفرد، وفي تجربة أسير محرر سجن وعمره أربعة عشر عاماً "كطفل" نرى أن لحظة الأمان تتلخص في وقت النوم، والإحساس بفقدان الأمان في هذا الوقت نتيجة عدم وجود الأب والأم

"إنت في اليوم العادي للسجين العادي في يومك العادي في قضاءك للزمان في المكان إللي إنت موجود فيه، إنت برنامج مليئ وهذا هون قديش بعالج مشكلة بس قديش بعمل غربة كمان إنك إنت تنفصل عن زمانك ومكانك من الساعة ٧ لحد ما تنام الساعة ١٠ بالليل هذا برنامج مليئ فش في دقيقة فراغ واحدة برنامج ثقافي تعليمي تكيّفي كامل بالكامل بدك تكيفه مع الحركة الأسيرة مش تكيفه مع المكان والزمان. الساعة ١٠ بالليل لما تيجي تنام كنت تتعرف على الزمان والمكان أنا مثلاً لما كنت بهذيك المرحلة كنت بحس.. بفتقد السلطة الصفة الآمنة إللي كانت ترعاني كأنه واحد كان بلعب راح على مدرسته وطلع يلعب ورجع سوى واجباته ورجع آخر الليل بدو ينام. طيب اتحممت، متحممتش، غيرت أواعيك، فرشيت أسنانك، بردان، سخن، هذه السلطة الآمنة اللي هي الأم والأبو كنت أنا أكثر لحظة بخاف فيها هي هذيك الساعة، اللي أكثر إشي بتستحضرني لحظة الأمان المطلق اللي هي لما تنام في الفراش، هاي لحظة وهاظ كان مستمر لـ ٣ سنين." (أ.أ، مقابلة خاصة بالرسالة)

افتقاد من قبل أسير "طفل" في وقت النوم، من خلال تعليمات الأب والأم، ووجود اغتراب عن السجن نتيجة العمل ضده من قبل الحركة الأسيرة بملئ برنامج الأسرى ما عدا وقت الخلود إلى النوم، حيث يرجع الأسير للشعور بالفقدان للأهل خاصةً.

البقاء داخل السجن رغم أنك خارجه، والشعور الدائم بقرب الأسر لك نراه في تجربة أسيرة محررة

"آه والله أنا كإنه السجن بداخلي، يعني مرات لما بدي أروح عالجامعة بقول بدي أروح عالسجن، دائما عالسجن. في شغلات كثيرة بالسجن تركت أثر كبير، كمان خليني أحكي ونكون واقعيين، يعني الواحد بنام وبقوم وهو يحلم إنهم جايين يعتقلوه أنا عم بعيش بهاي الظروف، بنام وبقوم وهم بعتقلوني، وكإنه صارت حياتي مش بس الفترة اللي هم بعتقلوني فيها، وأنا بحاول أخرج من هاي الدائرة بس لأ هاي بتبين وكإنها في بصمة محطوطة علي، وهاي هي اللي بعتبرها وكان في نقاشات عليها إنه قديش السجن بترك وطريقة الاعتقال بتترك أثر في نفس سلبي على السجين حتى بعد فترة زمنية طويلة."

(ع.ع، مقابلة خاصة بالرسالة)

التفكير وكأن السجن أصبح داخلها بقدرته على التأثير العميق فيها، والترقب الدائم من فترة الاعتقال القادمة، وكان الحياة في الحرية ترقب لاعتقال وأسر جديدين "يصنع الارتقاب الأطر الزمنية لاستقبال الذكريات، فعندما يقع الحدث المرتقب بكل وضوح – مقارقة جديدة- إنما يتراءى لنا في شكل جديد تماماً. (باشلار، ١٩٩٢: ٦٣).

البقاء في نفس العمر الأول للأسر بالمعنى التطوري للشخصية، هذا نراه في تجربة أسير أمضى سبعة عشر عاماً داخل الأسر، ولكنه بقي يعيش خارجه كما لو أنه لم يسجن

"مش بس انا حاله عامة لكل الاسرى، احنا بنكبر شخصيا بالزمن بتكثر معارفنا ومعلوماتنا بس بنيتنا النفسية بنكبرش يعني انا انحبست عمري ٢٠ سنة طلعت نفسياً عمري ٢٠ سنه. يعني انا بشوف سلوكياتي في جوانب فيها سلوكات ابن ٢٠ سنة، يعني كيف بتشوف البنية النفسية للانسان، هي مجموعة المؤثرات الخارجية الي بتعرضلها يعني عندك الي بتتأثر فيهم نفس عمرك الزمني وبكبروا معك فش مؤثرات جديدة. يعني الي بكبر معك الماضي احنا لما نقعد نتخرف في السجن بنحكي عن

الماضي وايش كان يصير معك في الجامعة قبل أكم سنة يعني احنا بنحكي عن الماضي، فالبنية النفسية ثابتة نفسياً ما اتطورناش. يعني]اسم أسير معروف[كان عمره ٥٠ سنة لما كانوا يعملولوا زيارة كان يحكي دخلولي بلايز وهيك يعني هو انحبس وعمره ٢٤ سنة بعني بعكس واحد عمره ٢٠ سنة ولا مرة بعكس انو عمره خمسين سنة استحاله، كمان بشكل اساسي هي التحايل على الذات من اجل استيعاب الواقع يعني انا لما اشوف حالي ابن ٢٠ سنة بدي أروح بعد ٢٠ سنة أنا بتحايل على الفترة هاي وبدي اتجاهلها واقول لا انا ماعتبرتوش ولما اطلع بره يعني انا ومجموعة تناقشنا مع بعض في فترة منقاربة طلعنا مش قادرين نلبس القميص والغرافتة مش قادرين نلبس بدله، يعني انا بلبس البدلة ٣ ساعات بحس حالي عملت اشي كبير يعني في قضايا بقدر اعتبر انو انا عمري ٤٠ سنة وانا معشتش ٢٠ سنه منهم انا ما بتقبل اني عشت ٤٠ سنه وهاي الفترة بتجاهلها فهي وسيلة من الدفاع عن الذات، عشان هيك التأثير الطبيعي الي بفهمهاش غلط بقول انا صار عمري اربعين سنة بس اجتماعيا ونفسياً انا عمري هسا ٢٤-٢٥ سنة لانه فش تطور نفسي هناك عنا حتى المعارف والخبرات حتى لما تروح برا النظريات الي تعلمتها بدك تطبقها في الحياة بكون اشي بعيد عن الواقع، يعني انا اول ما روحت كنت ادرس في الجامعة العبرية كنت أكتب كل اشي بالعبري بكتبش عربي ولما اشتغلت في الحوار كانت مقالات عبرية فلما روحت من السجن روحت ظليت احكي عادي مع الناس واحكي اشياء عبري فالناس يستغربوا انو هاذ مروح من السجن كيف بحكي عبري؟؟ انا مش قصدي أحكي عبري بس الناس مرتبطة بالفروق الي كانت فمثلا هاذي اتجاوزتها وبطلت احكي كلمات عبرية لانه في السجن كنت احكي عبري عادي وبعتبروا الي بحكي عبري انه مميز وبعرف يتواصل مع الاخر وبقدر يطالب بحقوق السجناء واشياء هيك بس في اشكاليه انه جوا لازم تحكي تتعلم عبري ولازم تحكي عبري بس برا مش مسموحلك تحكي عبري." (ي.غ، مقابلة خاصة بالرسالة).

محاولة معرف العدو والتواصل معه جزء من أستراتيجيات التكيف والمقاومة، ولكنها تمثل جزءاً من خداع الذات عبر التهرب من علاقة السيطرة والهيمنة (بوكاي، ٢٠٠٦). هذا الخداع

يمكن أن يتمثل في الرغبة في الاستكمال من لحظة ما قبل السجن، دون المرور بحمولة التجربة المعاشة، أي العيش وفقاً للزمن المتخيل.

الحنين بعد الفراق:

ذكرت في أقسام سابقة أن هناك حنينية معينة لفترات داخل الأسر منها العلاقات الفصائلية، والتربية التنظيمية، ولكن هنا نجد أن استرجاع فترة السجن هي محاولة للهروب من الواقع الصعب الذي يعيشه الأسير المحرر بعد عودته للحياة العادية

"وكل ما قربت فترة الترويحة بتقرب، بس هذا الزمان بنتهي، هذا الزمان محدود بالسجن، أنا متأكد إنه إنتا كشخص لما بتجهز حالك كحالة وعي وبتجهز حالك كمسجون لما إنتا بتخرج بتكون مجهز حالك من كل النواحي، نفسيا من حالة وعي ومن ناحية برامج ومن ناحية.. إنك تخرج من هذا الزمان وهذا المكان تماماً، وإن مكانتش تجربتك كثير جيدة عشان تحافظ على أجزاء منها، لاحظ بعد ما تنتهي وبعد ما تبلش تعيش برا، بتفصيلياته وبأرقه وبإشكالياته بتبلش تشعر قديش كان في راحة جوا. يعني لاحقا ممكن تشعر بالحنين لهذا الزمن بحكم ضغط الخارج ومسؤولياته، ومحاولة استرجاع، فإنتا بتسترجعها بالطريقة المريحة، إنتا بتسترجعها كجزء من حالة راحة، يعني إنتا تعبت وبدك تتريح وفي السجن كان في حالة راحة يعني إنتا مش مطلوب منك... يعني إنتا الصبح بتضحى بتعرف إنو فطورك بدو يكون موجود، فش حدا قبل ما تطلع على الشغل لا بده يطلب منك ؟؟؟ ولا تصير معك مشكلة هان ولا مشكلة هان، يومك واضح كيف أموره، بتصفي مثل ما حكيت بتسترجعها كحالة حنين للراحة يعني بعد ما تزيد مسؤولياتك برا." (م.ع، مقابلة خاصة بالرسالة)

استرجاع للحظات الأسر لتجاوز لحظات الحرية هي أحدى مفارقات تجربة الأسرى.

وعندما يناقش هذا في الصورة المتخيلة للقومية، يتضح إمكانية صحته "ماذا لو كان الطبيعي، الحقيقي، والدقيق تاريخياً، لا يضمن شعور التفاني أو الحب، وماذا لو كانت الموضوعية،

والنظرة الواقعية سوف تؤدي فقط إلى زوال الهوية" (Chaktrabarty, ٢٠٠٠: ١٤٩). تصبح إسقاط هذه المقولة النظرية على الأسرى – كمجتمع يتعامل مع صور متخيلة تتجاهل الواقع والموضوعية من أجل الحفاظ على الهوية المميزة.

في رفض التماهي مع السجن:

بعض الأسرى يرفضوا التماهي مع تجربة الأسر والسجن، ويتعاملوا مع كل فترة على حدا

"أنا بروح من السجن، بستغرب بعض المرات بقلك اللي بروح من السجن بقوم على العدد أو حالة التماهي مع مكان السجن والنظام اللي فيه وكإنك صفيت جزء منه، أنا بشوف إنه هذه مبالغ فيه، أو حالة تفخيم لجزء من التجربة اللي مر فيها الشخص من معاناة، أنا مش شايف في الموضوع شيء من هالنوع، يعني إنتا مجرد خروجك من السجن حالة النشوة اللي بتعيشها بتنسيك كل المعاناة اللي كانت موجودة وكل الشخصيات اللي كانت موجودة، لدرجة إنو إنتا ممكن تكون عايش عشرين سنة عندك استعداد متقمش الصبح عالعدد، واللي بقلك إنه بقوم الصبح عالعدد مش صحيح، يعني عادي بشكل طبيعي، وبتشعرش إنه إنتا تماهيت مع المكان لدرجة إنو إنتا نقلته للبيت، لأ البيت بظل بيت والسجن بظل سجن. وهذه الحالة مش حالة طبيعية، ممكن أي شخص في الدنيا يتناسى فيها إنه بسجن وعايش وضع طبيعي. ولا كان البشر خلص ماشي ليش اللي إله ٢٠ و٢٥ و٢٧ سنة شو بده بالحرية، إيش مبررات الحرية بالنسبة إله؟ السجن مكان طارئ وراح يظل طارئ وراح تظل كل الأشياء اللي فيه طارئة، وأول ما تخرج، أنا متأكد، على بوابة السجن بترميها كلها عنك، ولما تنام في الدار بتنام في الدار." (م.ع، مقابلة خاصة بالرسالة)

ويبدو أن هذا التحليل مرتبط بعمق التجربة والوعي، فنجد أن عمر الأسير، أو طول المدة الزمنية أو تأثيرات أخرى قد تنحت لدى الأسير تأثيرات مستدامة تصبح جزء من شخصيته، كما عبر معظم الأسرى، وأن اختلفت نوعية هذه التأثيرات.

عادات صغيرة:

نظامية السجن، ووجود عادات محددة تبقى مع الأسير بعد خروجه، وتكتسب طابعاً يومياً نظامياً يلتزم الأسير به، كما ذكرت في عادة وقت الاستيقاظ

"فانا كنت اختلف عما كان معي، فأريد كل شيء مرتب، لا أريد أشياء متسخة، لا أحب الفوضى، وهذا ما نكتسبه من السجن، ففي السجن عندما يأتي العدد الصباحي يجب أن يكون سريرك مرتب، فإلى الآن عندما استيقظ صباحا أول عمل أقوم به هو ترتيب السرير، فمن المستحيل أن أخرج من البيت دون ترتيب السرير والغرفة، أو ألا أقوم بجلي الكأس الذي قد شربت فيه القهوة، وهذا له علاقة بالسجن،" (ع.ي، مقابلة خاصة بالرسالة).

اكتساب ملامح جسدية أحد التأثيرات المستدامة للسجن، وغالباً ما تنحى سلبياً، بحيث تؤثر سلباً على صحة الأسير وشكله داخل الأسر رغم وجود تفاوتات فردية بين الأسرى بحكم التجربة والمدة

"بالسجن كان عنا واحد سجين لمدة ١٦ سنة فكان بس بالسنة الأخيرة من الـ ١٦ سنة وهو موجود عنا، وفي كمان بنفس الغرفة غرفة بتوسع ٢ بس، فهم جايبينهم بس هاي السنة عشان يوكل مع بعض ويروحوا. وكان في سجين ثاني عشر سنين في السنة الأخيرة كمان. ف إللي كان بقضي عشر سنين كان في فروقات فردية كانت تبين قديش التحمل، فكان كثير يلعب معنا ويضحك معنا، فكنا نحبه أكثر من هذاك. فيوم بحكي معه بقوله إنتي يا أبو كايد دايما مكشر فليش يعني، شكلك بتحبناش. فهو قال لأ أنا مصيبتي نسيت كيف إنك بتضحك؟!" (أ.أ، مقابلة خاصة بالرسالة)

فقدان القدرة بل ونسيان الضحك لأسير أمضى ستة عشر عاماً في الأسر في حياة من الجدية نراها من منظور أسير طفل.

تأهيل الأسرى:

التعامل مع الأسرى ضمن فهم أنهم عانوا كونهم أسروا لفترات متفاوتة وبحاجة إلى التأهيل في جوانب محددة، يدخل الأسر والنضال في مساحة نقاش مختلفة، وقد تكون حساسة لهم على الأقل ضمن نظرتهم أنه مناضلين وليسوا "مرضى"، ولكن بعض الأسرى أكدوا في المقابلات التي أجريت معهم أن التعامل مع الأسرى يجب أن يتم من منظور إنساني، بما يعني التعامل مع الأسر كعامل مؤثر على الأسرى سلباً وإيجاباً

"الاغتراب رفض الأسرى لفكرة إنو هم مجموعة من الناس بحاجة لتأهيل، وهذا حقيقة، إنتو بحاجة لتأهيل، مستوى التأهيل مختلف من حدا كان عنده تشك صدمة ومش قادر يستوعب ولا إشي ولحدا قضى سنة وطلع... أنا برأيي كل السجون بحاجة لتأهيل إحنا عنا مفهوم سلبي لمجتمعنا بس أنا برأيي ان كان مبين انو بلزم كل واحد بدو تأهيل وهذا التأهيل إنو في البعض والبعض القليل جداً إنو قدر يأهل حاله من حاله بتعرفه على نفسه ويتصالح مع نفسه وإنو يساوي سجن داخلي، والأغلبية لأ ما قدرت تعمل هذا التأهيل بسبب إنه الغربة الأولى ما تصالحت إنت معها في عشر سنين من حياتك إنت قضيتهن في زمان ومكان معين رفضتهن بدك تتصالح معهن بدك تحكي عنهن." (أ.أ، مقابلة خاصة بالرسالة)

التصالح مع الذات وتأهيل الأسرى من حيث وجود معاناة تحتاج لمساعدة قد تكون أحياناً متخصصة، وأحياناً عامة من خلال رواية التجربة، والتعاطي مع مشاكل الأسر، كجزء من التعاطي مع التجربة برمتها. وضمن هذا السياق قامت وزارة الأسرى بإعداد وتنفيذ برنامج لتأهيل الأسرى المحررين، واكتسب طابع التأهيل التعليمي والاقتصادي، دون التعاطي مع القضايا الاجتماعية والنفسية والسلوكية الناتجة عن الأسر، وبالطبع نرى جزءاً منها في هذه الرسالة.

خلاصة:

هذا الفصل، وهو الأطول في الرسالة، يتناول خلاصة تجربة الأسرى المبحوثين في هذه الرسالة، وموقفهم تجاه القضايا المطروحة في الرسالة. وهذا الفصل يقسم إلى خمسة أقسام. القسم الأول ويتناول السجن وأبعاده وتعريف السجن من خلال تقديم وتحليل مواقف الأسرى المبحوثين، ليصل إلى استنتاج مفاده أن الحركة الأسيرة كمجموع وأفراد تدرك وظيفة/ وظائف السجن، وليضيفوا أنه مكان تفاعل اجتماعي قسري يوظف أيجاباً أو سلباً في فترة حياة الأسير/ الحركة الأسيرة. كما قدمت في هذا القسم الأبعاد المختلفة للسجن المادية والاجتماعية التي تشكل جزءاً من العقوبات المفروضة على الأسير، والمحاولة الواعية للتعاطي مع الأبعاد المختلفة.

القسم الثاني حاولت دراسة السجن كمكان وزمان، والجزء الأول من هذا القسم تناول السجن كمكان أو اللامكان، والتقسيمات المختلفة للمكان دخل السجن، مع وظائف هذه التقسيمات، من حيث وجود العزل بما يخدم منع التواصل، والفضاء المشترك لأسرى داخل الخيمة أو القسم، وآليات العمل المشترك للأسرى في الأقسام والخيم، والزنزانة ودورها في فترة التحقيق، بما تعنيه من استدعاء الذاكرة مقابل مقاربة النسيان، حيث أن الزنزانة مصممة لاستدعاء الذاكرة تمهيداً للاعتراف، بينما الأسير يريد أن ينسى كل التفاصيل. وأقدم بشكل مختصر المكان المتنقل "البوسطة" وهي أستمرار للأسر حتى في عربة متحركة تخضع لنفس التصميم والشروط، ومن ثم التقسيمات الهندسية، والملامح الهندسية الخاصة بالسجن، وأحلل اتصال السجن بالطبيعة المحيطة أو أنفصاله مكانياً عن ما يحيط به، من حيث هو إلغاء للأسير، ووضعه في مكان خاص تحدد به جميع شروط حياته.

الجزء الثاني قدمت به زمان السجن، وآليات الأسرى المختلفة للتعامل مع الزمان، من حيث أن يمر بسرعة أو أن يكون بطيئاً بما يثقل من وطأة الأسر، وناقشت اختلاف زمن التحقيق

وزمن العزل عن زمن الأسر "العادي" الذي يقضيه مع بقية الأسرى، لوجود "فردانية" عالية لهذا النوع من الزمن، وما يسببه من وحدة، وتبعاً لخصوصية زمن الأسر ناقشت مرور فصول السنة داخل الأسر، كما ناقشت مدى ارتباط المرحلة التاريخية للأسر مع التفاوت بالشعور بالزمن، مع وجود استنتاج أن هبوط الحركة الوطنية في مرحلة تاريخية ما يؤثر بشكل كبير على قدرة الأسرى سلبياً على التكيف مع العقوبة/الزمن، ثم ناقشت حركة الزمان داخل الأسر كحركة مرتبطة بمادية الأشياء وأفكار ومشاعر الأسرى، وأرتباطاً بهذا الشعور بفقدان زمن الإنجاز الشخصي متمثلاً بالحرمان من التعليم والتطور الشخصي للأسير نتيجة العقوبة/الأسر، وصولاً إلى زمن الانتظار وهو تفصيل داخل زمن الأسر يختلف حكماً بسبب أرتباطه بانتظار حدث ما، ولحظة الحرية الفاصلة ما بين الأسر والحرية/ المستقبل، وحجم الدفعات العاطفية والفكرية التي تحملها هذه اللحظة.

القسم الثالث خصصت هذا القسم إلى الأسيرات والاعتقال، رغم قناعتي بأن الأسيرات جزء عضوي من الحركة الأسيرة، إلا أن هناك خصوصية لظروف اعتقالهن، فقمت بتناول الزمن والمكان للأسيرات داخل الأسر، وكذلك تضامن الأسيرات فيما بينهن كحالة نضالية مشتركة لأخذ الحرية، وكذلك تناولت التمثيل الاعتقالي للأسيرات.

القسم الرابع تناول تأثيرات السجن على الأسرى داخل الأسر وخارجه، فتناولت وقدمت مصطلح "الوعي المسجون" وعلاقة الأسر بتطوير وعي الأسير/الأسرى، والسلوكيات التي تبرز داخل السجن من قبل الأسرى، واكتساب عادات محددة نتيجة الأسر لم تكن لدى الأسير بالسابق، وناقشت تعويض الحرمان، وهو جانب مسكون عنه في تجربة الحركة الأسيرة، وتناولتها من الجانب الإنساني لاحتياجات أساسية للإنسان، وكذلك الحرمان من ممارسة عادات يومية، وتناولت التأثيرات الاجتماعية التربوية التي يتأثر بها الأسرى داخل تجربة

الأسر، سلباً وأيجاباً، أما عنوان تضادية الحركة/ وحدى الهدف يناقش أن الاحتلال والحركة الأسيرة مارسوا نفس القمع على الأسرى لأهداف مختلفة، والتأثيرات المختلفة لقمع الحركة الأسيرة لأفرادها وعناصرها، كما تناولت التأثيرات المكانية على الأسرى، والمرتبطة بتكوين عادات وسلوكيات محددة أرتباطاً بالوجود في المكان/ السجن، وكذلك التأثيرات الزمانية المرتبطة بعادات لها علاقة بالوقت والزمن خارج الأسر، كما ناقشت فكرة الحنين خارج الأسر للسجن، مقابل رفض التماهي مع السجن وتجربته، والخلاص من هذه الحمولة من التجربة.

الفصل الخامس: قضايا وعبر، واستنتاجات ختامية

التأثيرات المستقبلية على النضال:

شل قدرة المناضلين والأسرى على الفعل الوطني داخل الأسر وخارجه، وجعل العقاب داخل السجن عبرة للآخرين جزء من الهدف العام للأسر

"تفريغ المناضلين من محتواهم الوطني، اتعابهم نفسياً، جعلهم عالة على المجتمع. عقاب المناضلين، حيث أن بعضهم يقول "لا أريد أن أسجن مرة أخرى" ليس لديه القدرة على النضال مرة أخرى، أي أننا تركنا لهم فلسطين. (س.ر، مقابلة خاصة بالرسالة)

ويعني هنا التسليم بعدم القدرة، التعب من التواصل مع النضال، وإذا قدرنا أن الأسرى هم طليعة نضال الحركة الوطنية، وعند ضرب هذه الطليعة فأنه حتماً سيؤثر بشكل كبير على حجم النضال الوطني ضد الاحتلال.

التحولات التي طرأت على الحركة الأسيرة، وقدرتها على النضال من داخل الأسر، ارتبط جزء منه بالوضع الوطني العام بالخارج، ونوعية الأسرى الذين انضموا للحركة الأسيرة كما رأينا في أجزاء سابقة من الرسالة، وتحديداً مفاصل تاريخية مهمة

"الأسرى قاوموا تفريغ الأسير من محتواه ولم يعطوا فرصة للاحتلال من تفرغهم من محتواهم. السجن مدرسة ثورية، بصراحة السجن حالياً ليس مثل فترة الثمانينات، وأنا شخصياً لا أستطيع أن أفهم لماذا، هل الناس قد تغيرت؟ هل لم يبقَ لدينا أناس ثوريين؟ هل سياسة السجن تغيرت وأعطت أشياء للأسرى ليشغلوا أنفسهم بها مثل البلفونات والكفتيريا وأمور أخرى كثيرة موفرة، طبيعة اهتمامات الأسرى الآن تختلف عن طبيعتها في السابق، فالبلفونات اليوم تدخل والكل يعرف ذلك، أن

هناك بلفونات والأسرى يتصلون منها، معظم وقت الأسير الآن في الاتصال وتضيع الوقت والتسلية. لكن سابقاً لم يكن هناك بلفونات. كان الكتاب ونشرة الأخبار الشيء الوحيد الموجود للأسير." (س.ر، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى أن التحول من السجن كمدرسة ثورية كشعار في الثمانينيات بحكم تحول اهتمامات الأسرى أنفسهم، فتساءل الأسيرة عن تغير نوعية المناضلين، مترافقاً مع تغير سياسة إدارة السجن، قد اعطت ثمارها بعدم وجود حركة أسيرة قوية مثل السابق.

ولكن التراجع أرتبط أيضاً بوجود تحولات داخل الثقافة السياسية الفلسطينية، وبعض النخب المسيطرة عليها، والمنتجة لها على حد سواء "يمكن القول أن نزعات التَمَلُّك الخاص لجماعي تضحيات نضال الحرية، يقود لفصل هذه التضحيات عن هدف باذليها مِن المناضلين، أي تحويل هذه التضحيات مِن نبضٍ إنساني حي، سُكِبَ طوعا لتجسيد الحرية ونيلها، إلى سلعة مملوكة مُستخدمة، وصنم غريب، وقوة مسيطرة، تتجلى ضد مناضلي الحرية في صورةِ سلطة سياسية قاهرةٍ "يملكها" مَن أدار جهود هؤلاء المناضلين باستعماليةٍ بائسة. وفي هذا اغتراب لجهود مناضلي الحرية، ونتيجة منطقية للتسليع السياسي في حركات التحرر. ويحيل التسليع كسلوك سياسي في حركات التحرر الى ثقافةٍ سياسيةٍ قاصرةٍ عن الحرية وارتباطاتها." (جرادات، د.ت).

إن الاستعمالية البائسة التي يصفها جرادات مترافقة مع الصراع في الإطار الفلسطيني يمكن أن يفسر اغتراب النضال عن وعي المناضلين بحيث يصبح "سلعة" وطنية قابلة للتداول "إن إنبثاق إنتفاضة الأقصى كان نتيجة لتطور العلاقات داخل الفضاء الفلسطيني، ذلك لأن إنتفاضة الفلسطينيين في مواجهة الإسرائيليين لا يمكن فصلها عن قصة الفلسطينيين في

مواجهة ذاتهم" (بوكاي، ٢٠٠٦: ٢٨)، رغم أن ما وصفته بأنه تطور العلاقات يحدد بأنه وجود ثقافة سياسية فلسطينية رسمية تحاول أن تهيمن على الثقافة الفلسطينية، وتعيد تشكيلها بما ينتج جيل جديد من الفلسطينيين.

التراجع من قبل الحركة الأسيرة تم إدراكه من قبل الاحتلال حيث عمل على قهر الحركة من خلال سحب الامتيازات التي تم تحقيقها، ونرى هذا التراجع في تحليل أسير سابق لواقع الحركة الأسيرة، وتحديداً في معتقل عسقلان

"في إطار السعي الدائم والمستمر من قبل إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية، لمواجهة الحركة الأسيرة الفلسطينية، فهي تجهد في ابداع واختراع الوسائل والإجراءات العقابية، ...كل ذلك بهدف النيل من معنويات الأسرى الفلسطينيين، والضغط عليهم والعمل على كسر إرادتهم وتفتيت وحدتهم، وبما يضمن تحويل السجون الإسرائيلية الى مقابر للأسرى الفلسطينيين، وليس قلاع للنضال والعمل الحزبي والثقافي والتنظيمي هذا من جهة، ومن جهة أخرى ولتحقيق هذه الغاية والغايات الأخرى، والمتمثلة في منع التواصل والتنسيق بين الأسرى الفلسطينيين، ليس على مستوى السجون عامة، بل وفي إطار وداخل السجن الواحد، وحتى تتمكن إدارات السجون الإسرائيلية، من قمع وتفتيت وتشتيت أي جهد نضالي داخل السجون، .. وبغرض فرض شروط وإجراءات عقابية إضافية عليهم، أو محاولة كسر وإجهاض أي خطوة نضالية،... مستغلة حالة الضعف العامة، التي يمر فيها الوضع الفلسطيني، وما يترتب على ذلك من انعكاسات وتداعيات سلبية على أوضاع الحركة الأسيرة الفلسطينية، وفي إطار وسياق التوضيح، لو أخذنا سجن عسقلان نموذجاً، ... والذي يتسع لحوالي ٦٠٠ معتقل أمني، ومكون من الأقسام ١ و٢ و٣ و٤ و٨ و١١ و١٢، ناهيك عن قسم التحقيق وزنازين العزل، فهذا السجن بكل مرافقه من مطبخ ومغسله ومحلقة ومكتبة وغيرها، كان يدار من قبل الأسرى الأمنيين أنفسهم، وكان هناك تواصل بين كل أقسام السجن ليس فقط من خلال ممثل

المعتقل واللجنة الوطنية، والذين كانوا يستطيعون التنقل بين أقسام السجن المختلفة، بل من خلال الزيارات بين الأقسام المختلفة.. ناهيك عن الزيارات الداخلية بين غرف القسم الواحد، والتي كانت تتم بشكل يومي، ... حيث تم تفريغ قسم في مختلف السجون، ووضع فيه معتقلين مدنيين، بدل الأسرى الأمنيين (قسم ١١) في سجن عسقلان، وتم تسليمهم المطبخ والمغسلة، بدل الأسرى الأمنيين وعهد إليهم القيام أعمال الطبخ وإعداد الوجبات للأسرى الأمنيين، والقيام بغسل ملابسهم، وما يترتب على ذلك من سوء وقلة نظافة في إعداد الطعام، وترافق ذلك مع تخفيض في الحصص المخصصة للأسرى من وجبات وعدم التنويع،" (عبيدات، ٢٠٠٨). يتضح حجم التراجع للحركة الأسيرة واستغلال هذا التراجع من قبل إدارات سجون الاحتلال للانقضاض على منجزات الأسرى، وتحديداً تلك ذات العلاقة بالحركة والحراك الداخلي، والقدرة على الاتصال والتنسيق بين الحركة الأسيرة.

المدة الزمنية للأسر لا ترتبط ضرورةَ بعودة الأسير للنضال مرة أخرى بعد خروجه من السجن

"أحيانا ممكن ناس تنحكم ٢٠ ومؤبد ولا تستفيد من التجربة وأحيانا ناس تنحكم سنة وسنتين وبتستفيد انه بده ياخد كل الي بقدر عليه واليوم بفكروا أنه امتى بدي اطلع وصار اكتر من عملية تبادل واحيانا يوم بقضوا ٣٠ سنه اجيال بتمر عليه بيجوا وبطلعوا بس يجب ان ننظر اليه كحقوق انسانيا، والي فاتوا اكتر من مرة في ناس نعم بستفيدوا وفي ناس بقولك لأ انا فاهم كل شي " (ر.ذ، مقابلة خاصة بالرسالة)

وعليه حجم الاستفادة من تجربة الأسر بالمعنى الشخصي والعام ليست مرتبطة بعدد الأعوام التي يقضيها الأسير داخل السجن، بقدر وعيه.

أسير سابق لديه فهم مختلف لسبب عدم معاودة الأسرى للنضال، أساساً بسبب الضغوطات

العالية من قبل الحركة الأسيرة عليهم

"الحركة الأسيرة بأعظم نضالاتها أجت وهي غير منظمة وعفوية، ولما بلشت تتنظم صارت تحسب مقاييس الربح والخسارة، عشان هيك آخر إضراب ماتحققش إشي، مش لأن الأفراد انكسروا، التنظيمات اللي انكسرت. الحركة الأسيرة، أنا بستوعب إنك تقدم برامج تتناسب مع البشر، إذا عندك إشي بتقدر تقدمه للبشر قدمه، مش يكون على شكل فرض ومش يكون على شكل فوضى، يعني الحركة الاسيرة ما قدرت تمشي بهذا الخط الرفيع اللي تحافظ على ثورية الثائر وعلى وضع التنظيم إنه ميتحولش إلى فوضى، ما قدرت تمشي على الخط هذا، في ٦٠٪ من الأحيان أو في ٩٠٪ من الأحيان أو ٩٩٪ من الأحيان مقدرتش تكون قادرة تمشي على الخط الرفيع هذا لأ، دايما انقمعت ثورية الثائر، بدليل إنه أي نضال/إضراب بتقوده الحركة الأسيرة، نضال منظم، وبتسوده حالة من التحشيد ووو الخ، معمرهاش القاعدة اللي فكت الإضراب، وبالتالي هاي القاعدة ... أنا مشفتش في كثير من الاضرابات وفي كثير من الخطوات، جموع المعتقلين؟؟؟؟ بالرغم إنه كثير من الخطوات كانت غلط، طيب إذا هذا المعتقل بمشي على خطوة غلط، في كثير من الأحيان كان يصير في خطوات ويكونوا غالبية المعتقلين ومن جميع الفصائل مجمعين بإنه هذه الخطوة مش في مكانها ومش صحيحة، بس كانوا ينفذوها، وشو بجبرك إنتا كثائر إنك تنفذ خطوة إنتا مقتنع فيها والمجموع مقتنع فيها إنها والله غلط شو اللي بجبرك، هسا مش إنتا كفرد، لو إنتا كفرد ممكن ما تكسرها، والمجموع كله مجتمع وبقولوا إنه هذا الحديث غلط، معناتو إنتا ما استفدتش إشي من الناس، إنتا بنفس المنطق أو بنفس الثقافة اللي أسسوا فيها منظمة التحرير إنتا أسست لثقافة فردية أو لثقافة القائد إللي هو بنطق والآخرين بصدقوا وهو اللي بفكر عن الناس والناس مجرد أدوات بتتحرك لرغبة القائد." (م.ع، مقابلة خاصة بالرسالة)

قمع ثورية الأسرى، ووجود ثقافة الجماعة على حساب المجموع حتى لو كانت الثقافة خاطئة تؤدي إلى وجود قيادة غير ممثلة لتطلعات الحركة الأسيرة، مما يؤدي إلى خسارتها للكثير

من خطواتها النضالية.

الخسارة لا تقتصر على الخطوات النضالية بل تمت إلى وجود ثقافة لقمع الأسرى عبر محاولة تنظيمهم ضد الاحتلال

"غير هيك فش إشي، هذه الثقافة موجودة برا، وهذه الثقافة الموجودة عند التنظيمات جوا وهذه الثقافة بتساهم وبتتقاطع بنفس الاحتلال كيف بقمع الناس، هلا فش عنا حكم الاعدام، وبالتالي السجن بصفي أداة، أداة للتطويع، بتحاول من خلالها الناس اللي بصفي عندهم نفس ثوري اتطوعهم بحيث إنه أو تذلهم من خلال السجن بدك تظلك برا بدك بدك بدك الخ... هلا السجن مش دائما بدجن كسلوكيات، لأ التنظيمات اللي بتدجن أنا مقتنع تماماً إنه التنظيمات بتمارس من خلال برامجها أو من خلال أدواتها التنظيمية بالسجن دور خليني أحكي "شديد"، والدور يعني اللي بطلبه الاحتلال، هلا ممكن بترفع مستوى وممكن يستفيد واحد وممكن يستفيد عشرة وممكن مية، بس إنتا بتحكي عن عشرات الآلاف أو مئات الآلاف في الثورة الفلسطينية انسجنوا على أيدي الاحتلال ومش كلهم زي ما بجكوا طلعوا مناضلين، وأنا بقللك ٩٠٪ من اللي بطلعوا من السجن برجعوش على النضال، يعني من ال ٨٥ قديش طلعوا ناس، أكم واحد منهم رجع على السجن- إذا بدك تيجي تحسب- فش مش كثير. طيب وين دور البرنامج اللي سوته التنظيمات؟ مش هو برنامج تعبوي عشان يحافظه على الهاد؟ طيب إنتا برأيك قديش مرّ على السجون؟ حوالي ٧٠٠ ألف فلسطيني. طيب قديش برأيك اليوم بناضل من الفلسطينيين؟ يعني كناضل خلينا نقول يعني كناضل ابن تنظيمات، مش اللي بقول أنا جبهة شعبية أو ابن فتح أو ابن حماس، قديش بناضل وجزء من أداة تنظيمة؟ أه جزء قليل مزبوط. طيب هال ٧٠٠ ألف كانوا جزء من الحالة مش كل الحالة، لأنه مش كل التنظيمات انضربت عن بكرة أبيها، طيب هال ٧٠٠ ألف اللي تعرضوا للبرنامج التنظيمي العنيف في السجن، هالبرنامج التعبوي والتحشيدي، وين هم لما طلعوا؟؟ (م.ع، مقابلة خاصة بالرسالة)

عدم العودة للنضال من العدد الكبير من الأسرى أو حتى العودة للنضال من خارج التنظيمات الفلسطينية لمقاربة الدور التطويعي لبرنامج الحركة الأسيرة بما يلغي من استعدادية الأسرى للنضال مرة أخرى.

يستكمل الأسير

"اللي بصير كالتالي، إنتا بتروح من السجن، إنتا تعودت على التطويع، اتطوعت، اتدجنت. للاحتلال أو غير الاحتلال التدجين تدجين بغض النظر لمين، للاحتلال للسلطة للأجهزة الأمنية للتنظيم، إنتا اتطوعت فعلياً، خلص تم تدجينك بشكل صحيح، وبالتالي بطل الموضوع يفرق. إنتا اتطوعت تم تدجينك، وتم في كثير من الحالات، رفع مستوى الوعي الثقافي خلينا نحكي، بحيث صرت تشوف الحالة مختلفة. هلا رفع مستوى الثقافة مع التدجين بطل ينتج ثائر، صار ينتج شخص بقيس الموضوع المعادلة واحد زائد واحد بساوي وشو بدي بوجع هالبال، هذا اللي صار يسويه السجن. أنا بطلع مستواي الثقافي منيح، بدرس الحالة بشوف طبعيتها والوضع الفلسطينية وين رايحيين ووين جايين بشوف مدى أهمية هالتنظيمات، مدى أهمية القيادة الموجودة، مدى إصرارها مدى تقدمها مدى مدى الخ، ومن خلال جملة، خلينا نحكي، مثلا من خلال مبنى من المفاهيم اللي أنا تعلمتها ببرر الحالة، ببرر حالتي، بقول كالتالي: الوطن مفهوم رجعي، الانتماء بطل انتماء اقليمي أو انتماء وطني، أنا بنتمي للمكان اللي بقدر أحقق فيه أمانيي وأحلامي، وهذا ممكن يشكل حالة انتماء. هلا إيش هو الانتماء، يعني أنا مثلاً بقدر أطلع على أي محل في الدنيا وأشكل أكم صاحب وأكم دنيا وأحقق فيه أحلامي، هناك بكون وطني إن شا الله زمبابوي شو المشكلة؟! مهو أنا صار عندي شوية كلمات بقدر ألعب فيها، وفعليا اتدجنت إنه بطل عندي استعداد إنه أعاود أعيد نفس المعاناة كمان مرة، بس أنا بطلع من الحالة هاي أو ببعد. هلا ممكن أنشد في بداية خروجي وأحكي عن مفاهيم ثورية عالية، بس كل ما أبعدت الفترة كل ما هاي المفاهيم صغرت شوي شوي وصفت بس شعار، يعني أنا بشوف إنه الفائدة الوحيدة اللي بستفيدها المعتقل في السجن من البرامج التنظيمة هي شوية شعارات؟؟؟ برددها

أول شهرين لما يروح من السجن بعدين ببلش يلامس الحالة الحقيقية ويقدر الأمور بشكل صح وبقلك أنا ليش أثور على الواقع؟ هاي فلان قاعد هاي فلان عاش هاي فلان عنده سيارة اشتغل، وهاي فلان عنده كذا وفلان عنده كذا، بتوصل للمنطق هذا، هو بطبيعته بطل ثائر، هو اتدجن صحيح، صار عنده القدرة إنه يصبر على الهذا." (م.ع، مقابلة خاصة بالرسالة)

يستطرد الأسير بالتحليل أن رفع المستوى الثقافي إذا ما اقترن بالتطويع من قبل التنظيم أو الاحتلال سينتج شخص عاجز عن النضال، وبنفس الوقت قادر على تبرير مدى مساهمته من عدمها في هذا النضال من خلال منظومة من الجمل الفكرية غير المرتبطة بالواقع الثوري، وهو ما يستحق التأمل في ظل التراجع الحاد للمساهمة في النضال.

ويوضح الأسير أن هناك عودة لكثير من المناضلين للسجون بسبب صعوبة وظرف الملف "الأمني" الخاص بهم، وليس بحكم مشاركتهم مرة أخرى في مظاهر نضالية

"في ناس كثير بترجعش على السجن عشان رجعت على النضال، بترجع على السجن بحكم ملفها وهذا يعني زي ما تقول، خلينا نحكي حالات كبيرة في السجون مش انسجنوا نتيجة إنه الزلمة والله ناضل، ملفه برجعه بس. وهذا الملف بظل موجود عندك، وكل ما احتاج الاحتلال لعدد كبير من المعتقلين بجيبك بغض النظر ناضلت ولا مناضلتش، بجيبك عشان يعاقبك، إنتا شخص مسموح إنه يتم معاقبتك لأنه عندك ماضي أمني، مفش عندهم مشكلة بجيبوك وما حدا بحاسبهم، الموضوع مش مرتبط بحالة نضال دايما، يعني في جزء كبير من الناس انا متأكد وكنت موجود، مكنش إله دخل في أي إشي بالدنيا، وكان مبعد، يعني على سبيل المثال أنا بذكر حالة شب من الفوار طالع دورة عسكرية على كوبا في ال ٩٢ على نفس السبب بالرغم إنه أجا من كوبا وما تدخلش حتى في التنظيم وما تدخلش بالموضوع، رجع ما إلوش دخل في إشي بس انكشفت قصته، وكان ٦-٧ مرات معتقل على نفس القضية بالرغم إنه التنظيمين مالهمش دخل، مالهمش دخل بالمطلق يعني، فهذه واحدة

من الحالات اللي ممكن تعتبرها وكثير برجعوا بس لأنه عندهم ملف، هذا الملف بأهلهم إنهم يكونوا مسجونين، يعني مسموح للاحتلال إنه يعتقلهم على اعتبار إنه يكون عنده ملف أمني بنظروش لوجوب الأسر، وهلا الإجراءات القانونية مهي أسهل، لما يكون عنده ملف ما بستصعبوا إصدار قرار باعتقالك، يعني مسؤول المنطقة بقدر يعتقلك بجلسة، في أسهل مما إنتا تقعد جلسة مع ضابط المخابرات وبتظهر فيها نوع من السلط وعدم التجاوب وفيها نوع من هذا إنه يصدر قرار باعتقالك في حينه؟ يعني الموضوع مش صعب، وبالتالي في كثير ناس كانت راجعة بدون ؟؟؟ مالهاش دخل."

(م.ع، مقابلة خاصة بالرسالة).

رغم أن التحليل السابق لموضوع النضال وتجدده بعد التحرر من الأسر فيه من السوادوية ما فيه، إلا أنه قائم على زاوية صحيحة لتوصيف وتحليل هذه الظاهرة، وإن كان ليس بكليتها، إلا أنه يشكل إضافة لفهم دور الحركة الأسيرة والتنظيمات الفلسطينية في إقصاء المناضلين عن النضال بحكم عوامل متعددة، وبالتالي تشكيل طبقة ثانية من الضغوط على الأسير فوق ضغط الاحتلال، وإذا ما اقترن هذا التحليل بسياقه التاريخي من تراجع الحركة الوطنية بعد توقيع اتفاقية أوسلو التسووية، نرى أنه فيه عناصر تحليل صحيحة وعلى صواب.

فهم الحركة الأسيرة للسجن كمكان وزمان:

يستدرك هذا الجزء من الرسالة الفهم العام المنظم من قبل مجموع الحركة الأسيرة لقضية الزمان والمكان داخل السجن، بمعنى تجاوز الهدف العام للسجن وعقابيته، والنظر إلى بعض مكونات وأبعاد هذا الأسر، ومنها قدرة الحركة الأسيرة على تحدي السجن كمكان وزمان، والتحدي هنا ليس القدرة الكاملة على التجاوز، بل على التعاطي الخلاق مع الواقع بما يبطل من هدف الاحتلال من ورائه.

أسيرة سابقة تحدد أن هناك أوجه فشل وأوجه نجاح في تجربة الحركة الأسيرة

"قتل الوقت كما قلت، أما المكان أضافوا أشياء للغرفة، مثلا الشباك مغلق فأضافوا زينه وغيروا شكل المكان. برأي أنهم تكيفوا مع المكان أكثر من المقاومة لأنهم لا يستطيعون مقاومة المكان ولكن الزمان كان مقاومة. (س.ر، مقابلة خاصة بالرسالة)

تحدد هذه الأسيرة أن كان هناك نجاحاً في مقاومة زمان الأسر، ولكن ليس المكان، فرغم وجود محاولات، فأن تأثيرات المكان تبقى موجودة.

بنفس المنحى تحدد أسيرة محررة علاقة الحركة الأسيرة مع الزمان والمكان

"الحركة الأسيرة أبدعت أحياناً بخلق الأجواء داخل السجن، كي تخفف من وطأة وقسوة السجن، فانا لم اشعر بالسنوات الخمس التي قضيتها داخل السجن على أنها ٥ سنين، بل أقل، حتى أنني كنت واضعة برنامج للقراءة لم استطع إكماله خلال تلك الفترة، فبعضهم قام بالضحك عليّ وسألني إذا كنت أريد أن تطول فترة بقائي في السجن لإكمالها. فيتعلق هذا الأمر كيف تسير حياتك وتدير حياتك داخل السجن، وإذا استسلم الأسير فمن الممكن أن يؤدي به الأسر إلى حالة نفسية صعبة أو إلى المرض وربما الجنون، أو الموت أحيانا داخل السجن. ولكن إذا تكيّف السجين نفسه ببرنامج معين يخرجه افتراضيا من الأسر، سيخفف من وطأة الزمان. أما المكان، فانا حاولت أن أقوم بزراعة الورد داخل السجن حيث قمت بزراعة وردة ياسمين، ولكن عندما كبرت الوردة قام السجّان بقصها كي لا تغير من شكل الجدار المرعب- الذي كان بين سجننا ومستشفى سجن الرملة للرجال، لكي لا يكون هناك تواصل معهم، وكان ارتفاعه ٥ أمتار- لنشتم رائحة جميلة غير رائحة السجن. فارتباط المرأة بالمكان لا اعرف إذا كان أقوي من ارتباط الرجل بالمكان. إذا قلت لك أنني قد أحببت السجن فأنا أكذب، وفيما إذا كنت أحن للسجن، فأنا أحن إلى الناس، إلى من كان معي داخل السجن، وأحن إلى العلاقات الصافية التي تخلو من المصلحة، لأننا كنا نعيش نفس الظروف، لا يوجد هناك مصلحة، لا أريد أن

أتوظف أو أن أوظف غيري... الخ. فطبيعة العلاقة داخل السجن بين الناس اقرب للصدق والشفافية منها خارج السجن. فخارج السجن تدخل ضمن العلاقات مصالح كثيرة، مصالح حزبية، مصالح فئوية، مصالح وظيفية، وأهل وعشيرة وبلد.... وأنا الآن خارج السجن اجلب أخبار من كان معي، ونفرح كثيرا عند تجمعنا مع بعضنا البعض." (ع.ي، مقابلة خاصة بالرسالة)

نجد أن التعامل مع الزمان واستثماره وتطويعه ليخدم الأسير والحركة الأسيرة من خلال مهمات مفيدة، ومنها برنامج للقراءة أو الدراسة الجامعية في بعض الحالات، قد أنشأ قدرة مقاومة عالية لدى الأسرى، ورغم محاولات بعض الأسرى تغيير المكان بحيث يصبح لهم إلا أنهم فشلوا كما نرى في تجربة زراعة الورد أو غيرها. القضية تنشأ إذاً حول قدرة العلاقات الإنسانية والاجتماعية على مقاومة البنية الاحتلالية للسجن وتعبيراتها المختلفة، فنرى أن هناك استرجاع ايجابي للعلاقات بين الأسيرات والأسرى في فترات معينة، على خلاف الحياة العادية التي تملؤها المصالح المختلفة.

أسيرة محررة تقول أن الحركة الأسيرة الوحيدة في العالم التي تخطت السجن كمكان وزمان، وتحديداً في حالة العزل، من خلال تجاوز هدف السجان

"الحركة الأسيرة في مجتمعنا الفلسطيني ويمكن نعمل دراسة بالعالم عن هذا الموضوع همه الوحيدين اللذين تخطوا المكان والزمان وخاصة موضوع العزل المطلوب منه موت أعصاب اللسان والسمع والبصر، أنا باعتقادي انه الحركة الأسيرة تخطت هذا الموضوع وممكن ما تصدقني بس أنه تشوف دولة قامت ما عندها أي مشكلة مش في محكومين مؤبد الهم الوطني هو الهم العام وليس الشخصي نعم مرات بتمر بظروف شخصية بس همه الشخصي هو الهم الوطني العام" (ر.ذ، مقابلة خاصة بالرسالة)

وذلك بالتحضير المسبق للأسرى وتحديداً الناشطين منهم في التنظيمات، وتوعيتهم بمراحل

الاعتقال، والاستراتيجيات المستخدمة في كل مرحلة من قبل الاحتلال للضغط عليهم، وانتزاع اعترافاتهم، وتحويلهم إلى أسرى متقبلين لفكرة التعايش مع الاحتلال، لأنه لا مفر منه "قال كاميرون في أطروحة العام ١٩٦٠، إن ثمة "عاملين مهمين" يتحيان لنا "الحفاظ على إدراكنا الوقت والزمان"؛ أي بعبارات أخرى، أن نعرف أين نحن ومن نكون. تانك القوتان هما "أولاً، البيانات الحسية التي ترد إلينا باستمرار؛ ثانياً، ذاكرتنا". وقد ألغى كاميرون باستخدامه الصدمات الذاكرة. وباستخدامه حجرات العزل، ألغى دخول البيانات الحسية." (كلاين، ٢٠٠٩: ٥٩)، هذه الاستراتيجيات التي يمكن مقاربتها بصدمة الاعتقال واستخدام عدد كبير من الجنود من أجل إلغاء الذاكرة، أما العزل فهو متوفر بكثرة في حالة زنازين الاعتقال من أجل إلغاء الإدراك.

أسير محرر يستدرك ان هناك دور للحركة الأسيرة في إضافة تقسيمات هندسية للسجن

"في، يمكن هاي تأخذ البعد الفصائلي التي تلعب دور كبير في عزلك حتى عن محيطك الداخلي الاجتماعي للفصائل بدليل كبير انه لحد ١٩٨٩ حركة حماس كانت معزولة وحركة الإخوان أو الجماعات الإسلامية الأخرى.....هذا البعد كان قاسي نوع ما لأنه في كمان أشخاص يمكن يقول الهم انتماءات فكرية وسياسية مختلفة بس نتاج هذا التقسيم الفئوي الداخلي لاعتبارات منها سياسية منها متعلقة بموضوع الاستقطاب أو الاختلاف السياسي بين الإطراف عزلك حتى عن محيطك الاجتماعي إلي هو مفروض يكون طبيعي داخل السجن، فالتقسيمات الفئوية لعبت دور حتى كمان ما بعد هيك في عام ١٩٩١ دخلت الحركات الإسلامية على أقسام السجن بس في مراحل مختلفة بعد أوسلو صار في اختلافات وصار في عزل وصار في فصل وهذا لعب دور حتى انك في وضعك الداخلي ربما تشكل مساهمة غير مباشرة بتعزيز مسألة البعد الاجتماعي في مساهمة حتى كمان بتعزيز سياسية الاحتلال في هذا الجانب، يعني إحنا مارسنا على أنفسنا كمان." (ه.ج، مقابلة خاصة بالرسالة)

فصل بعض التنظيمات عن بعضها أدى لتعزيز الشعور بوجود انفصال اجتماعي بين الحركة

الأسيرة داخل الأسر، وأضاف تعقيدات على حياة الأسرى نتيجة هذا مساهمةً في إضفاء عوازل إضافية.

لكن حتى داخل بعض التنظيمات برزت تقسيمات معينة نتيجة التغير الحاصل على المجتمع الأم والفترة التاريخية المرتبطة بالنضال والسياسة

"وفي جزء منهم حاول يعكس تواجد الأجهزة الأمنية على تواجده في السجن، ال١٧ ١٧ في السجن، الوقائي وقائي وهكذا، يقسموا التنظيم، يعني هذا كان موجود عند فتح أكثر من التنظيمات الثانية، لأنه التنظيمات الثانية مكنش في إلها حضور في الأجهزة الأمنية، فحاولوا يعكسوا حالهم داخل السجون، فصار في السجون إنه بعض التنظيمات- إحنا مكناش نتعامل كجهة بشكل واضح- بس كان في تعامل بانقسام مناطقي وبتمثيلها التنظيمي ووضعها المركزي، والمجلس الثوري واللجنة المركزية، فكانوا يعملوها مناطقية ودخلت الأجهزة الأمنية عكست حالها كمان، صار عنده المناطقية وصار عندهم الأجهزة الأمنية بحضورها القوى صار من خلال عناصرها الموجودين داخل السجن، فعانت الناس."

(ي.غ، مقابلة خاصة بالرسالة)

معاناة الأسرى من وجود تمثيل خارجي انعكس سلباً على الأسر، نتيجة تجربة أسير عايش فترة الأسر ما قبل أوسلو وما بعد أوسلو.

وجود فوارق اجتماعية – اقتصادية داخل السجن وبين الأسرى نتيجة التأثيرات المجتمعية إحدى الظواهر السلبية التي تحدث عنها المبحوثين في المقابلات، وحاولوا من خلال استرجاع فترات أفضل للنضال الفلسطيني مقارنة بواقعه اليوم

"الحركة الأسيرة فهمت دور السجن، ولكن في النتائج العامة فشلت الحركة الأسيرة، لكن في النتائج المباشرة نجحت الحركة الأسيرة، بمعنى.. الحركة الأسيرة دخل فيها تقريباً ٧٥٠ ألف أسير للسجن

من ال٦٧ للحظة الراهنة، احنا ما عنا قيادة، إحنا عززنا ورسخنا الفؤية داخل الحركة الأسيرة، ما قدرنا نرتقي بالحركة الأسيرة للصحوة الاجتماعية عنا، .... هذا بدخل روثمنز وهذا نوبلس ومالبوروا، صار في فوارق اجتماعية ممكن التعبير عنها، طب وين دورك كان خلال ال ٢٠ ٣٠ سنة الماضية ضد الاحتلال، احنا قدرنا نحافظ على مجموع الناس ميسقطوش، هذا هدف نيبل، بس التحديات إنو فرض إرادته عليك، طول النهار في فراش تقعد عليه ممنوع، لما تحكي مع السجان تحكيله حاضر يا سيد." (ي.غ، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى أن وجود فوارق اجتماعية داخل الأسر قد أثر على التضامن الكلي للحركة الأسيرة، ويستكمل الأسير تحليله لمعرض التغيرات التي طرأت على الحركة الأسيرة بقوله

"المسألة هاي خلقت واقع فلسطيني جديد بالكامل، التنظيم الأكبر إنتا بتقرر الاعتقال، مكنش في حرية كبيرة للأفراد للتعبير عن ذاتهم، بالرغم إنهم ضمن الحركة الأسيرة، مثلا عند]اسم تنظيم[في ال ٨٩ أو ٩٠ في مجموعة صار عندهم توجهات جديدة طردوهم وأجوا عنا على عسقلان. بعض القوانين كانت مجحفة بحالة الأسرى، إنتا بتحط قانون عشان ٢-٣ وبتظلم بقية الأسرى، مثلاً ممنوع تتحمم بعد الساعة عشرة بالليل، مرة مسكو عميل بكتب تقرير بالحمام، هلا العميل بمنعوا الوقت إنه يكتب تقرير؟!! بعد ال ٩٨ صار عنا مراوح قبل ما كان عنا مراوح، كنت تتحمل شوب، بس ما تروح تقضي حاجتك... كان في تقسيم للحاجات بشكل خطأ. بعدين كان ممنوع تقرأ بعد ما نطفي الضو، في ناس كانت تقرأ عالشباك، في شوية ضي تدخل، ممكن تقرأ بس ممنوع تقرأ، إلا للمكلف تنظيمياً، يعني المسؤول عنده امتيازات تنظيمية. أخذوها من إسرائيل تحت حجة الأمن؟؟ ابتعاد عن القيم الجماعية، الادارة اشتغلت على الموضوع هذا، أعطت امتيازات، مسموحلك تلف على الأقسام، مسموحلك زيارات ليل ونهار." (ي.غ، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى أن جملة القوانين التنظيمية المفروضة كان العديد منها خاطئ، وفرض بسبب وجود فروقات فردية، ولم يراع فيه مصلحة المجموع، وهذا حسب تحليل أسير قضى فترات طويلة

مسؤولاً تنظيمياً للأسرى

"الحركة الأسيرة ماستقبلتش المسألة هاي بشكل جدي، فصار في مسافة، هذا مسؤول تنظيمي وهذا عنصر تنظيمي، حتى بالإجراءات العقابية وفترات الرخاء، المسؤول بتأخرش زي العنصر، المسؤول ممكن يصيح في ضابط ممكن يصيح في مدير وكذا، ويصير جدل. هذه التمايزات كان فيها خطأ بنيوي في الحركة الأسيرة وبعّبر عن ذاته لو في كان بناء صح لو صار أوسلو أو بعد أوسلو، الحالة اتمها مستمرة، بس بعد ال ٩٥ كان عنا اشي وهمي، إنه ما في عنا مؤتمرات ما عنا تثقيف ما عنا ما عنا ما عنا ما عنا... صارت المرحلة بالحسم بالمواقف الثورية انهارت المسألة هاي كلها، إذا في، إذا بتختلف مع حدا بالحركة الأسيرة، فكان عنا خلل بنيوي لتقدير هاي النتائج، عشان الواحد حول من تنظيم لتنظيم كان يصير طوش بين التنظيمات، أنا كنت جبهة شعبية وبدي أصير فتح، طيب إيش المشكلة؟ بتنهارش الجبهة الشعبية إذا واحد حول منها أو العكس، كانت التعبئة والتحريض إشي كبير بين التنظيمات، يعني إحنا بصراحة كنا نعبئ بشكل خاطئ عن التنظيمات، إحنا قدام الإدارة جسم واحد لكن إحنا داخلياً مشتتين، الاسلاميين قعدوا فترة طويلة معزولين لأنه الإسلام صفة خاصة فيهم ممنوع يحتكوا مع القوى الوطنية، إيش بيعني هذا؟ فكان لازم من اللجنة الوطنية إنها تعمل قرار بفصل بين الجبهة الشعبية وفتح،" (ي.غ، مقابلة خاصة بالرسالة)

الفصل بين الفصائل، مع وجود أخطاء في التربية التنظيمية، وامتيازات للمسؤولين التنظيميين على حساب العناصر أضعف من وحدة حال الحركة الأسيرة، وقدرتها على مواجهة مخططات إدارات السجون، وساهم في وجود تنافر منه وحدة حال.

النضال الجديد بعد الخروج من الأسر:

جزء من تعبيرات السجن قدرته على تغيير قناعات الأسرى، ومن هذه القناعات ترك ساحة النضال بعد الخروج من السجن، نتيجة الشعور بالتعب، أو أن الضريبة الشخصية قد دفعت وقد حان لغيري أن يدفعها، ويتبين هذا أن الأسرى هم طليعة الحركة الوطنية، وبالتالي التغيرات التي تنشأ على الحركة الأسيرة تصبح إطاراً منطقياً لفهم التحولات على مجمل الحركة الوطنية.

"حتى الذين دخلوا السجن مرة واحدة عادوا إلى النضال، فلو كنت أنا موجودة داخل فلسطين لسجنت أكثر من مرة، ويمكن أن تكون المرة الثانية أسهل من الأولى، فالمعرفة قوة، أي عندما يكون الشخص قد مر بتجربة التحقيق، فعندما رجعت إلى فلسطين ودخلت إلى المخابرات كان الموضوع بالنسبة لي سهل جدا، لأنني اعرف ما سيسألني، وما يدور في ذهنه، وأنه سيكون شخص جيد في البداية، وكان هناك شيء آخر يمكنه أن يهددني به، ألا وهو أولادي، ولكنني كنت أعرف هذا الأمر، لذا أظن أن المرة الثانية، إن حدثت، تكون أسهل من الأولى." (ع.ي، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى أنه رغم الإبعاد لهذه الأسيرة لفترة طويلة عن الوطن فهي لم تترك النضال، وبالتالي احتمال الزج بها مرة أخرى بالسجن يبقى وارداً رغم تجربتها، وكذلك أن هناك معرفة وتجربة قد صقلت من خلال التجربة الأولى تمكن الأسير أو الأسيرة من مواجهة الاحتلال بقوة أكثر.

استمرار النضال في الخارج بعد الخروج من السجن لا يحدده فقط العودة للسجن مرة أخرى، ورغم وجوده مؤشراً لقدرة البعض على التعلم من التجربة، مقابل مفهوم "كي الوعي" الممارس من قبل الاحتلال، والذي يقوم على التجربة المؤلمة ودفع ثمن عالي، استمرار النضال يستمر بأشكال مختلفة، يصوغها وعي ممارس يمكنه أحياناً من تجاوز الوقوع في

الأسر مرة أخرى

"بتقديري، فالأغلبية استمرت بالنضال، وليس من الضروري أن تكون قد سجنت مرة أخرى، والسجن ليس دليل البطولة. فعند بعض الناس السجن قد شكل رادعا لهم عن النضال، مع انه ليس كل من دخل السجن يعتبر مناضل، فمن الممكن أن يكون قد دخل السجن بالصدفة، كأن يكون موجود في موقع الحدث، أو انه قام بتقديم خدمة لمجموعة عسكرية، فأذكر أن أسيرة كانت معنا قد سجنت لان قائد المجموعة قد تبرع لها بالدم، وليس لها علاقة بشيء. إذاً ليس كل من دخل السجن بمناضل، وليس كل المناضلين الذين دخلوا السجن قد تركوا النضال، ولكن يوجد بعض المناضلين الذين تركوا هذا الطريق بل وقاموا بترك أحزابهم التي كانوا ينتموا إليها، ولكن ليس بسبب السجن، ولكن لأسباب أخرى. فأنا مثلاً تركت]اسم حزب[ليس بسبب السجن حيث استمريت ضمن إطار]الحزب[بعد خروجي من السجن ١٠-١٥ سنة. ولكن لان التنظيمات لم تستطيع المحافظة على أعضائهم، ووصول بعض الانتهازيين إلى القيادة، وبالتالي شعر المناضلون بأنه لا يوجد لهم مكان داخل هذه التنظيمات مما اضطرهم إلى ترك هذه التنظيمات." (ع. ي، مقابلة خاصة بالرسالة)

نجد أنه حتى وضع كافة الأسرى في سلة واحدة ليس صائباً تماماً، لأن هناك من دخل الأسر نتيجة ظروف مختلفة ليس من ضمنها الوعي التام بأهمية مشاركته النضالية، ومن جهة أخرى نجد أن ترك البعض للتنظيمات بسبب وجود مشاكل داخل التنظيمات أنفسها، وليس بسبب القناعات بترك ساحة النضال، وعلى كل حال فهذا التشخيص ينطبق على مجمل الحركة الوطنية الفلسطينية.

العقلانية مفهوم أخر يمر عند تحليل ارتباط السجن بقدرته على جعل الأسير أكثر مهادنة

"السجن لما قلت باخدوا الطليعي وبحاولوا يفرغوه من محتواه النضالي عشان ما يضل عنده هذه النظرة الثورية، بس أنا بنظري السجن عزز هذا الموضوع ويمكن عقلنه يعني بدي احكيلك شغلة

لما كنا نفكر في اضراب كنا ندرس كل الوضع الداخلي والخارجي السجن بخليك تفكر بشكل عقلاني وهدوء مش ترويض ما حصل ترويض للمناضل الفلسطيني وأثبت جدارته" (ر.ذ، مقابلة خاصة بالرسالة)

ترد العقلانية هنا بمعنى استخدام المنطق العلمي في العمل والنضال، والتخطيط بعملية للخطوات قبيل اتخاذ أي خطوة نتيجة التعلم من التجارب المختلفة.

الفترة التاريخية السياسية لها علاقة مباشرة برجوع الأسرى للنضال مرة أخرى، وتحديداً مرحلة أوسلو كمرحلة فاصلة في تاريخ الحركة الوطنية وفهمها للصراع مع الاحتلال

"السجن عشان ما ترجع على عمل المقاومة، وبالدرجة الأولى وفي مراحل معينة العمل العسكري هو المقصود. الآن في مراحل معينة وهي ما قبل أوسلو يعني كان بالعكس، استمرار المقاومة كان داخل السجن على صعيد الاضرابات على صعيد ال... كنا ثائرين داخل السجن. مواجهة، مواجهة مباشرة داخل السجن على صعيد إنه قدييش أنا بدي أحفظ حالي من السقوط داخل السجن لأنه عوامل السقوط ممكن تكون أكثر من غيرها، كسجين مركز الرؤية تحت المجهر غير عن واحد مخبى في هالمجتمع. بعد أوسلو صار في حالة الاحباط الموجودة، إللي بالعكس صار في إسقاطات كثيرة حتى داخل السجن. لأنه أصلاً التأطير والحس الأمني في فقدان إله، شايف كيف. ما قبل كان الواحد بالعكس كان الواحد منهم والكثير منهم يطلع وتكون تجربته بسيطة يطلع ويكون مزبط أموره مع خلايا عسكرية وهو جديد عمله ما ينقطع، حاليا بجوز انعكاس الناس المش مؤطرين واللي هم أصلا التربية، في الخارج الحين بتقدر تودي حدا بالشكل المزبوط مهو أصلاً في حالة من الانفصام بالشخصية في الخارج يعني، شايف كيف!؟ وهذا بنعكس على سلوك السجن اللي هو شريحة من شرائح المجتمع، فبنعكس هذا الانفصام في داخل السجن وبصير الشكل ظاهر أكثر. فأنا والله ما بدي أروح عالسجن ولا بدي أعمل بدي أكون بالأمان، كثير هاي بنسمعها بالوقت الحالي." (ع.ع، مقابلة خاصة بالرسالة).

هناك شبه أتفاق بين الأسرى المبحوثين على ان معاودة النضال بعد الخروج من السجن أصبحت قليلة بحكم مجموعة من الظروف والعوامل الموضوعية، بجانب أخرى قليلة ذاتية "حاليا يقرأ بدراسة اسرائيلية عن السجناء الفلسطينيين بشكل عام، ٦٥٪ من السجناء إللي برجعوا للسجن، جداد تمام، اسمع الحكي هذا، أنا لما التحقت بالنضال التحقت فيه لنه جزء من مشروع وطني وأنا جزء منه وأنا بالنهاية بمشروع وطني، اللي بدخل السجن وبشوف المعادلات وبصير يخاف بس بصير يحكي إنو النضال مش مشروع وطني أو إنه مش وسيلة تحقيق احتياجاتنا الشخصية، مش النضال بشكل عام، العام بحققليش الخاص والخاص نفس الموضوع، فمعظم الأسرى مرجعوش على السجن، أغلبية اللي برجعوا برجعوا جداد على السجن." (ي.غ، مقابلة خاصة بالرسالة).

السجن ومهادنة الأسرى:

هدف هذا المحور من أسئلة المقابلة إلى محاولة تحليل دور السجن والأسر في تحويل الأسرى إلى أكثر مهادنة في علاقاتهم مع الاحتلال، ونرى هنا نموذجاً لهذا

"جمعة ثورية أجل هي جمعة ثورية، وهو ليس ميل للمهادنة، ولكنه يصبح واقعي أكثر، فأنت تلاحظ أن معظم المفاوضين ومن يؤمنوا بقضية السلام كانوا من المعتقلين، ويوجد أسباب عدة منها، ومنها أن الفترة الطويلة التي يقضيها داخل السجن، تجعله يفكر بشكل أعمق، وكذلك الاحتكاك المباشر مع الإسرائيليين، فهو يفضل التعامل مع إنسان كعدو ولا يتعامل مع شبح، لان هذا الشبح غير معروف ويخيفك لأنك لا تعرفه ولا تعرف ما الذي تحت القناع، فمن خلال تجربتي مثلا لم أكن أؤمن بأنه يوجد إسرائيليين بدهم سلام، ولكن من خلال الاحتكاك مع بعض الشرطيات، تبدلت وجهة نظري وانه يوجد منهم من يريد السلام، بالرغم من قلتهم وعدم فاعليتهم، ليس لأنهم يؤمنوا بحقنا ولكن لأنهم شعروا بالملل، ويريدون العيش، بدون مشاكل وحروب، فإحدى الشرطيات فالت لي ذات مرة، كان لي ابن توفي في ٧٦، فقد جاءت من العراق بعد أن ترمّلت، ولكن تسأل نفسها: لماذا مات ابني،

ماذا فعل في دولة إسرائيل؟ الاحتكاك المباشر يمكن يعمل فهم أكثر للآخر. إذن السجن يشكل رادعا للسجناء الضعفاء، ويجعلهم أكثر مهادنة، أما الإنسان الذي يؤمن بهذه القضية، فان السجن لا يشكل له أي رادع، ولا يجعله مهادن مع هذا الاحتلال، ولكنه يصبح واقعيا أكثر." (ع.ي، مقابلة خاصة بالرسالة)

نجد أن جزءاً من تأثيرات الأسر في هذا المجال هي:

- بناء الواقعية في الفهم، أو الواقعية السياسية لدى بعض الأسرى نتيجة معايشتهم الأسر، والظروف التي تطرأ عليهم، وما ينطوي عليها من تحولات في الوعي.
- الاقتراب من فهم العدو "الاحتلال" أكثر من خلال الاحتكاك بأفراد من قواته، بمعنى تحويله من شبح غير مرئي إلى بشر.
- تحولات فكرية في فهم الحركة الصهونية، وعلاقة أفراد جيش الاحتلال بهذه الحركة، من خلال وجود فهم لبعض الأفراد أنهم مع "السلام"، وليس بناءاً على قناعات بل ملل وتعب من استمرار الصراع، رغم وجود أغلبية تؤكد أن الاقتراب من العدو أكد على صهيونيته المبررة لاستمرار الاحتلال.
- الأسرى الذين يصبحون أكثر مهادنة هم الضعفاء، وهم غير مؤمنين بالقضية الوطنية، أما الأسرى الذين يؤمنون بالقضية فهم يستمرون بالنضال دون مهادنة، ولكن بواقعية مكتسبة.

من المهم الإشارة إلى جزء من الأيديولوجية الصهيونية يتوجه نحو "عقلنة" الفلسطينيين بتبني خطاب سياسي تحديثي يقوم على انصياعك لحكم الأغلبية/ نظام الحكم، ومحاولة الانخراط في الحيز العام، وتبني منطلقات وقوانين نظام الحكم/ الاحتلال للحد من عنفها نحوك (بشير، ٢٠٠٤)، وهو ما نرى جزء من تجلياته في تحول خطاب بعض الأسرى ميلاً نحو تقبل

موازين القوى السائدة والعمل من خلالها، وليس من خارجها. كما نراه من زاوية أخرى في كسر الشخصية المقاومة ""أن الهدف من تفكيك نمط الشخصية كان التقويض الفعلي للقدرة على المقاومة" (كلاين، ٢٠٠٩: ٦٠).

نرى في مثال أخر تحول مختلف عن هذا في تجربة أسيرة محررة

"مثلا قبل السجن لم أكن أعتبر أن كل اليهود هم صهاينة، هكذا كنت مقتنعة، أو ليس كلهم مخابرات. أما الآن فأنا مقتنعة قناعة تامة أنه إن لم يكن معظم فكل اليهود أو أن ١٪ منهم فقط ليسوا بصهاينة أو مخابرات، لماذا؟ لأنني عشت في سجن مدني ولأن الأسيرات في السجن المدني هم حثالة المجتمع، ومع ذلك يقمن بدور المخابرات علينا نحن الأسيرات الأمنيات، فهذا مفهوم تغير عما قبل السجن."

(س.ر، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى أن تعزيز القناعات تجاه المجتمع "الإسرائيلي" ودوره في الاحتلال تعزز من خلال قضاء الأسر مع سجينات يهوديات مدنيات، لكنهن تعاملن مع الأسيرات الفلسطينيات من منطق الاحتلال نفسه، مما أدى إلى تعزيز القناعة بقلة عدد الأشخاص داخل المجتمع "الإسرائيلي" الذين لا ينتمون للمشروع الصهيوني.

الواقعية ترد في أكثر من نص من مقابلات الأسرى المحررين، وتحديداً هؤلاء الذي أسروا في فترات الثمانينيات وبدايات التسعينيات أي أن جيلهم الآن هو بالعقد السادس من العمر

"لأ لأ لأ ما خلاهم أكثر مهادنة خلاهم متوازنين، يفكروا بحكمة مش مهادنين، يعني بدك إياهم في الشدة يكونا أشداء، وفي المرات التي يحتاجون فيها للتفكير بالمنطق، أن يفكروا بمنطق، وهذه قضية كثير كثير مهمة، وروح إسأل أي واحد من أي اتجاه عاش الفترة السابقة بفكر بمنطقين، بفكر إنو أنا اليوم لو بدي أرجع أناضل فوراً برجع أناضل، وبالنهاية اللي بدك إياه. وبنفس الوقت إذا في أفق سياسي للشعب الفلسطيني مش راح أقف عنده ولا واحد منهم راح يقف عنده، راح يعطيه فرصة،

وكلهم أنا بشوفهم اليوم- خاصة اللي عاشوا بهذيك الفترة- دشرنا من العواطف- هم بتعاملوا بالفهم العقلي والموضوعية أكثر منها مهادنة، ما بهادنوا، أقلك، ولا واحد منهم بهادن مين ما كان، وأياً كان. ولا واحد بهادن على قضية ولا بساوم على قضية ولو بدهم يساوموا كان صاروا جواسيس وكان صاروا عملاء وكان طلعوا من السجون وكان اشتغلوا مع إسرائيل، وكان اليوم أنا دكتور بجوز لو هادنت، لأ لا ما بتهادن بتكون واقعي لا زم اتظلك واقعي وواقعية يعني بالتحديد هذا الجيل اللي مر بهذه الفترة لحد الانتفاضة الأولى، بعرفش الانتفاضة الثانية لأني بشوف بشغلي اللي كان صديقي وصاحبي إنو يا]اسم[إنتو لما كنتوا تروحوا على سجن إنتو كنتوا أبطال/ أزلام، كان الواحد يروح يشعر إنو في زلمة، تروح تقله إنو بدي أرافع عن قضية واحد مرة، بقلي يا رجل بس راح فتح الملف من أول يوم بحكي كل شي فبقلي في تربيتين في فهمين غلط في جيلين غلط، الجيل تبعكم مختلف عن الجيل اللي اليوم فهو قلي ما بقدر أوخذ ولا قضية أمنية لأنو هذه عبارة عن قضية خسرانة، أنا زمان كنت آجي عليك عارف إني بروحك، بس أنا اليوم رايح على واحد كاتب عنده أكثر من اللي هو مسويه، فهاي الفرق، أهم شي لا تهادن، ما بهادن ولا يمكن يهادن ومن أي فصيل، بعترفلك إياها لو هو وطني من أي فصيل، إنساك من كل ألوان الطيف السياسي بحكي بشكل عام وأنا كل أصدقائي اللي بعرفهم كويس بنفس الفترة يعني أنا لما أحكي أنا]اسماء اصدقاء من الأسر[حتى اليوم بلاقيهم بفكروا نفس التفكير ما اختلفوا هاي هي." (م.ح، مقابلة خاصة بالرسالة)

الإجابة حول دور السجن في صقل الأسرى يأتي بكلمات مثل (واقعية، حكمة، توازن، عقل) بمعنى أن الأسر والسجن في تلك الفترة صقلت تجربة الأسرى، دون تأثير (على حد تعبير الأسير) على قدرتهم على النضال وفهمه، مقارنة بتجربة جيل الانتفاضة الثانية الذي كان أقل صموداً في التحقيق وتجربة الأسر كلها، ربما إنعكاساً للظروف العامة داخل المجتمع الفلسطيني.

تجارب أخرى تحدد أن هناك اختلاف في الموقف بعد الأسر، وهذا الاختلاف ليس مرتبطاً فقط بالواقعية بل بتعبيرات أخرى، وهذا ما نجده في تجربة أسير عاصر أجيالاً من الأسرى على مدار فترة أسره

"انا اعتقد انه في نموذج من هذا النوع ونموذج من نوع آخر، السجن يشكل حالة من مفاهيم ثورية عالية جداً راقية جدا طاغية وظاهرة وبنفس الوقت، هناك الكثير من الناس الذين شكلت عندهم حالة الأسر عندهم حالة من المهادنة، وهذا طبعا قد يكون عامل السياسي بلعب دور مش فقط العامل النفسي وانو الاحتلال استطاع أن يطوع ولا لأ. العامل السياسي والمفاهيم السياسية والسلام وغيره، ثانياً موضوع الحرية وهو مربوط بموضوع المفاوضات السياسي يعني انت حتى يتم الافراج عنك لازم يكون مرضي عنك سياسيا انت زلمة ارهابي وقمت بعمل ارهابي، أذا اردت ان تسترد حريتك يجب أن تكون انسان صالح مش ارهابي. عشان هيك نجد في كثير من الحالات بلّش يغيّر مفاهيمه بلش يعبر عن آراء مختلفة بلش حتى يمارس ممارسات سياسية مختلفة يحاول أن يوصل رسائل وشيفرات للطرف الآخر الإسرائيلي كونك موجود تحت عينيه انت مراقب أقوالك وأفعالك مضبوطة، فإذا مارس بعض الممارسات أو صرح أو تكلم بكلام فممكن هذا ينعكس على تغيير مفهوم عنك كإنسان مما يؤدي إلى وضعك على قائمة المرشحين للحرية. فمن هذا الباب نعم في ناس أصبحوا أكثر مهادنة وتحت عنوان الحرية وتحت عنوان البراغماتية وانه انا سجين وانا لا امتلك من أمري شيء وأنا انسان ما بقدر أعمل اشي وهاي قياداتنا بتساوي هيك وهاي الأمة كلها بتساوي هيك فتحت هذه العناوين الكبيرة، فأنا كسجين لو إني قمت بالعمل الفلاني أو سلكت السلوك الفلاني فما في حدا راح يلومني ففي بعض الناس بعطوا أنفسهم الحق انهم يسلكوا سلوك معين." (ف.ج، مقابلة خاصة بالرسالة)

نرى هنا توصيفاً لانماط مختلفة من الأسرى في تعاملهم مع موضوع الاحتلال داخل الأسر، فنجد أن هناك من استمروا على نفس قناعاتهم التي دخلوا بها، وهناك من حول مفاهيمه

السياسية والفكرية داخل السجن حتى يصبح أكثر قبولاً. عاملان حددا لعب دور في تشكيل هذا التحول على بعض الأسرى، الأول هو قضية المفاوضات والسلام المفترض بما يعنيه من انتهاء حقبة، وبدء أخرى تكون فيها النضال والثورة قضايا قد انتهت، والثانية السعي إلى الحرية باستخدام كل الأساليب، ومنها أثبات أن هناك قدر معين من التغير على المواقف للاحتلال تبعاً للسلوك والتصريحات، حتى يتم وضع اسمه/ا على قائمة الافراج من خلال المفاوضات أو غيرها، ويتم استخدام تبريرات مختلفة لتبرير هذا التحول، ومنها ان هذه الفترة الزمنية لا تتحمل بعض المفاهيم النضالية، وأن الأسير لا يملك من أمره شيئاً أمام حجم التغيير، وبالتالي التحول في القناعات وأن كان شكله الأساسي سياسي إلا أنه يمر عبر بوابة السجن، عبر إعادة تشكيل ذاتية للقناعات، للخروج منه.

توصيات ختامية من الأسرى:

التعامل مع عدد كبير من القضايا الخاصة بالأسرى برز من خلال هذه الدراسة، ومنها ما تم معالجته ضمن أسئلة الرسالة، وأخر برز خارجها، ولأمانة نقل أصوات الأسرى، أسجل هنا بعضها:

القضية الجنسية لدى الأسرى:

"هذه قضية تناولناها وكانت نوعا ما في البداية مفقودة، مجرد التفكير فيها مجرد طرحها مجرد طرح تساؤلات عليها يعني الكبت الجنسي الفراغ الموجود، انطرحت حلول الها إنه الواحد المتزوج، طلبنا ممثلا إنه يكون الشخص المتزوج إنه يكون في خلوة، منها الجانب الجنسي هذا دور ومنها الخلفة، يعني الواحد يروح عنده ٢٠-٣٠ سنة هذا الجانب مش كثير تطرقنا إله، مع إنه هذا كثير مهم وإنسان، يعني بكل بساطة هذه شغلة انسانية وما في دراسات تطرقت الها، فلو في دراسة بتطرق لهذا الجانب كثير منيحة.

في شذوذ كمان صار فهذه القضية عشان هيك بحكيلك القضية يمكن نقاشها وطرحها وعمل

دراسة بجوز يكون شوي مش مستوعب، يعني في حالات شذوذ في حالات ومشاكل كانت برا السجن استمرت جوا السجن، أو ما كان مكتشفها برا اكتشفها جوا السجن. يعني هذه القضايا المفروض يتم تناولها ويكون في توعية إلها مع إنه داخل السجن شو المشكلة فيها مع إنه كان هاي المسألة مرفوض النقاش فيها، في مشكلة بس ما حدا قادر يواجهها أو يطرحها على العلن، فأنا برأيي هذا جانب حلو تتم دراسته." (ه.ج، مقابلة خاصة بالرسالة).

دور المؤسسات المرتبطة بالحركة الأسيرة:

دور المؤسسات وخدمتها للحركة الأسيرة طرأ عليه تحول سلبي

"بالسابق يمكن ميكونش في مؤسسات كثيرة لكن.. ومكنش في دعم مادي بس كان في ترتيب معين إنه فعلا يعيشوا ويزبطوا أمورهم المادية، وحصول إكتفاء ذاتي، وبالعكس كان الموارد المادية أكثر مطالبة بالمخصصات من قبل الإدارة، الآن عم بتزيد المؤسسات، للأسف الشديد عم بتكرر نفسها، يعني في مؤسسات حقوقية كثير، بتلاقيهم على سبيل المثال، بنحتج إنه ما في حدا بزورنا بتصير كل المؤسسات تصب بالزيارات طيب احنا بحاجة لأطباء من الخارج، كل المؤسسات... طيب بنطلب منهم يا جماعة الخير إنتو كثار، وبنهاية الأمر المصاري اللي ميخذينهم من أجل السجناء، يكون في تخصص هاي المؤسسة تخصص للمحامين، هاي المؤسسة تتخصص للزيارات هاي المؤسسة تتخصص لتعمل قضايا حول الظروف المعيشية اللي في داخل السجن، بتحس لأ كإنه الهدف بس أنا أفرجي نفسي. أنا بتمنى على المؤسسات إنها تكون جدية في خدمتها للأسير بإنها تعمل نوع من التشبيك الحقيقي بين بعضيها وتوزيع المهام بين بعضيها، لأنه في نهاية الأمر مش الهدف بس إني أنا أقول إني أنا الموجود بس الهدف إنه أنا أخدم هاي الفئة إللي أنا من أجلها نوجدت." (ع.ع، مقابلة خاصة بالرسالة)

نجد أن هناك تقييم سلبي لكثرة المؤسسات مع قلة تخصصاتها وخدمتها للحركة الأسيرة في

إطار التحول الذي طرأ على دور هذه المؤسسات.

"أن يكون الاهتمام أكثر بموضوع الأسرى المحررين، فالقصة ليست فقط بالمرتب الشهري للأسير، فالأسرى بحاجة إلى التعليم و إيجاد فرص العمل لهم، لكلا الجنسين، خصوصا من دخلوا السجن وأعمارهم صغيرة." (ع.ي، مقابلة خاصة بالرسالة).

استنتاجات ختامية:

نجد تعبيراً قوياً عن عمق ارتباط التأثيرات الزمكانية على الأسرى في مقولة لعبد الرحمن منيف "أن المكان... ليس حيزاً جغرافياً فقط، فهو أيضاً البشر، والبشر في زمن معين... فالمكان يكتسب ملامحه من خلال البشر، الذين عاشوا فيه، والبشر هم تلخيص للزمن الذي كان، وفي مكان محدد بالذات، وبالتالي فقط اكتسب الناس ملامح وصفات ما كانوا ليكتسبوها لولا هذه الشروط. وحين أصبحت لهم هذه الصفات أثروا في المكان والزمان، كا تأثروا بهما، مما ينعكس، في النتيجة في إعطاء الأماكن والأزمنة ملامحها، كما ان تكل الأمكنة، وتلك الأزمان، ستؤثر بدورها في أن يكون ناسها بهذا الشكل (بشير، ٢٠٠٤: ٣٩).

لذا يصبح شرط السجن كمكان وزمان عاملاً حاسماً في التأثير على وعي شخصية الأسرى، كما أن نفسه يتأثر بوجودهم المادي، بما يعني من أن يأخذ جزءاً من ملامحه (أي السجن)، والصورة المتخيلة عنه من إقامة الأسرى فيه، وقضائهم أوقاتاً بداخله، وعليه يمكن الإحالة إلى تعريف فوكو حول الفضاء الانضباطي (فوكو، ١٩٩٠) بأنه يلعب دوراً أيديولوجياً من قبل السلطة المهيمنة ولكنه أيضاً يتأثر بوجود الفاعلين بداخله، وهذا ما يؤكد على النقد الموجه لتعامل فوكو الأحادي من حيث أن المكان الانضباطي يؤثر فقط على الأفراد.

السجن كمكان وزمان يعتبر نفسه مكاناً وزمناً إلغائياً من قبل المنظومة الأيديولوجية الصهيونية التي تريد فرض سيطرتها وهيمنتها على الأرض/ المكان والسكان، وعليه يصبح مكاناً للنفي خارج المكان "الطبيعي"، وهو حدود المجتمع تحت الاحتلال، وعليه يصبح هناك تحديدات للفلسطيني على أرضه، فهو مسموح أن يقيم مكانياً على أرض فلسطين دون أن يكون ممتلكاً للسيطرة عليها، بل يجب عليه تقبل سيطرة الاحتلال الكاملة عليه وعلى أرضه، ومن يرفض/ يقاوم ينفى إلى مكان أخر، خارج المكان، هو السجن، الذي يقيم منظومة جديدة ولكنها متجانسة مع البنية الأيديولوجية للاستعمار من حيث استمرار إخضاع الأسرى للضبط

والعقاب للوصول بهم إلى "تقبل" هذه الهيمنة والضبط، وهذا النقد الثاني الموجه لفوكو لتغييبه البعد الاستعماري والأيديولوجيا الاستعمارية من معالجته للسجن.

ويمكن هنا الاستناد إلى تحليل قدمه أغامبن "تميز القوة السيادية في الديمقراطيات الليبرالية دوماً بين سيتم قبولهم في "الحياة السياسية" وأولئك الذين سيتم إقصاؤهم كأصحاب "الحياة العارية" (Bare Life). أنها عملية تصنيف الناس والأجسام من أجل إدارتهم ومراقبتهم والسيطرة عليهم واختزالهم إلى "حياة عارية"، حياة تحيل إلى كائنها اللاإنساني، فصولاً عن الميزات الاجتماعية والسياسية والتاريخية التي تشكل الذاتية الشخصية" (حنفي، ٢٠٠٩ :٧٧)، لذا يمكن تصور أن الأفراد في المجتمع الفلسطيني غير الناشطين في المقاومة المباشرة "يسمح" لهم بالبقاء داخل حيز المجتمع الفلسطيني، أما المناضلين فيتم تحويلهم "للحياة العارية" أي الحياة داخل السجن بغرض مراقبتهم وعقابهم وتطويعهم.

التأثيرات التي يولدها السجن كمكان وزمان غير محددة الاتجاهات، فهي متنوعة كما رأينا في تحليل المقابلات المعمقة للأسرى والأسيرات مجال البحث "أن ثمة بين التجربة الإجمالية والتجربة الدقيقة انقطاعاً يقلب شروط الموضوعية رأساً على عقب" (باشلار، ١٩٩٢: ٨٠). حيث هناك بالضرورة تأثيرات هائلة على الوعي الفردي للأسير، بمعنى وجود تحولات في الوعي نتيجة التجربة، وكذلك تبني مفاهيم وخطاب لم يرد معه في بداية التجربة.

لكن يتضح من المراجعات أن قدرة الأسرى على التحكم بالزمن/ العقوبة بقت تاريخياً خارج إطار محاولاتهم (عمليات إطلاق الأسرى نفذت من الخارج، ومحاولات الهروب بقيت قليلة)، لذا لم يكن ذلك شرطاً للنضال داخل السجن "التجارب التاريخية المكتوبة من الأسرى السياسيين عن تجربتهم في الأسر تصنف الظروف المادية في سجن الاستعماري إلى ثلاثة

فئات رئيسية هي: مساحة المعيشة، ونوعية وكمية من المواد الغذائية، والعلاج الطبي. في مختلف السجون الإسرائيلية بدأت مجموعات من الأسرى فقط لتنظيم احتجاجات ضد هذه الشروط. وبدأ ممثلين الأسرى التفاوض مع سلطات السجن على كل بند من بنود الظروف المادية، ومن خلال هذه المفاوضات المنظمة أكدوا علاقاتهم المجتمعية التي تسعى دون كلل لاستعادة وكالة السيطرة على حياتهم اليومية في الأسر." (Nashif, ٢٠٠٨: ٢٠٣).

السجن بمجمله أدى إلى جملة من التأثيرات الاجتماعية، من أهمها، خلق بنية اجتماعية جديدة تحمل قيماً محددة وتصورات لشكل الحياة الفردية/ الجماعي، أي الحركة الأسيرة، وبهذا المعنى فقد استطاعت خلق ديناميات للتفاعل الاجتماعي داخل السجن، وأيضاً تراتيبات اجتماعية حددت أولاً بالمعنى الوطني والنضالي ومساهمة الفرد فيه، وثانياً بالمعنى الفصائلي من حيث التراتيبات الحزبية، ثم لاحقاً وفي الآونة الأخيرة انعكست التطورات في المجتمع الفلسطيني لتتيح حيزاً أكبر للتمثيل الاجتماعي ليأخذ دوره بجانب الأولين، الوطني – النضالي والفصائلي، ليتيح لذوي السطوة الاجتماعية متابعة سيطرتهم من داخل الأسر.

ديناميات التفاعل الاجتماعي كانت بالأساس مرتبطة بالنظام الوطني/ القيمي الذي يحدد المسموحات والممنوعات، ويتيح هامش واسع للفصائل لتحديد ديناميات اجتماعية مختلف عليها (مثلاً الصلاة والصيام)، ولكن كان هناك إجماع بالأساس على القيم الوطنية النضالية، وتحديداً تلك المرتبطة بالعدو. لذا نرى أنه جرت في مراحل كثيرة عمليات عزل لأسرى اعترفوا، أو شك فيهم على أنهم "عملاء" للاحتلال، وأتخذ في بعضهم عقوبات قاسية جداً.

عزل الحركة الأسيرة لأفراد منها كان من أجل إحكام السيطرة على كافة تفاصيل الأسر، وهذا ما نقاشته بمعنى الضبط المزدوج، أي أن الحركة الأسيرة حتى تعمل عكس أهداف الاحتلال،

استخدمت نفس آليات الضبط للحد من سيطرة الأولى.

الضبط من الحركة الأسيرة لمواجهة أهداف الأسر، تمثل مثلاً في حيز الزمان بإيجاد برنامج يومي مكثف للأسرى من الصباح حتى المساء، حتى لا يتم إيجاد وقت فراغ للأسرى، وكأنهم في مهمة نضالية – تربوية مستمرة، وانعكس ذلك حتى على موعد النوم المحدد لجميع الأسرى في وقت واحد (ساد لفترة طويلة). بجوار البرنامج الزمني كان هناك عملاً مكثفاً على الوعي والمحتوى القيمي- النضالي المقدم من قبل مسؤولي الحركة الأسيرة لأفرادها وعناصرها، مما عنى إعادة تشكيل الشخصية – إلى حد ما- نتيجة هذا البرنامج.

وبمقابل الانتماء إلى جماعة الأسر كان يتوقع امتثالاً كاملاً من الأسرى لأوامر المنظمات الحزبية داخل الأسر في كافة جوانب الحياة اليومية والنضالية، مما عنى بالأكثر وجود طبقات من الضبط على الأسرى، الضبط الرسمي من قبل الاحتلال، والضبط المضاد من قبل الحركة الأسيرة، ولكن هذا لا يعني بالضرورة أن الضبط المضاد كما رأينا قد أدى هدفه بالكامل، بل أحياناً عمل عكس هدفه.

التراتبيات داخل المنظمات وحتى الحركة الأسيرة كانت تعكس بالأساس وجود مشاكل في التنسيق بين الأجزاء المختلفة، بسبب وجود عدد كبير من أصحاب القرار والأنشطة دون نظام واضح بما أدى إلى وجود نوع من الهرمية والتراتبية المعتمدة على إجراءات محددة، بما يخلق بالنهاية "أقفاصاً من المنطق" (Silberman, ١٩٩٣). هذا المنطق نفسه يصبح غير قائل للمساءلة والتغيير بحكم وجوده لفترة طويلة، ووجود شرعية كبيرة له بالنسبة للمسؤولين لتسيير الأمور داخل الحركة الأسيرة، ولكنه أفضى إلى وجود نزوح عن معاودة الأسرى تجربة النضال.

استخلاصات حول السجن:

السجن (المعتقل الإسرائيلي) كمؤسسة وبنية – فضاء انضباطي مشبع بالأيديولوجيا الاستعمارية يتكون من عدة أبعاد، كما توضح من مراجعة وتحليل بنية السجن، وهذه الأبعاد تأخذ شكلين، الأول رسمي وتحته تندرج أربعة أبعاد رسمية، والثاني غير رسمي ويندرج تحته بعد واحد.

الأبعاد الرسمية للسجن كمؤسسة عقابية في الحالة الفلسطينية تتخذ الشكل التالي:

أولاً: الحرمان من الحرية واستلابها في عقاب فوري على فعل الأسير المقاوم للاحتلال، وفي هذا الاستلاب محاولة تأكيد على أن الفعل نفسه "غير شرعي" أو "غير قانوني"، ويتشابه هذا البعد مع مفهوم السجن كمؤسسة عقابية في دول العالم الأخرى، سعياً من الاحتلال لتحقيق العقاب من جهة، ولفرض نفسه كوجود "شرعي" يواجه اللاشرعي، كما تمت الإشارة إليه في الإصلاح القانوني في فلسطين لقسيس ونخلة.

ثانياً: الزمان مفهوم مركب يحتمل ناحيتين، الأولى الشكل الرسمي والمقصود بها العقوبة (استلاب الحرية لفترة من الزمن)، وتفرعات هذا الجانب، والجانب الثاني المرتبط ارتباطا وثيقاً بالأول المشاعر والتصورات المرتبطة بالزمان عند الأسير، والتي تتخذ شكلاً فريداً عند كل أسير. غير أن تشعبات مفهوم الزمان تشمل الكثير من العوامل بحيث يصبح المفهوم ملتصقاً بتصورات مجردة أكثر من أمور ملموس مثل مفهوم المكان، ومن الأمثلة عليه (وقت الانتظار، تداخل الليل والنهار).

ثالثاً: المكان كهندسة وفضاء عقابي يحاول ضبط الفرد/ الجماعة، من خلال بنية هندسية مكثفة تحمل عوامل الضبط والعقاب في آن واحد، وتتيح السيطرة على المعتقلين. ويتخذ المكان في

معتقل الاحتلال أوجه مختلفة عن السجون الأخرى بسبب أن المكان استمرار للقمع والعقاب بعد تنفيذ العقوبة الأساسية "سلب الحرية"، ويعمل على الأسرى بطرق مختلفة.

رابعاً: الإجراءات والممارسات العقابية داخل السجن بحق الأسرى الفردية منها والجماعية، والمقصود بها تلك الممارسات التي تخرج من حيزي الزمان والمكان (القمع، التعذيب، نوع الطعام...الخ)، وهذه الممارسات لها دور مكمل في لعب السجن لدوره في تطويع الفرد وعقابه في آن واحد. يشمل هذا البعد تحييد الأسير وعزله عن العمل النضالي في المستقبل، بما يتيح له استكمال أهدافه الاستعمارية.

مجموع هذه الأبعاد تشكل السجن كمؤسسة وبنية لها دور محدد وواضح، وتأثيرات متشعبة ومختلفة، ولأهمية توضيح البعد غير الرسمي وهو (البنية التنظيمية للحركة الإسيرة) تم استعراضه بشكل مطول، بما يدرج هذا البعد ضمن مفهوم السجن. حيث أن البنية التنظيمية للحركة الأسيرة تعرضت للكثير من الدراسة والتوثيق، لكنها لم توضع في سياق دراسة مقارنة كرد عملي وطويل وعقلاني على السجن، وبالتالي وإن كانت تمارس دوراً مقاوماً للبعد الرسمي للسجن، إلا أنها في نفس الوقت تشكل جزءاً منه كتشكل محتمل للفعل الرافض.

أهمية دراسة السجن بسبب دوره المؤثر والكبير في حياة ونضال الفلسطينيين خلال العقود الأخيرة لانتزاع حريتهم ووطنهم (خاصة وأن الاحتلال يسعى لهندسة المكان الفلسطيني عموماً لما يشبه السجن والمعازل والكنتونات، وكأنه ينطلق من نفس الرؤية في ضرورة المساس المستمر بالفلسطيني بهدف الإخضاع والتطويع) تبدو على قدر عالي من الأهمية لوحدها، ولكن لو أضيف إليها قلة الدراسات والبحث التي تناولت السجن كمفهوم وبنية، عدا عن قصص وروايات ومذكرات المعتقلين رغم أهميتها إلا أنها خارج سياق بحثي متطور يستطيع الوصول لتحليل ومن ثم فهم هذه المؤسسة في سياق تفكيك أبعادها المختلفة.

أستطيع حينها تقديم محاولات لوضع المفاهيم النظرية للسجن، المكان، والزمان في سياق الاستيطان – الاستعماري "الإسرائيلي"، بحيث تكون محاولة لتأسيس مفاهيم مستندة إلى كثافة التجربة والواقع الفلسطيني.

تعريف السجن في السياق الاستعماري:

أداة من أدوات تكنولوجيا سياسية من أجل إخضاع الجسد، وتشكيله، وتتميز هندسته بأنها مغلقة ومصممة بحيث تضع الفرد دائماً تحت رقابتها، بحيث يعمل على ضبط الجسد وفق نمط يشتمل على إلزام لا ينقطع وهو يمارس وفقاً لتقنين (لإجراءات، قواعد) يحصر بدقة أكثر الزمان والمكان والحركات (فوكو، ١٩٩٠). ويشتمل السجن على إجراءات عقابية تعمل على تطويع الوعي من خلال العزل الحسي والحرمان، كما يشتمل على بنية مضادة منظمة، مهندسة اجتماعياً، تشتمل على علاقات وتراتيبات ونظام/أنظمة، التي تعمل وفق قواعد محددة من أجل مقاومة تطويع الفرد/ الجماعة، بحيث تنتج ضبطاً وتطويعاً خاصاً بها. وتتصارع داخل السجن الاستعماري أيديولوجيتان للسيطرة على الأسرى، الأولى استعمارية، والثانية وطنية. وتتأثر وتؤثر الأيديولوجيتان ضمن فضاء اجتماعي تفاعلي.

الأيديولوجيا في السجن الاستعماري:

الأيديولوجية الاستعمارية تقوم بتشكيل نظام "قانوني" يشرعن عمليات النفي إلى السجن، ويشرعن عمليات التعذيب وأنواع العقابات الممارسة، ضمن تقنين استعماري للقوة، كما يحاول تفتيت الجماعة إلى أفراد "مستقلين" بغرض ضمان التحكم والسيطرة الدائمة.

الأيديولوجية الوطنية – إن جاز التعبير- تعمل من جهتها على خلق عالم كامل من المحددات والقيم والمبادئ الوطنية المجمع عليها، تنظم الأفراد في جماعة متجانسة، ويعاقب الخروج عنها، وتعمل وفق رموز ثقافية وأيديولوجية معينة، وتستطيع السيطرة على حيز كبير داخل الأسر.

تعريف المكان في السجن الاستعماري:

الإقفال/ العزل أي تخصيص مكان يختلف عن كل الأمكنة الأخرى، ومنغلق على ذاته، مكان محمي للرتابة الانضباطية بهدف تقسيم الأفراد على المكان. ولكن تقسيم الأفراد يتجه نحو الانقسام إلى أجزاء بمقدار ما يوجد من أجسام أو من عناصر يجب توزيعها (فوكو، ١٩٩٠: ١٦٢-١٦٤)، معقم بهدف رسم فضائين منفصلين (بوكاي، ٢٠٠٦)، وهو الفضاء الانضباطي لإخضاع الأفراد والجماعات وفق أيديولوجيا تعمل وفقاً لمنطق داخلي يحمل عزلاً حسياً وحرماناً دائماً للأسير وفقداناً للسيطرة. ويحمل هذا المكان قيماً متخيلة للفرد/ الجماعة بما يساعد في تكوين/ تطوير هوية مشتركة، كما يحمل تكيفاً إيجابياً مع المكان من خلال مواجهة أيديولوجية البنية المضادة لإجراءات المكان عبر إجراءات اتصال وتواصل وتفاعل مضادة.

المكان يحمل أبعاداً، بمعنى يصبح مكان السجن أمكنة، فهو مكان العزل فرد/أفراد عن بقية الجماعة، مكان التحقيق، الزنزانة، الأقسام، الخيم، الحيز المأسور.

تعريف الزمان في السجن الاستعماري:

وقت متصل متراكم مع تنفيذ الرقابات وممارسة السيطرات (فوكو، ١٩٩٠). للزمن أبعاداً متعددة؛ تعاقب/ تكرار/ انقطاع/تفاعل، فهو تعاقب مستمر للوقت الموضوعي، وتكرار مستمر من العقابات، وانقطاع قسري للحياة الاجتماعية الماضية، وهو تفاعل مستمر بين الماضي والحاضر بحيث تعيد أحدهما تشكيل الأخرى بشكل مستمر وجدلي. كل هذه الأبعاد للزمن تعمل على وعي الأسير.

وهو زمن/أزمنة تحمل فهماً مغايراً من قبل أيديولوجيات متصارعة، واحدة تريد عبر العقوبة الزمانية تطويع الفرد، وتريده زمناً للأسر وللإلغاء، وثانية تريده تطويعاً ثورياً، وزمناً للحرية

والفاعلية التاريخية. زمن متعدد الطبقات على مستوى ملامسة الفرد/ الجماعة للمشاعر، والأفكار، بحيث يبنى على أساس وقت موضوعي (أيام، شهور، سنين)، ووقت معاش ضمن تفاعل الفرد مع محيطه الاجتماعي المقصور، وزمن متخيل، كما أنه محدود من حيث القياسات الاجتماعية للزمن "الطبيعي".

لذا زمن الحرية يختلف تماماً عن زمن الأسر من حيث قيمته ونوعيته، وطريقة عيشه، وعدد أيامه، أنه زمن مختلف نوعياً وينقطع عما قبله.

الزمن بالإشارة إلى الواقع المعاش ينقسم إلى، زمن العزل، زمن الانتظار، زمن التحقيق، غياب التحكم بالزمن، زمن الترقب، لحظة الحرية.

þqFT DŽllЄNj UWЄþDŽllЄ

المقابلات الخاصة بالرسالة:

١. مقابلة الأسير أ.أ. مدة الحكم ٣ سنوات. ٢٠٠٩/٢/١٥. رام الله.

٢. مقابلة الأسير أ.ر. مدة الحكم ٤ سنوات. ٢٠٠٨/١٢/٢٧. رام الله.

٣. مقابلة الأسير ف.ج. مدة الحكم ١٦ سنة. ٢٠٠٩/٣/١. جنين.

٤. مقابلة الأسير م. ح. مدة الحكم ٥ سنوات. ٢٠٠٩/٢/٣. العبيدية – بيت لحم.

٥. مقابلة الأسير م.ع. مدة الحكم ٦,٥ سنة. ٢٠٠٩/٢/١٨. حلحول – الخليل.

٦. مقابلة الأسير ه.ج. مدة الحكم ١٧ سنة. ٢٠٠٩/١/٢٦. كفر عقب – القدس.

٧. مقابلة الأسير و. ح. مدة الحكم ٥ سنوات. ٢٠٠٩/٢/٥. كفر عقب – القدس.

٨. مقابلة الأسير ي.غ. مدة الحكم ١٦ سنة. ٢٠٠٨/١٢/١٥. القدس.

٩. مقابلة الأسيرة ر.ذ. مدة الحكم ٦,٥ سنين. ٢٠٠٩/١/٢٧. رام الله.

١٠. مقابلة الأسيرة س.ر. مدة الحكم ١١ سنة. ٢٠٠٩/٢/٢٢. قلقيلية.

١١. مقابلة الأسيرة ع.ع. مدة الحكم ١٥ سنة. ٢٠٠٩/٢/١٠. بيت لحم.

١٢. مقابلة الأسيرة ع.ي. مدة الحكم ٥ سنوات. ٢٠٠٩/١/٢٩. رام الله.

الكتب:

١. أبو حليمة، أحمد. ٢٠٠٤. **الانتهاكات الإسرائيلية في اقتحام وتفتيش منازل المواطنين في مدينتي رام الله والبيرة.** رام الله: مركز بانوراما.

٢. أبو شمالة، فايز. ٢٠٠٣. **السجن في الشعر الفلسطيني: ١٩٦٧-٢٠٠١.** ط١. رام الله: المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي.

٣. أبو عطوان، منقذ. ٢٠٠٧. **مأسسة الحياة الاعتقالية للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، ١٩٦٧-٢٠٠٥.** أشراف اسماعيل الناشف، رسالة ماجستير في علم الاجتماع. بيرزيت: جامعة بيرزيت.

٤. بابيه، إيلان. ٢٠٠٧. **التطهير العرقي في فلسطين.** بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

٥. باشلار، غاستون. ١٩٨٤. **جماليات المكان.** (ترجمة غالب هلسا). ط٢. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

٦. باشلار، غاستون. ١٩٩٢. **جدلية الزمن.** (ترجمة خليل أحمد خليل). ط٣. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

٧. بشير، نبيه. ٢٠٠٤. **في تهويد المكان.** حيفا: مدى الكرمل- المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية.

٨. بوكاي، ليتيسيا. ٢٠٠٦. **الفلسطيني التائه: الانتفاضة تأكل أبناءها؟!.** بيروت: شركة قدمس للنشر والتوزيع.

٩. الجاغوب، وائل. ٢٠٠٧. **أحلام أسير.** بلا.

١٠. جرادات، علي. **الحرية وإعاقة التحرر: الحالة الفلسطينية نموذجاً.** (بحث غير منشور).

١١. حكمت، ناظم. ١٩٨٩. **الأعمال الشعرية الكاملة: الجزء الثاني ١٩٢٨-١٩٣٩.**

ط٢. بيروت: دار الفارابي.

١٢. حكمت، ناظم. ١٩٨٩ب. **الأعمال الشعرية الكاملة: الجزء الثالث: ١٩٤٠-١٩٤٨.** ط٢. بيروت: دار الفارابي.

١٣. الخليلي، غازي. ١٩٧٥. **شهادات على جدران زنزانة.** ط١. اتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين.

١٤. الرياحي، إياد. ٢٠٠٤. **الاعتقال الإداري: أبعاده النفسية على المعتقلين الإداريين.** رام الله: مركز بانوراما.

١٥. سلمي، أميرة. ٢٠٠٧. **تمثلات النساء الفلسطينيات في الخطاب الاستعماري الغربي.** أشراف إسماعيل الناشف، رسالة ماجستير في المرأة والقانون والتنمية. بيرزيت: جامعة بيزريت.

١٦. غانم، عبد الله. ١٩٨٨. **سجن النساء: دراسة انثروبولوجية.** ط١. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.

١٧. فانون، فرانز. ١٩٨٥. **معذبو الأرض.** دمشق: دار القلم.

١٨. فرو، مارك (إشراف). ٢٠٠٧. **الاستعمار: الكتاب الأسود (١٦٠٠-٢٠٠٠).** بيروت: شركة قدمس للنشر والتوزيع.

١٩. فوكو، ميشيل. ١٩٩٠. **المراقبة والمعاقبة: ولادة السجن.** مركز الإنماء القومي.

٢٠. قاسم، عبد الستار وطلبته. ١٩٨٦. **مقدمة في التجربة الاعتقالية في المعتقلات الصهيونية.** بيروت: دار الأمة للنشر.

٢١. قراقع، عيسى. ٢٠٠١. **الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية بعد أوسلو ١٩٩٣-١٩٩٩.** ط١. بيرزيت: معهد الدراسات الدولية- جامعة بيرزيت.

٢٢. قسيس، مضر، ونخلة، خليل (تحرير). ٢٠٠٩. **الإصلاح القانوني في فلسطين: تفكيك الاستعمار وبناء الدولة.** بيرزيت: معهد القانون، جامعة بيرزيت.

٢٣. كلاين، نعومي. ٢٠٠٩. **عقيدة الصدمة: صعود رأسمالية الكوارث.** بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

٢٤. مين، هو شي. ١٩٦٩. **دفتر السجن.** ترجمة وصفي البني. دمشق: منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي.

٢٥. الناشف، إسماعيل. ٢٠٠٥. **فك الصهيونية: الفضاء والأيديولوجيا في المدينة الإسرائيلية.** ط١. بيرزيت: معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية-جامعة بيرزيت.

٢٦. الهندي، خالد. ٢٠٠٠. **التجربة الديمقراطية للحركة الفلسطينية الأسيرة.** ط١. رام الله: مؤسسة مواطن لدراسة الديمقراطية.

٢٧. الهودلي، وليد. ٢٠٠٤. **مدفن الأحياء: شهادات من المعتقل**. ط٤. رام الله: مركز يافا للطباعة والنشر.

٢٨. ولسون، كولن (تحرير). ١٩٩٢. **فكرة الزمان عبر التاريخ.** سلسلة عالم المعرفة، ١٥٩. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

٢٩. اليحيى، عبد الرازق. ٢٠٠٦. **عبد الرزاق اليحيى بين العسكرية والسياسة: ذكريات.** ط١. رام الله: شمل -مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني ومؤسسة الدراسات المقدسية.

الدوريات:

- حنفي، ساري. شباط ٢٠٠٩. "التطهير المكاني: محاولة جديدة لفهم استراتيجيات المشروع الكولونيالي الإسرائيلي". **المستقبل العربي.** العدد ٣٦٠. ص ٦٧-٨٤٧.
- الرفوع، خليل. ٢٠٠١. "تجربة السجن وانعكاساتها في شعر عدي بن زيد العبادي". **مؤتة للبحوث والدراسات.** العدد الثاني، المجلد السادس عشر، ص ٣٥-٥٥.
- م.ش.ع. ١٩٧٩. "الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية". **شؤون فلسطينية.** العدد ٨٨/٨٧. بيروت: مركز الأبحاث -منظمة التحرير الفلسطينية.

الصحف اليومية والنشرات:

١. الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. ٢٠٠٧. **في الثقافة الأمنية.**

٢. **الدليل: تفعيل القواعد الدنيا لمعاملة السجناء.** ١٩٩٧. إصدارات المنظمة الدولية للاصلاح الجنائي.

٣. النصير، ياسين. ٢٠٠٢/٦/١. "الأمكنة الظاهرة: غرف السجون - كيف يتعامل الأدب مع الغرف المعتمة". **جريدة الزمان.** العدد ٢٦١٢.

المراجع الأجنبية:

1. Anderson, B. 1983, 1991. *Imagined Communities.* London: Verso.
2. Chakrabarty, D. 2000. *Provincializing Europe: Postcolonial Thought and Historical Difference.* Princeton: Princeton University Press.
3. Feldman, A. 1991. *Formations of Violence: The Narrtive of the Body and Political Terror in Northern Ireland.* Chicago: The Univeristy of Chicago Press.
4. Nashif, E. 2008. *Palestinian Political Prisoners: Identity and community.* London and New York: Routledge.
5. Silberman, b. 1993. *Cages of Reason.* Chicago: The Univeristy of Chicago Press.

مواقع على الانترنت:

١. أبو عطوان، منقذ. ٢٠٠٥. "سوسيولوجيا تعذيب الأسرى في السجون".

2. الموقع الالكتروني: http://www.palestinebehindbars.org/sesyolo-gia05.htm

٣. أبو عطوان، منقذ. ٢٠٠٧/٤/٢٦. "استغلال الأيدي العاملة الأسيرة في سجون الاحتلال الإسرائيلي: ١٩٦٧-١٩٨٠". على موقع أمين الالكتروني. www.amin.org

٤. حتر، علي. ٢٠٠٣. "استخلاصات من كتاب: فلسفة المواجهة وراء القضبان".

٥. الموقع الالكتروني: http://www.palestinebehindbars.org/d3.htm

٦. الزركلي، أبان. "الزمن والزمن الموسيقي".

7. http://maaber.50megs.com/second_issue/epistemology_3.htm

٨. عبيدات، راسم. ٢٠٠٨/٣/١٥. "في داخل السجون سجون".

٩. الموقع الالكتروني: www.ahewar.org

١٠. فراونة، عبد الناصر. ٢٠٠٥ "تقرير شامل حول أوضاع الأسرى و المعتقلين في السجون والمعتقلات الإسرائيلية". الموقع الالكتروني: http://www.hrinfo.net/palestine/palestinebehindbars/2005/pr0414.shtml

١١. كاترين، جرجس ديوب. ٢٠٠٩/٩/١٦. بين فن الممكن وفن الضرورة. الموقع الالكتروني:

12. http://sk-ray.com/?p=3136

١٣. كنفاني، غسان. ١٩٦٦، ٢٠١٠. من قتل ليلى الحايك. الموقع الالكتروني:

14. icee.msk.googlepages.com/ashi2_al2a5r.doc

١٥. مؤسسة الضمير. ٢٠٠٥. "تعذيب الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية".

١٦. الموقع الالكتروني: الموقع الالكتروني:

17. http://www.palestinebehindbars.org/d15.htm

١٨. موقع فلسطين وراء القضبان:

١٩. /http://www.palestinebehindbars.org

٢٠. موقع وزارة الأمن الداخلي، تاريخ الدخول: ٢٠١٠/١١/١١

٢١. /http://www.mops.gov.il/BPAr/RND

٢٢. وزارة الأسرى والمحررين. ٢٠٠٧. "زنازين العزل".

٢٣. الموقع الالكتروني: /http://www.mod.gov.ps